

التَّحْيِينَا

تَأَلَّفَ

شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ

٧٢٨ - ٦٦١

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَجَلَانِ

عَضُوهُيَّةُ التَّدْرِيسِ بِقِسْمِ الْعَقِيدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْمَعَاوِرَةِ
بِجَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُوْدِ الْإِسْلَامِيَّةِ

المجلد الأول

مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ لِلنِّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

لِصَاحِبِهَا سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّاشِدِ

الرِّيَاضِ

جميع الحقوق محفوظة للناشر ، فلا يجوز نشر أي جزء
من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو
تصويره أو ترجمته دون موافقة خطية مُسبقة من الناشر .

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

ح) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن تيمية ، أحمد عبد الحلیم

التسعينية / تحقيق محمد ابراهيم العجلان - الرياض.

٣٧٦ ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك ٥-٣٦-٨٣٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٣٧-٣٨٠-٩٩٦٠ (ج ١)

١- العقيدة الاسلامية ٢- الفلسفة الاسلامية ٣- الفرق الاسلامية

أ- العجلان ، محمد ابراهيم (محقق) ب- العنوان

١٩/٤٢٠٦

ديوي ٢٤٥

رقم الإيداع : ١٩/٤٢٠٦

ردمك : ٥-٣٦-٨٣٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-٣٧-٣٨٠-٩٩٦٠ (ج ١)

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

هاتف ، ٤١١٤٥٣٥ - ٤١١٣٣٥

فاكس ، ٤١١٢٩٣٢ - سبرقيا دفتر

ص.ب. ، ٣٢٨١ الرياض الرمز البريدي ١١٤٧١

سجل تجاري ٦٢١٣ السرياح

وكذلك تسعينية فيها له

رد على من قال بالانفساني

تسعون وجهاً بينت بطلانه

أعني كلام النفس ذا الوجداني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، القائل سبحانه ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾^(١) ، والقائل جل ذكره: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾^(٢) .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً بعثه الله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، وحجة على العباد أجمعين . فأدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة وبين لها جميع ما تحتاج إليه في أصول دينها وفروعه ، حتى تركها على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، وعلى هذا النهج سار أصحابه الكرام ، ومن تلاهم من القرون المفضلة ، حتى ظهرت البدع ، واستبدت ظلماتها وذاق الأئمة - الذين وهبهم الله الإيمان والعمل - في سبيل إخمادها أنواع العذاب^(٣) .

ومن أبرز هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله رحمة واسعة - الذي قدم المؤلفات الكثيرة في بيان السنة وتوطيد العقيدة وهدم البدع ومما ألفه في هذا الباب (التسعينية) في الرد على الأشاعرة والكلابية القائلين بالكلام النفسي ، وغيرهم .

(١) سورة البقرة الآية ١٧٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٣ .

(٣) سوف نتكلم عن الإمام أحمد - رحمه الله - ومحتته في الصفحات القادمة بإذن الله .

وكانت علاقتي بمؤلفات هذا العالم الجليل عندما كنت في سنوات الدراسة ، حيث قرأت العقيدة الواسطية ، فالحموية ، فالتدمرية ، وكنت أعجب من مناقشة هذا العالم لخصومه ، ومدى قدرته على استنباط الأدلة العقلية الموافقة للأدلة النقلية ، وصبر هذا الإمام عليهم ومجادلتهم مجادلة موضوعية عجيبة ، فكنت في شغف للاطلاع الحر على مؤلفات هذا الإمام .

وفي مرحلة الدراسات العليا - الماجستير - سجلت موضوعاً باسم « الإيمان - حقيقته وآثاره » ، وفي هذه المرحلة يصبح الإنسان مدفوعاً إلى ضرورة القراءة الواسعة ، والمراجعات الدقيقة ، فاعتمدت في هذا البحث - بالدرجة الأولى - على كتاب « الإيمان » لابن تيمية ، وعندئذ زادت علاقتي بمؤلفات هذا الإمام الكبير ، واطلعت على قدر لا بأس به من مؤلفاته - رحمه الله - وكان مما وقع في يدي كتابه « التسعينية » فما انتهيت من بحثي السابق إلاّ وسارعت وبدون تردد إلى تسجيل هذا الكتاب للحصول - بتحقيقه ودراسته - على درجة الدكتوراه ، للأسباب التالية :

١ - ما تقدمت الإشارة إليه من رغبتني الأكيدة في الاطلاع على مؤلفات هذا الإمام وقراءتها قراءة متأنية ، وهذا ما تم بفضل الله تعالى - حيث دعاني البحث في هذا الكتاب إلى الاطلاع على بعض كتب الشيخ - رحمه الله - مثل : « درء تعارض العقل والنقل » ، و« منهاج السنة النبوية » ، و« بيان تلبس الجهمية » ، وغيرها كثير ، كـ « مجموع الفتاوى » ، و« بعض رسائله رحمه الله » والتي سأفيد منها - إن شاء الله - في تعليقاتي على بعض مسائل الكتاب .

٢ - أن هذا الكتاب من الكتب التي ألفها - رحمه الله - في الأصول للرد على القائلين بالكلام النفسي ، وهم : الأشاعرة ، والكلابية ، ومن سلك سبيلهم ، فقد بحث الشيخ هذه المسألة بإفاضة وتحليل ، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها ، من غير محاباة ولا مدهانة ، فهو بحق يعد من أهم المصادر في العقيدة التي تحتاج إلى خدمة علمية تعين القارئ على قراءته ، وفهم مسائله ودقائقه .

والكتاب لم يقم أحد بتحقيقه علمياً - رغم أهميته - لذا رأيت أن تحقيقي

له بعد دراسة لأهم مسأله يعد مشاركة واجبة مني في خدمة تراث السلف الذي يحتاج من طلاب العلم إلى الجهد والتضحية في سبيل إخراجه بصورة سليمة كما أراها أولئك .

٣ - أنه مما ألفه - رحمه الله - في ظل ظروف صعبة - فقد ألفه وهو في السجن بمصر ، وطلب منه الرجوع عن بعض معتقده ، وكتبوا له ورقة في أهم المسائل التي يريدون منه عدم البوح بها ، وهي ما أجاب عنه الشيخ في هذا الكتاب ، إذ هو ثمرة صبره - رحمه الله - على المحنة ، ومفارقة الأهل والوطن ، والثبات على العقيدة السلفية المتلقاة من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح .

يقول الشيخ^(١) - رحمه الله - مشيراً إلى ما ذكرته :

« وقد كتبت هنا بعض ما يتعلق بهذه المحنة التي طلبوها مني في هذا اليوم ، وبينت بعض ما فيها من تبديل الدين واتباع غير سبيل المؤمنين ، لما في ذلك من المنفعة للمسلمين ، وذلك من وجوه كثيرة . . . » .

٤ - أن هذا الكتاب يناقش مسألة عظيمة من أهم المسائل وهي : مسألة كلام الله - تعالى - والرد على من طعن فيه ، ودحض باطل من يحاول التشكيك في القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين ، وبه نجاتهم ، إذ الإيمان به أصل الإيمان ، لذا يجب على علمائهم المدافعة عنه ، وبيان ضلال من قدح فيه .

فإخراج هذا الكتاب محققاً مدروساً فيه منفعة للمسلمين - إن شاء الله - ممن يهمهم الحفاظ على معتقدهم ، كما أشار الشيخ - رحمه الله - في أول هذا الكتاب^(١) حيث بين أنه ضمنه ما فيه المنفعة للمسلمين .

٥ - أن هذا الكتاب يتحدث عن مسألة كتاب الله تعالى ، ويوضح القول الحق الذي يجب على المسلمين اعتقاده ، ويرد القول بخلق القرآن ، وكثير من الناس لا يعلم أن المقصود من ذلك إبطال الصفات والشرائع^(٢) .

(١) انظر : ص ١١٩ من هذا الكتاب - قسم التحقيق .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهمية - لابن تيمية - ١٨/٢ .

ومختصر الصواعق المرسله - لابن القيم - اختصار الموصلية - ٢٠٠/١ .

٦ - أن هذا الكتاب يمثل عقيدة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - بما يحويه - إضافة إلى مسألة الكلام - من موضوعات عقدية أبرزها شيخ الإسلام بصورة توافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، كمسألة علو الله ، وعلم الله وقدرته ، ونزوله ، ومجيئه ، وضحكه ، وغيرها .

٧ - نقل الثقات من أهل العلم عن هذا الكتاب في مقام الاستشهاد كابن القيم - رحمه الله - والشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر^(١) ، وكذلك عالم الشام : جمال الدين القاسمي^(٢) ، وكذلك محمد السفاريني^(٣) ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

٨ - أن هذا الكتاب يتضمن نقولاً من مصنفات مفقودة ، أو لم يسر خروجها إلى الآن ، وذلك مثل كتاب « السنة » لأبي الشيخ الأصبهاني ، و« السنة » للطبراني ، وغيرهما .

٩ - أن الشيخ - رحمه الله - أحسن في تناوله لمسائل هذا الكتاب ، بالإشارة إلى مجموعة كبيرة من المراجع التي تعين الباحثين في موضوع صفات الله - سبحانه - وهي مراجع أصيلة ، منها ما يتعلق بأحاديث النبي ﷺ ومنها ما يتعلق بمصنفات لمؤلفين عنوا بهذا الموضوع ، وهذا الصنيع من شيخ الإسلام يجعل لكتابه هذا مهمة التوجيه والإرشاد البحثي في موضوع عظيم من موضوعات العقيدة^(٤) .

وقد واجهتني بعض الصعوبات أثناء التحقيق ، والتي عادة ما تواجه الباحث ، أذكر منها :

١ - كثرة البياض والتي تتفق عليه النسخ ، وهو يتراوح ما بين كلمة وبضعة أسطر ، وهذا أمر أعاقني كثيراً ، حيث بذلت - بالتعاون مع المشرف - وفقه الله - جهداً في سبيل إيجاد بعض الكلمات والعبارات التي تتفق وأسلوب الشيخ وتكمل المعنى وتناسب السياق ، وأذكر منها على سبيل المثال :

(١) في كتابه « منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب » ص ١٣٤ - ١٤٢ .

(٢) في كتابه « تاريخ الجهمية والمعتزلة » ص ٥١ - ٥٥ ، ص ٢٣ - ٢٨ .

(٣) في كتابه « لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية » ١/ ١٦٥ - ١٦٦ .

(٤) انظر على سبيل المثال ص ١٣٠ - ١٥١ قسم التحقيق .

البياض في ص ١١١، وفي ثلاثة أماكن ، منها بقدر سطر تقريباً .
ص ٢٠١ : بقدر ثلاث كلمات .
ص ٧٩٢ : بقدر عدة أسطر .

٢ - من عادة الشيخ - رحمه الله - في مصنفاته أنه يقول : « وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضوع » وهذه العبارة وردت في هذا الكتاب كثيراً ، مما تطلب مني جهداً في البحث عن الموضوع الذي أحال عليه الشيخ - رحمه الله - في مصنفاته الأخرى إلا ما ندر .

٣ - يذكر الشيخ - رحمه الله - كتاباً لمؤلف ، وينقل منه باسم مختصر ، أو يذكر اسم الكتاب بالمعنى ، لاعتماده على الحفظ ، مما يعيق سرعة الحصول على الكتاب - إن كان موجوداً - أو التعريف به من الكتب التي تهتم بالتراث ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في ص ٣٢٣ وما ورد في ص ٣٢٥ ، ص ٣٣٤ ، ٤٣٦ إلى غير ذلك .

٤ - النقل من كتب مخطوطة ، وقد يبلغ الكتاب مجلدات ، وصعوبة العثور على بعض النقول من الكتب المخطوطة لا يخفى على من سلك هذا الطريق ، لا سيما إذا كان المخطوط مصوراً ، أو لم يخدم بوضع فهارس ، ومن أمثلة المخطوطات التي رجعت إليها في التحقيق ونقل منها المؤلف رحمه الله :

- نهاية العقول في دراية الأصول - للفخر الرازي .
- السنة « المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رواية أبي بكر الخلال » .

- ذم الكلام - لأبي إسماعيل الهروي .
- إبطال التأويلات لأخبار الصفات - للقاضي أبي يعلى .
- الأسنى شرح أسماء الله الحسنی وصفاته العلى - لأبي عبد الله القرطبي .

٥ - طول الكتاب وصعوبة مادته العلمية ، ولا أبالغ إذا قلت : إنني أمضي الساعات الطويلة لفهم بعض العبارات .

٦ - أن الشيخ - رحمه الله - يشير إلى بعض الروايات برموز عامة يصعب تحديدها ، وخاصة إذا كانت الرواية ضعيفة أو موضوعة ، مما يجعل البحث عنها يتطلب وقتاً وجهداً ، وذلك مثل ما أورده في ص ٩٦٥ حيث قال : « كحديث الملائكة الأربعة » وإشارته إلى أنه حديث موضوع .

وعلى الرغم من حجم هذه الصعوبات وتنوعها ، فإن ما فيها من متاعب ، كانت متاعب ممتعة ، لما وجدته من إفادة طلاب العلم بمسائل هذا الكتاب ، والذي يرغب الشهد ، فليصبر على إبر النحل .
وستكون خطتي في هذا البحث على النحو التالي :
المقدمة .

التمهيد : وسأذكر فيه ما يتعلق بالفرق الضالة وخطرها على المعتقد الصحيح .

القسم الأول : الدراسة .

وفيه بابان :

الباب الأول : المؤلف ، حياته وعصره .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حياته ، وفيه مبحثان :

١ - اسمه ومولده .

٢ - نشأته وصفاته .

الفصل الثاني : عصره ، وفيه مباحث :

١ - الناحية السياسية .

٢ - الناحية الاجتماعية .

٣ - الناحية العلمية .

الفصل الثالث : محتته ، ووفاته .

الباب الثاني : كتابه التسعينية ودراسة بعض مسائله .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف بالكتاب ، وفيه مباحث :

١ - سبب تأليف الكتاب وتسميته .

٢ - تاريخ تأليفه .

٣ - توثيق نسبه إلى مؤلفه .

٤ - منهج المؤلف في الكتاب .

٥ - نسخ الكتاب .

٦ - منهجي في تحقيقه .

الفصل الثاني : دراسة بعض مسائله ، وفيه مباحث :

١ - فتنة القول بخلق القرآن .

٢ - مسألة كلام الله .

٣ - إلزاعات .

القسم الثاني : التحقيق .

هذا وإني لست أدعي الكمال ، فالكمال لله وحده ، فالكل معرض للنقص والتقصير ، ولكن حسبي بذلك أني بذلت جهدي ، فإن أصبت فمن الله وتوفيقه وعونه ، وإن أخطأت فمني ، ومن الشيطان ، وأستغفر الله وأتوب إليه .

ولا يفوتني في ختام هذه المقدمة أن أسجل كلمة شكر وعرfan لفضيلة الدكتور : محمد رأفت سعيد ، المشرف على هذه الرسالة ، على ما قدمه لي من عون ، وما أرشدني إليه من ملحوظات ، فقد كان - وفقه الله - خير معين ومرشد ، ولم يبخل علي بوقت ولا علم ولا جهد في سبيل إنجاز هذا البحث .

كما أشكر كلاً من فضيلة الشيخ عبد العزيز عبد الله آل الشيخ ، وفضيلة الدكتور سالم بن عبد الله الدخيل ، على توليها مناقشة هذه الرسالة ، وأعدهما أن ما يقدمانه من ملاحظات وتوجيهات سوف تكون نصب عيني ، وسوف أعمل - بمشيئة الله تعالى - على تلافيتها .
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

التمهيد

التمهيد

الفرق الضالة وخطرها على المعتقد الصحيح :

الصراع بين الحق والباطل قديم منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا ، وسوف يستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فبينهما صراع لا يفتر ولا يلين ولا يتوقف ، صراع متنوع متعدد الأشكال ، فهناك صراع عقدي ، وصراع سياسي ، وصراع إعلامي ، وصراع اقتصادي . . . إلخ ، والله شاء ذلك لحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

والصراع الحقيقي هو الصراع العقدي ، وما سواه صراعات فرعية ، لكن أهل الباطل ربما يتسترون وراء عوامل فرعية خداعاً وتمويهاً ، حتى يصلوا إلى مرادهم ، وهو هدم الإسلام وزعزعة كيانه ، وذلك بإثارة الشكوك والفتن بين أفرادها والنيل من معينه الصافي (الكتاب والسنة) ومحاولة تحريفهما وتأويلهما (٢) .

ولو تتبعنا التاريخ للفرق المختلفة في باب العقيدة لوجدنا أن الحقد الدفين الذي تكنه عناصر دخيلة على الإسلام وراء ذلك التفرق (٣) ، فعندما سيطر حكم الإسلام على أكثر البلاد في آسيا وإفريقيا ، وغيرهما ، دخل تحت

(١) سورة هود . الآيتان ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) انظر : القضاء والقدر في الإسلام - للدسوقي - ٢٢/٢ ، ٢٦ .

(٣) وهذا لا يعني أنه ليس هناك عوامل أخرى كانت وراء التفرق كالغلو المتمثل في مذهب الخوارج والشيعة ، والرد على البدعة ببدعة أخرى مثلها أو أشد المتمثل في مذهب المرجئة والمعتزلة ، وتحكيم العقل في القضايا الشرعية .

وقد تقضى تفصيل هذه العوامل الدكتور أحمد سعد حمدان في مقدمة تحقيقه لشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٧/١ - ٤٤ .

حكمه أمم كثيرة ، رغبة ورهبة ، وكان لها أديان مختلفة ، من يهودية ، ومجوسية ، ونصرانية ، ووثنية ، وغير ذلك ، وقد كان لكثير من هذه الأمم سلطان كبير ، مثل المجوس والرومان ، فسلبهم المسلمون ذلك ، وكان عند هؤلاء من الكبر والاستعلاء ما يجعلهم يأنفون من كونهم تحت سلطان المسلمين ، لا سيما وقد كانوا يرون العرب من أحقر الأمم وأقلها شأنًا ، كما أن اليهود واجهوا الإسلام ورسوله من أول أمره بالعداء وحاولوا القضاء عليه بأنواع من المكائد والمؤامرات ، ولما يئس هؤلاء جميعاً من قدرتهم في مجابهة الإسلام بالقوة وجهاً لوجه انصرف جهدهم وكيدهم إلى الدسائس والمؤامرات والاعتقالات لرجال العظام .

ودخل في الإسلام - ظاهراً - من هؤلاء من قصده إفساده وتمزيق وحدة أهله ، ولا بد أن يكون ذلك عن دراسة ، وإعمال فكر وتخطيط وربما يكون هناك جماعات متعاونة ، من المجوس واليهود ، والنصارى والهنود وغيرهم ، وقد تكون لكل طائفة مؤسسات تعمل لإفساد عقائد المسلمين ، لتيقنهم أنه لا يمكن هزيمة المسلمين إلا بإفساد عقيدتهم ، فبدأت آثار المؤامرات تظهر شيئاً فشيئاً ، فقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بأيدي مجوسية^(١) ، وربما بمؤامرة مجوسية يهودية .

ثم قتل الخليفة عثمان بعده بأيدي مشبوهة^(٢) ، من غوغاء ، يدفعهم بعض دهاة اليهود والمجوس^(٣) .

ثم ظهر القول بنفي القدر ، وأول من ابتدع القول به بالعراق ، رجل من أهل البصرة يقال له : سيسويه ، من أبناء المجوس ، وتلقاه عنه معبد الجهني^(٤) .

- (١) حيث قتله أبو لؤلؤة المجوسي الفارسي - لعنه الله - غيلة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح - رضي الله عنه - سنة ٢٣ هـ .
- (٢) انظر صفة مقتله - رضي الله عنه - على أيدي أولئك الأجلاف والأخلاط من الناس سنة ٣٥ هـ في : البداية والنهاية - لابن كثير ١٩٦/٧ - ٢٠٧ .
- (٣) مقدمة شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله الغنيمان ٩/١ . وانظر : الفصل في الملل والنحل - لابن حزم - ١١٥/٢ ، ١١٦ .
- (٤) مجموع الفتاوى - لابن تيمية - ٣٧٤/٧ .

ثم ظهرت بدعة الخوارج في عهد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سنة ٣٧ هـ ، حيث اعترضوا على قبول التحكيم ، واستمروا في ضلالهم وعنادهم إلى أن انتهى الأمر إلى الحكم على مرتكب الكبيرة بالكفر في الدنيا وإباحة دمه وماله ، والخلود في النار بالآخرة .

ولا أستبعد أن يكون وراء هذه البدعة أيد خفية تسترت بالإسلام ظاهراً .

ثم ظهرت بدعة التشيع ، وكان وراء هذه البدعة رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ^(١) ، ادعى الإسلام ، وغلا في علي - رضي الله عنه - فقال بنبوته ، ثم غلا ، فقال بألوهيته ، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة^(٢) .

والشيعة فرق متعددة مختلفة فيما بينها يجمعها القول بإمامة علي وخلافته نصاً ووصية ، وهي من مخلفات ابن سبأ^(٣) .

وقد استغل أعداء الإسلام مذهب التشيع للكيد له ومحاولة الوصول إلى أهدافهم عن طريقه ، لكن الله حفظه ، وأتم نوره .

يقول ابن حزم مقررأً هذه الحقيقة : « . . . فلما امتحنوا - يعني الفرس - بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاضمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، ففي كل ذلك يظهر الله - سبحانه وتعالى - الحق . . . » إلى أن قال : « . . . فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ

(١) ضال مضل ، أصله من اليمن ، طاف بلاد المسلمين ليصرفهم عن طاعة الأئمة ، ويلقي بينهم الشرور والفتن ، أتباعه يقال لهم : السَّبَّيَّةُ إحدى فرق غلاة الشيعة .

انظر : تهذيب ابن عساكر - ٤٣١/٧ - ٤٣٤ .

ولسان الميزان - لابن حجر - ٢٨٩/٣ ، ٢٩٠ .

والممل والنحل - للشهرستاني - ١٧٤/١ .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق - للبغدادي - ص ٢٣٣ .

(٣) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي - ٢٣/١ - تحقيق د .

أحمد سعد حمدان .

واستشناع ظلم علي^(١) - رضي الله عنه - ثم سلخوا مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام...»^(٢) .

ثم ظهرت المرجئة كرد فعل للخوارج والشيعة ، وأرجؤوا الحكم على مرتكب الكبيرة إلى يوم القيامة ، وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب ، ولا ينفع مع الكفر طاعة^(٣) .

ثم ظهرت الجهمية المعطلة لصفات الرب - سبحانه - وأصل هذه المقالة - كما يقول الشيخ - رحمه الله - : « مأخوذة عن تلامذة اليهود والمشركين ، وضلال الصابئين ، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله ليس على العرش حقيقة ، وأن معنى (استوى) بمعنى (استولى) ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه » .

وقد قيل : إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ .

وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة... » إلى أن قال : « ... فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة »^(٤) .

أما المعتزلة فقد ثبتت القول بالقدر - الذي قال به وكما تقدم - رجل من أبناء المجوس - وتعددت فرقها فيه ، وكفر بعضهم البعض الآخر . وقد تأثر شيوخ المعتزلة - كأبي الهذيل العلاف ، والنظام ، وغيرهما - بما عرب من

(١) علق على هذا الشيخ عبد الله الغنيمان أثناء نقله لهذا النص بقوله : « لم يقع على علي بن أبي طالب ظلم من الصحابة كما زعمته الرافضة ، وإنما هو شيء اختلق للتشنيع والوصول إلى المقصد الخبيث » .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل - لابن حزم - ١١٥/٢ .

(٣) انظر : القضاء والقدر - للدسوقي - ١٠/٢ .

(٤) مجموع الفتاوى - لابن تيمية - ٢٠/٥ ، ٢١ .

كتب الفلاسفة ، وأظهروا موافقتهم لهم^(١) .

ثم ظهرت الأشعرية ، وهي خليط من مذاهب عدة فرق كالمعتزلة ،
والكلابية والجهمية^(٢) .

وأبو الحسن الأشعري - الذي تنتسب إليه هذه الطائفة - أخذ عن الجبائي
الاعتزال ، ولازمه دهرأ طويلاً ، ثم سلك طريق ابن كلاب إلى الصفات ،
والقدر ، وغير ذلك .

وسلك طريقه جماعة من العلماء ، مثل : الباقلاني ، وابن فورك ،
والإسفرابيني ، والشيرازي ، والغزالي ، والشهرستاني ، والرازي ، وغيرهم
وملؤوا الدنيا بتصانيفهم ، يحتجون ، ويدعون أن طريقتهم هي طريقة أهل
السنة والجماعة ، فانتشر هذا المذهب في البلاد الإسلامية ، وجاءت دولة بني
أيوب ، وكانوا على هذا المذهب ، ثم مواليهم الأتراك ، وأخذ ابن التومرت
إلى المغرب ، ونشره هناك ، فصار هذا المذهب هو المعروف في الأمصار ،
بحيث نسي ما عداه من المذاهب أو جهل ، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه ،
إلا أن يكون مذهب الحنابلة^(٣) .

ومن هذا العرض المختصر لهذه الفرق يتضح لنا مدى تأثير القوى الخفية
- التي تدفعها أيد يهودية ومجوسية - عليها ، وأن أعداء الإسلام لن يألوا جهداً
ولا يهنأ لهم عيش ، ولا يقر لهم قرار حتى ينفذوا مخططاتهم - عملياً - التي
أمضوا الوقت الطويل في دراستها ، ولهم أساليبهم المختلفة في التنفيذ ،
وطرقهم الخفية في الغزو ، وقد اتخذوا معتقد المسلم هدفاً أسمى يرمون إليه ،
فإذا استطاعوا صرفه ، أو على الأقل الإخلال به هان ما وراءه من أمور فرعية .
وقد أدرك علماء المسلمين خطر هذا التفرق وما يخفيه وراءه من التستر
بالإسلام والتسمي به ، وأن المقصد أسمى والغاية نبيلة ، وإذا حقق الأمر وجد

(١) انظر بتصرف : الملل والنحل - للشهرستاني - ١/٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ .

وبيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية - لابن تيمية - ١/٣٢٣ .

وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي - ١/٢٥ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري - ١/٢٤ .

(٣) انظر : الخطط - للمقرئزي - ٣/٣٠٩ - ٣١٤ .

التعطيل الصرف للباري - سبحانه - وسلبه صفات الجلال والعظمة ، فصفنوا
المصنفات الكثيرة التي تدحض الباطل وأهله ، وتبين الحق وتحث على
اتباعه .

فصنف حماد بن سلمة (ت : ١٦٧ هـ) كتابه في الصفات^(١) ، وكان
رحمه الله - شديداً على المبتدعة .

وصنف عبد الله بن محمد الجعفي (ت : ٢٢٩ هـ) كتابه في الصفات
والرد على الجهمية^(٢) .

وصنف الإمام أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) كتابه الرد على الجهمية
والزنادقة^(٣) .

وصنف عثمان بن سعيد الدارمي (ت : ٢٨٠ هـ) كتاب الرد على
الجهمية^(٤) .

وصنف أبو بكر الخلال (ت : ٣١١ هـ) كتاب السنة^(٥) .

وصنف أبو الشيخ الأصبهاني (ت : ٣٦٩ هـ) كتاب السنة^(٦) .

وصنف أبو عبد الله بن مندة (ت : ٣٩٥ هـ) كتاب الرد على
الجهمية^(٧) .

وصنف أبو القاسم اللالكائي (ت : ٤١٨ هـ) كتاب شرح أصول اعتقاد
أهل السنة والجماعة^(٨) .

وصنف أبو عمر الطلمنكي (ت : ٤٢٩ هـ) كتاب السنة^(٩) ، وصنف

- (١) انظر : ص ١٥٩ من هذا الكتاب قسم التحقيق .
- (٢) انظر : ص : ١٦٠ من هذا الكتاب قسم التحقيق .
- (٣) انظر ص ١٦١ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .
- (٤) انظر ص ١٦٠ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .
- (٥) انظر ص ١٦٢ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .
- (٦) انظر ص ١٦٥ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .
- (٧) انظر ص ١٦٦ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .
- (٨) انظر ص ١٦٧ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .
- (٩) انظر ص ١٦٧ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .

القاضي أبو يعلى (ت : ٤٥٨ هـ) كتباً في الرد على الأشعرية والكرامية والباطنية^(١) .

هذا قليل من كثير ألفه علماء الإسلام ضد أهل البدع والأهواء في تلك الحقبة من الزمن .

وقد تتابع التأليف والتصدي من أئمة الإسلام ، وكان من بينهم تقي الدين أبو العباس بن تيمية ، فقد تصدى - رحمه الله - للانتصار لمذهب السلف ورد على الأشاعرة ، والرافضة ، والصوفية ، وغيرهم ممن ضل الطريق المستقيم ، فألف الكتب الكثيرة ، وأجاب على الأسئلة العديدة التي ترده من بلاد شتى .

ومما ألفه في الرد على الأشاعرة - خصوصاً - وعلى طوائف أهل الأهواء - عموماً - هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، إذ بين - رحمه الله - ضلال هذه الطائفة في مسألة عظيمة ، وهي : مسألة كلام الله تعالى ، وناقش قولهم : إنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتعلق بمشيتته وقدرته ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً ، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة . وبين الشيخ - رحمه الله - أن هذا القول مما اختص به الأشعري وابن كلاب ، وما سواه فمسبقان إليه ، قد تكلم فيه من سبقهما^(٢) .

وأستطيع القول من خلال معايشتي لهذا الكتاب إنه الكتاب الوحيد^(٣) من كتب الشيخ الذي تفرد بمناقشة الأشاعرة^(٤) في هذه المسألة مناقشة موضوعية

(١) انظر ص ١٦٨ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٦٢٥ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .

(٣) قد يتبادر إلى ذهن القارئ فيقول: إن للشيخ - رحمه الله - كتباً في هذه المسألة وأقرب مثال على ذلك ما يحويه المجلد الثاني عشر من الفتاوى .

وأقول : هذا المجلد عبارة عن مجموعة أسئلة وجهت إلى الشيخ في مناسبات مختلفة وأجاب عنها ، جمعها ابن قاسم - رحمه الله - في مجلد لماً لشتاتها وتيسيراً على القارئ ، والشيخ - رحمه الله - في إجاباته يتعرض لأقوال الناس في هذه المسألة ، وينقضها بما يبطلها ، بخلاف الكتاب الذي بين أيدينا فهو وحدة متكاملة ألف من أجل الرد على طائفة معينة خصوصاً وبقية الطوائف عموماً .

(٤) قد يستدعي النقاش والنقض من الشيخ - رحمه الله - رحمة واسعة - التعرض =

هادثة ، كانت نتيجتها - للمحايد - الاعتراف بانتصار الشيخ - رحمه الله - على خصومه ببيان الحق في هذه المسألة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال السلف الصالح - رضوان الله عليهم .



= لمذاهب الناس في هذه المسألة فيذكر المعتزلة للمقارنة وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ، وهذا كثير ، أما بقية المذاهب فلا يذكرها إلا نادراً .

الباب الأول

المؤلف حياته وعصره

الفصل الأول

حياته

اسمه ومولده :

هو شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم^(١) بن عبد السلام^(٢) بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية^(٣) الحراني^(٤) الدمشقي^(٥) .
ولد - رحمه الله - بحران يوم الإثنين العاشر^(٦) من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة النبوية .

نشأته وذكر بعض صفاته :

بقي - رحمه الله - بحران إلى أن بلغ سبع سنين ، ثم انتقل والده به

(١) أبو المحاسن شهاب الدين - الإمام العلامة - (ت : ٦٨٢ هـ) .

(٢) أبو البركات مجد الدين - الإمام العلامة - (ت : ٦٥٢ هـ) .

(٣) اختلف في علة تسمية الأسرة بـ « تيمية » :

ف قيل : إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء ، فرأى هناك طفلة ، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً فقال : يا تيمية يا تيمية ، فلقب بذلك .
وقيل : إن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية ، وكانت واعظة ، فنسب إليها ، وعرف بها .

راجع : الكواكب الدرية - للإمام مرعي الحنبلي - ص ٥٢ .

(٤) نسبة إلى بلدة حران ، موطن أسرته الأولى ، شمال سوريا ، وهي مدينة في تركيا اليوم .

(٥) انظر : العقود الدرية لابن عبد الهادي - ص ٢ .

والبداية والنهاية - لابن كثير - ١١٧/١٤ . وجاء فيه : « ابن أبي القاسم

محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر » .

(٦) وقيل : الثاني عشر ، لكن أكثر الروايات تعضد ما أثبتته .

وبإخوته إلى الشام - عند ظهور التتار - فقدموا دمشق ، ونشأ بها نشأةً صالحة ، وأبنته الله نباتاً حسناً ، وكانت ملامح النجابة ظاهرة عليه في صغره ، وختم القرآن الكريم صغيراً ، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية ، حتى برع في ذلك ، مع ملازمته لمجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار ، فسمع دواوين الإسلام الكبار ، كصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني ، ومسند الإمام أحمد مرات عدة ، وأول كتاب حفظه في الحديث « الجمع بين الصحيحين » للإمام الحميدي^(١) .

يقول ابن عبد الهادي - بعد ذكره لعناية الشيخ - رحمه الله - بالحديث والفقه والعربية : « وأنه تأمل كتاب سيبويه حتى فهم النحو ، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك .

« وهذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه »^(٢) .

ونقل ابن عبد الهادي عن الحافظ أبي عبد الله الذهبي أنه قال : « نشأ - يعني الشيخ تقي الدين - رحمه الله - في تصون تام ، وعفاف وتأله وتعبد ، واقتصاد في الملبس والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، وينظر ويفهم الكبار ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة ، بل أقل ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت ، وأكب على الاشتغال ، ومات والده - وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم - فدرس بعده بوظائفه ، وله إحدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره ، وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتلثم ، وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح »^(٣) .

ولم يزل في ازدياد من العلوم والاشتغال بها ، وبث العلم ونشره ،

(١) انظر : الأعلام العلية - لأبي حفص البزار - ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) انظر : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٣ .

(٣) راجع : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٤ ، ٥ .

والاجتهاد في سبل الخير ، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ، مع الصدق والعفة وحسن القصد ، ومراقبة الله والخوف منه .

وقد عقد أبو حفص البزار فصولاً في مآثره الحميدة وصفاته النبيلة .

فمما قاله في تعبه :

« . . . قطع جل وقته وزمانه فيه ، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى ، وما يراد له لا من أهل ولا مال ، وكان في ليله منفرداً عن الناس كلهم ، خالياً بربه - عز وجل - ضارِعاً مواظباً على تلاوة القرآن العظيم ، مكرراً لأنواع التبعيدات الليلية والنهارية . . . »^(١) .

ومما قاله في ورعه :

« . . . كان - رضي الله عنه - في الغاية التي ينتهي إليها في الورع ، لأن الله تعالى أجراه مدة عمره كلها عليه ، فإنه ما خالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا زراعة ولا عمارة . . . ولا كان مدخراً ديناراً ولا درهماً ولا متاعاً ولا طعاماً ، وإنما كانت بضاعته مدة حياته ، وميراثه بعد وفاته - رضي الله عنه - العلم ، اقتداءً بسيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . . . »^(٢) .

ومما قاله في زهده :

« . . . لقد اتفق كل من رآه ، خصوصاً من أطال ملازمته أنه ما رأى مثله في الزهد في الدنيا ، حتى لقد صار ذلك مشهوراً بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وجهها ، بل لو سئل عامي من

(١) راجع : الأعلام العلية - ص ٣٧ .

وانظر : الكواكب الدرية - للشيخ مرعي الحنبلي - ص ٨٣ .

(٢) راجع : الأعلام العلية ص ٤١ .

وانظر : الكواكب الدرية - للشيخ مرعي الحنبلي - ص ٨٣ ، ٨٤ .

أهل بلد بعيد: من كان أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا ، وأحرصهم على طلب الآخرة ؟ لقال : ما سمعت بمثل ابن تيمية . . . »^(١) .

ومما قاله في إثارة ، مع فقره :

« . . . كان - رضي الله عنه - مع شدة تركه للدنيا ورفضه لها ، وفقره فيها ، وتقلله منها ، مؤثراً بما عساه يجده منها قليلاً كان أو كثيراً . . . لا يحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصدق به ، ولا الكثير فيصرفه النظر إليه عن الإسعاف به ، فقد كان يتصدق ، حتى إذا لم يجد شيئاً نزع بعض ثيابه ، مما يحتاج إليه ، فيصل به الفقير ، وكان يستفضل من قوته القليل الرغيف والرغيفين ، فيؤثر بذلك على نفسه . . . »^(٢) .

وقال في تواضعه :

« ما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك ، كان يتواضع للصغير والكبير . . . والغني والفقير ، وكان يذني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء ، حتى إنه ربما خدمه بنفسه ، وأعاناه بحمل حاجته ، جبراً لقلبه ، وتقرباً بذلك إلى ربه .

وكان لا يسأم من يستفتيه أو يسأله ، بل يقبل عليه ببشاشة وجه ، ولين عريكة ، ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه . . . ولا يحرجه ولا ينفره بكلام يوحشه ، بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط . . . »^(٣) .

وقال في لباسه وهيئته :

« كان - رضي الله عنه - متوسطاً في لباسه وهيئته ، لا يلبس فاخر الثياب

(١) راجع : الأعلام العلية - ص ٤٤ ، ٤٥ .

وانظر : الكواكب الدرية - للشيخ مرعي الحنبلي - ص ٨٤ .

(٢) راجع : الأعلام العلية - ص ٤٧ .

وانظر : الكواكب الدرية - للشيخ مرعي الحنبلي - ص ٨٥ .

(٣) راجع : الأعلام العلية - ص ٤٨ ، ٤٩ .

وانظر : الكواكب الدرية - للشيخ مرعي الحنبلي - ص ٨٨ .

بحيث يرمق ويمد إليه النظر فيها ، ولا أطمأراً^(١) ، ولا غليظة تشهر حال لباسها ويميز من عامة الناس بصفة خاصة يراه الناس فيها ، بل كان لباسه وهيئته كغالب الناس ومتوسطهم ، ولم يكن يلزم نوعاً واحداً من اللباس فلا يلبس غيره . كان يلبس ما اتفق وحصل ، ويأكل ما حضر ، وكانت بذاذة^(٢) الإيمان عليه ظاهرة ، لا يرى متصنعاً في عمامة ، ولا لباس ، ولا مشية ، ولا قيام ، ولا جلوس ، ولا يتهياً لأحد يلقيه ، ولا لمن يرد عليه من بلد . . . »^(٣) .

وقال في كرمه :

« كان - رضي الله عنه - مجبولاً على الكرم ، لا يتطبعه ولا يتصنعه ، بل هو له سجية . . . وكان لا يرد من يسأله شيئاً يقدر عليه من دراهم ولا دنانير ، ولا ثياب ولا كتب ولا غير ذلك ، بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئاً من النفقة ، فإن كان حينئذ متعذراً لا يدعه يذهب بلا شيء ، بل كان يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إليه ، وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله . . . »^(٤) .

ومما قاله في شجاعته وجهاده :

« كان من أشجع الناس ، وأقواهم قلباً ، ما رأيت أحداً أثبت جأشاً منه ، ولا أعظم عناء في جهاد العدو منه ، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ، ولا يخاف في الله لومة لائم .

أخبر غير واحد أن الشيخ - رضي الله عنه - كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم أوقفهم ، وقطب ثباتهم ، إن رأى من بعضهم

- (١) الأطمار : جمع طمر - بالكسر ، وهو الثوب الخلق .
- انظر : مختار الصحاح - لابن أبي بكر الرازي - ص ٣٩٧ (طمر) .
- (٢) قال ابن الأثير في « النهاية » ١/ ١١٠ : « البذاذة رثاثة الهيئة ، يقال : بذّ الهيئة وباذ الهيئة : أي رث اللبسة . أراد التواضع في اللباس وترك التبجح به » .
- (٣) الأعلام العلية - ص ٥١ .
- وانظر : الكواكب الدرية لمرعي الحنبلي - ٨٧ .
- (٤) الأعلام العلية - ص ٥٩ .
- وانظر : الكواكب الدرية - لمرعي الحنبلي - ص ٨٦ .

هلماً أو رقة وحبانة شجعه وثبته وبشره ووعدته بالنصر والظفر والغنمية ، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين ، وإنزال الله عليهم السكينة ، وكان إذا ركب الخيل يتحنك ويجول في العدو كأعظم الشجعان ويقوم كأثبت الفرسان ، ويكبر تكبيراً أنكى في العدو من كثير من الفتك بهم ، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت . . . «^(١) .



(١) الأعلام العلية - ص ٦٣ .
وانظر : الكواكب الدرية - لمرعي الحنبلي - ص ٩١ ، ٩٢ .

الفصل الثاني

عصره

وبعد أن تعرفنا على هذه الشخصية الفذة ، وما تحويه من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة التي منّ الله بها عليه ، يطيب لي أن نتعرف على العصر الذي عاشت فيه ، إذ من الثابت أن الظروف التي تحيط بالشخص ، والبيئة التي يعيش فيها ، والأحوال السياسية والاجتماعية القائمة في عصره لها أثر في تكوين الشخصية ، وتعيين اتجاهها إلى الخير أو الشر .

وقد يكون التأثير عكسياً ، فكثرة الفساد تحمل على التفكير الجدي في الإصلاح ، فتدفع المصلح لأن يفكر في أسباب الشر فيقتلعها ، وفي نواة الخير الكامنة فيغذيها ، وكذلك كان التفاعل بين ابن تيمية وعصره^(١) ، والذي سوف نتكلم عنه في المباحث التالية :

الناحية السياسية .

الناحية الاجتماعية .

الناحية العلمية .

الناحية السياسية :

الشيخ - رحمه الله - عاش في أواخر القرن السابع وأول القرن الثامن للهجرة ، وقد كانت البلاد الإسلامية - في هذه الفترة - مليئة بالأحداث المحزنة التي يذكرها المؤرخون بالتفصيل ، وأكتفي في هذا المقام بالإشارة إلى أمور تعد من علامات العصر الذي عاش فيه شيخ الإسلام .

فقد بدأ الصليبيون غاراتهم على بلاد الشام سنة ٤٩١ هـ ، كما يذكر ذلك

(١) انظر : ابن تيمية - حياته وعصره وآراؤه وفقهه - لأبي زهرة - ص ١٢٤ (بتصرف) .

ابن الأثير^(١) عن الحوادث التي جرت في هذه السنة ، عندما خرج الفرنج إلى بلاد الشام .

واستمر الصليبيون في غاراتهم على الشام ومصر ، ينتصرون مرة ، وينهزمون أخرى نحو قرنين من الزمان ، حتى انتهى الأمر بطردهم نهائياً سنة ٦٩٠ هـ على يد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون^(٢) .

يقول ابن كثير : « في تلك السنة فتحت « عكا » وبقيّة السواحل التي كانت بأيدي الفرنج من مدد متطاولة ، ولم يبق فيها حجر واحد »^(٣) .

وقد ذكر البزار ما يدل على مشاركة الشيخ - رحمه الله - في فتح « عكا » فقال : « وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح « عكا » أموراً من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها .

قالوا : ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره »^(٤) .

وبينما كان المسلمون مشغولين بقتال الصليبيين ، دهمهم خطر التتار الذين قدموا بقيادة زعيمهم « جانكيز خان » يجتاحون البلاد الإسلامية ، وكانوا قوماً فيهم غلظة ، فأسرفوا في سفك الدماء ، ونهب الأموال ، وتخريب البلاد حتى سقطت بأيديهم بغداد عاصمة الخلافة سنة ٦٥٦ هـ ، وأحالوا هذه المدينة العامرة إلى خراب ، فأشعلوا النار في دورها ، وقتلوا الآلاف من

(١) انظر : الكامل لابن الأثير . ٢٧٢/١٠ - ٢٧٨ .

(٢) هو : خليل بن قلاوون الصالحي الملك الأشرف ، من ملوك مصر ، ولي بعد وفاة والده سنة ٦٨٩ هـ ، واستفتح بالجهاد ، فقصد البلاد الشامية ، وقاتل الفرنج واسترد منهم « عكا » و« صوراً » و« صيدا » و« بيروت » وبقيّة الساحل وتوغل في الداخل ، وكان شجاعاً مهيباً ، قتل غيلة بمصر سنة ٦٩٣ هـ .

انظر : فوات الوفيات - للكتبي - ٤٠٦/١ - ٤١٥ .

والأعلام - للزركلي - ٣٦٩/٢ .

(٣) البداية والنهاية - ٣٠٣/١٣ .

(٤) الأعلام العلية - أبو حفص البزار - ص ٦٣ ، ٦٤ .

وانظر : الكواكب الدرية - للإمام مرعي الحنبلي - ص ٩٢ .

أهلها ، وعلى رأسهم الخليفة العباسي المستعصم بالله^(١) .

وبعد استيلاء التتار على العراق وخراسان وغيرها من بلاد الشرق ، أصبح الطريق أمامهم مفتوحاً لغزو الشام ، فسارعوا بجيوشهم عبر الفرات وما لبثوا أن استولوا على حلب ثم دمشق ، حتى وصلوا بقيادة « هولاكو » إلى غزة في طريقهم إلى مصر ، لكن الملك المظفر « قطز »^(٢) - سلطان ديار مصر - باغتهم بجيش ، ودارت بينهم معركة في « عين جالوت »^(٣) سنة ٦٥٨ هـ ، انتهت بهزيمة التتار وفرارهم^(٤) .

لكن التتار عادوا مرة أخرى لغزو الشام سنة ٦٩٩ هـ ، وقصدوا دمشق ، فاجتمع أعيان البلد وتقي الدين بن تيمية ، واتفقوا على المسير إلى « قازان » - سلطان التتار - ومواجهته قبل دخوله دمشق ، وأخذ الأمان منه لأهلها ، فتوجهوا إليه ، وكلمه الشيخ كلاماً قوياً شديداً فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين^(٥) ، فحققت الدماء ، وحميت الذراري واندرح التتار بعد قدوم العساكر المصرية لمساعدة أهل الشام .

وكان رحمه الله يحث الناس على الجهاد والاستعداد له في أي لحظة ،

- (١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير - ٧٩/١٣ ، ٨٣ - ٨٨ ، ٩١ ، ١٩٠ - ١٩٤ .
وقد ذكر - رحمه الله - في ص ١٩٣ وصفاً محزناً لبغداد وحالة أهلها بعد سقوطها بأيدي التتار .
- (٢) هو : قطز بن عبد الله المعزي ، سيف الدين ، وثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام ، كان مملوكاً للمعز « أيبك التركماني » ، وكان شجاعاً مقداماً حازماً ، حسن التدبير ، وبعد قتال التتار وانتصاره عليهم ، قتل أثناء عودته لمصر على يد بيبرس وبعض أمراء الجيش سنة ٦٥٨ هـ .
انظر : فوات الوفيات - للكتبي - ٢٠١/٣ - ٢٠٣ .
والأعلام - للزركلي - ٤٧/٦ .
- (٣) عين جالوت : بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين كان الروم قد استولوا عليها مدة ثم استردها منهم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩ هـ .
انظر : معجم البلدان للحموي - ١٧٧/٤ .
- (٤) انظر : البداية والنهاية لابن كثير - ٢٠٧/١٣ - ٢١١ .
- (٥) المصدر السابق ٦/١٤ - ١٢ ، والأعلام العلية للبخاري - ص ٦٤ ، ٦٥ .

ويتلو عليهم آيات الصبر والجهاد ، ويجتمع بنواب قازان - بعد رجوعه - لتخليص أسرى المسلمين ، وقد فك أسر كثير منهم بسبب جهوده - رحمه الله - .

وفي سنة ٧٠٠ هـ جاءت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام ، ففزع الناس ، وشرعوا في الهروب من تلك الديار ، لكن الشيخ - رحمه الله - حرضهم على البقاء والمدافعة بالغالي والرخيص ، وذكرهم بفضل الجهاد ، وكلما اقترب التتار من دمشق زاد فزع الناس واضطرابهم وهروب البعض منهم ، خصوصاً بعد رجوع السلطان الناصر وعساكره إلى مصر من عرض الطريق ، وكان خرج منها إلى الشام لمساعدة أهلها ، مما جعل الشيخ - وبطلب من نائب دمشق - يتوجه إلى مصر بالبريد لحث السلطان على حماية دمشق ، إن كانت لهم بهم حاجة .

وقال لهم فيما قال : « إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ، ويستغله في زمن الأمن » .

ولم يزل الشيخ تقي الدين بهم حتى خرجت العساكر من مصر إلى الشام ، وحثهم على الجهاد ووعدهم بالنصر المؤزر ، لكن ملك التتار أحس بضعف جيشه فرجع ، وكفى الله المسلمين شرهم ^(١) .

وفي سنة ٧٠٢ هـ وردت الأخبار بعزم التتار على غزو الشام ، ففزع الناس - كما هي حالهم في كل مرة - وقدموا فعلاً إلى الشام ، وجاءت العساكر المصرية ، وخرج الشيخ إلى العسكر ، واجتمع بهم ووعدهم النصر وحث الأمراء على الصبر ومواصلة الجهاد وعدم التخاذل ، ووقعت معركة « شقحب » ^(٢) وشارك الشيخ - رحمه الله - فيها مشاركة فعلية بعد أن كاد يذب اليأس إلى قلوب الناس ، وبدأت مظاهر التفرق فيهم ، وأفتى - رحمه الله - بفطر الناس مدة قتالهم ، وأفطر هو - أيضاً - فانتصر المسلمون - بحمد الله -

(١) المصدر السابق ١٣/١٤ - ١٥ ، والعقود الدرية لابن عبد الهادي - ص ١١٩ .

(٢) شقحب : عين ماء جنوب دمشق بعد الكسوة على يمين الذهاب إلى حوران ، وهي الآن مزرعة تبعد أربعين كلم عن دمشق .

انظر : ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية - محمد كرد علي ، - ص ٢٣ ت (١) .

وغنموا مغنم كثيرة ، وخذل التتار وولوا مدبرين^(١) .

وفي سنة ٧٠٥ هـ ، كان لجماعة من التتار صولة على جيش حلب ، فخرج الشيخ أبو العباس ومعه طائفة من الجيش لغزوهم ، ثم تبعه نائب السلطان بما بقي من الجيوش الشامية ، وقد أبان الشيخ - رحمه الله - في هذه الغزوة علماً وشجاعة ملأت قلوب أعدائه حسداً وغمماً^(٢) .

فمن هذا العرض الموجز نجد أن حياة المسلمين السياسية في الفترة التي عاش فيها الشيخ مضطربة ، وقد أدى تلاحق الحوادث والحروب إلى عدم استقرارها ، ودفع بخيرة أبناء البلاد إلى الحرب والجهاد .

هذا بالنسبة للوضع السياسي خارج دولة المماليك .

أما في الداخل : فكان حكمهم يزخر بالفتن والاغتيالات والمؤامرات ، فما أن تهدأ الأمور وتسير في صالح سلطان حتى يتناول عليه أمير من الأمراء محاولاً اغتصاب السلطة . . . وهكذا ، فالقوة كانت إحدى مميزات هذه العصر^(٣) ، مما جعل السلاطين يعيشون في وضع غير مستقر ، لما يلاقونه ويتعرضون له من القتل والعزل والإذلال .

ومما لا شك فيه أن هذا الوضع المضطرب له الأثر السلبي على العلماء المعاصرين له الذين أخذوا العهد على أنفسهم بتوجيه الناس الوجهة الصالحة ، وبيان الحق لهم ، فكانوا يغضبون على تلك الطائفة التي تحاول إثارة الشغب بما تحيكة من المؤامرات ضد السلاطين ، خصوصاً وأنهم أظهروا الدفاع عن البلاد الإسلامية ، وحماية أهلها ، وصدوا هجمات التتار المتكررة - كما رأينا - وحرصوا على مصالح الرعية ، وأشاعوا العدل بينهم^(٤) .

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ١٩/١٤ - ٢٣ .

والكواكب الدرية - للإمام مرعي الحنبلي - ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير - ٣١/١٤ .

(٣) انظر : النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ٢٦٤/٨ - فما بعدها .

وحسن المحاضرة - للسيوطي - ١٠٥/٢ - ١١٤ .

(٤) انظر : النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - ١٦٣/٧ .

الناحية الاجتماعية :

المجتمع في مصر والشام - في هذه الفترة - يموج بأجناس كثيرة مختلفة في العادات والتقاليد والأخلاق ، فكما تقدم جاء الصليبيون وما يحملونه من عادات وأفكار من جهة ، وجاء التتار ومعهم تقاليدهم ومبادئهم من جهة ، وجاء بعض البغداديين إلى مصر ، وخرج البعض من مصر إلى الشام ، وذهب آخرون من الشام إلى مصر ، وقد امتزجت هذه الشعوب ببعضها في الحرب والسلم ، فكان منهم مجتمع مضطرب لا يعرف الاستقرار والسكون .
ويصور لنا المقريزي هذا المجتمع بقوله :

« ... فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال ، وبلاد القبجاق ، وأسروا كثيراً منهم وباعوهم ، تنقلوا في الأقطار ، واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية ، ومنهم ملك ديار مصر ، وأولهم المعز أيك ، ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت ، وهزم التتار ، وأسروا منهم خلقاً كثيراً صاروا بمصر والشام .

ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس ، وملؤوا مصر والشام ... فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغول ، وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم ، هذا وملوك مصر وأمرائها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعباً من « جنكيز خان وبنيه » وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم ، وكانوا إنما ربوا بدار الإسلام ، ولقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام الملة المحمدية ، فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد إلى الرديء ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية ، كتداعي الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك »^(١) .

فالمجتمع في هذا العصر تألف من :

طبقة الأمراء وعلى رأسهم السلطان : وهذه الطبقة لها الحظ الأوفر في

(١) الخطط - للمقريزي - ٢٢١/٢ .

النفوذ والجاه ، فقد اتخذت من ضعف البلاد ، وما حققته من انتصارات على الصليبيين والتتار مبرراً يبيح لها ما تستولي عليه من أموال الدولة .

طبقة العلماء والفقهاء : وقد كان البعض منهم يعتمدون الوظائف التي تسند إليهم ، فهم في عيش رغيد لما يقومون به من خدمة السلاطين ، وتنفيذ غاياتهم ، وتحقيق مآربهم^(١) .

لكن هذا لا ينطبق على البعض الآخر كابن تيمية - رحمه الله - فقد رأينا كيف كان يقف في وجه السلطان بمصر ويطلب منه التوجه إلى دمشق وحماية أهلها ، وإلا أقيم سلطان آخر يحميها ، ورأينا كيف وقف في وجه قازان ، وكلامه له بقوة وشدة ، حتى عاد نفع ذلك على المسلمين .

فالشيخ - رحمه الله - لم يكن ممن يمد يده ليأخذ ، ولا ممن يذل نفسه ليطلب ، بل كانت له اليد الطولى على أولئك السلاطين ، لما بذله من حث الناس على الجهاد وتهديئة فزعهم^(٢) ، ولمشاركته الفعالة في الجهاد - كما مر - إضافة إلى علوه عليهم بما حباه الله به من علم غزير دفعه إليه الحرص على إصلاح المجتمع والتزامه بتعاليم الكتاب والسنة عقيدة ومنهجاً وسلوكاً .

والطبقة الثالثة : عامة الشعب ، كالتجار والزراع والصناع وغيرهم ، وهؤلاء لا قوا العنت والظلم ، وعدم وصول أحدهم إلى ثمرة جهده وعمله ، وقد وقف العلماء والفقهاء مع هؤلاء ، ومنهم الشيخ - رحمه الله - لرفع الحيف عنهم ، وتوجيه الطبقة الحاكمة إلى ما يعود عليهم بالنفع ، ويدفع عنهم الأذى^(٣) .

(١) انظر : حسن المحاضرة - للسيوطي - ٩٧/٢ .

(٢) يذكر ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٩ هـ أن التتار لما هزموا جيش الناصر بن قلاوون ، وأصبحوا على أبواب دمشق ذعر الناس ، وفر كثير من العلماء ، حتى صار البلد شاغراً من الحكام ، لكن عالماً واحداً بقي مع العامة ولم يفر ولم يخرج ذلك هو ابن تيمية .

انظر : البداية والنهاية - ٧/١٤ .

(٣) انظر : ابن تيمية حياته وعصره وآراؤه وفقهه - لأبي زهرة - ص ١٤٨ - ١٥٣ .
ومنطق ابن تيمية ومنهجه الفكري - د . محمد حسني الزيني - ص ٢٢ ، ٢٥ .

الناحية العلمية :

القرون الثلاثة : السادس والسابع والثامن ، كما يقول الشيخ أبو زهرة : « امتازت بكثرة العلم ، لا بكثرة الفكر ، فقد كانت المعلومات كثيرة جداً وتحصيلها كان بقدر عظيم ، وعكوف الناس عليها كان كبيراً ، ولكن التفكير المطلق في مصادرها ومواردها ، والمقايسة بين صحيح الآراء وسقيمها مقايسة حرة من التعصب الفكري ، والتحيز المذهبي ، لم يكن بقدر يتناسب مع تلك الثروة المثرية التي توارثتها الأجيال ، فقد كانوا يتلقونها ويستحفظون عليها ، ولكن لا يقدرونها حق قدرها بالنظر الفاحص المجرد ، أو النظر الذي يعم كل الجوانب ، لا ينحاز إلى جانب من الجوانب وينظر من زاويته دون ما سواه . فجاء ابن تيمية وفكر في هذه الثروة ، ونظر إليها من كل جوانبها »^(١) .

ولعل من المفيد أن نذكر بعض المدارس التي كان نشاطها ظاهراً في تلك الفترة ، وكانت من العوامل التي ساعدت على طلب العلم وتحصيله إضافة إلى الموسوعات العلمية الكبيرة ، وخزائن الكتب المتفرقة في البلاد الإسلامية ، وخصوصاً في مصر والشام ، والرجال الذين وقفوا أنفسهم على شرح الكتب المتوارثة وتوضيحها وردها إلى مصادرها الأولى .

فمن المدارس المشهورة التي قصدتها طلاب العلم بمصر :

١ - المدرسة الكاملة ، نسبة إلى الملك الكامل ، وقد أنشئت سنة ٦٢٢ هـ وتعد الدار الثانية للحديث بعد المدرسة العادلية الكبرى بدمشق .

٢ - المدرسة الظاهرية : وتنسب إلى الظاهر بيبرس ، بدأ في عمارتها سنة ٦٦٠ هـ ، وفرغ منها سنة ٦٦٢ هـ ، وقد أنشأ بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم ، ودرس بها جماعة من العلماء .

٣ - المدرسة المنصورية : نسبة إلى الملك المنصور قلاوون ، وقد رتب بها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة ، ودرساً للطب ، وكان المدرسون

(١) ابن تيمية - حياته وعصره وآراؤه وفقهه - لأبي زهرة - ص ١٥٦ .

يختارون من الفقهاء المشهورين ، ويجوارها « القبة المنصورية » بها خزانة كتب في سائر أنواع العلوم .

٤ - المدرسة الناصرية : نسبة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد تم بناؤها سنة ٧٠٣ هـ ، وأول من قام بالتدريس بها القاضي ابن مخلوف المالكي^(١) .

ومن المدارس بالشام :

١ - المدرسة الظاهرية : التي بناها الملك الظاهر سنة ٦٧٠ هـ ، وأول من درس بها الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي^(٢) .

٢ - المدرسة العادلية الكبرى : نسبة إلى الملك العادل سيف الدين ، الذي توفي قبل إتمامها ، فأتمها ابنه الملك المعظم ، وأوقف عليها أوقافاً ، وقد درس بها جماعة من القضاة^(٣) .

إضافة إلى الجوامع التي يلقي بها الدروس ، ولقيت عناية من السلاطين ، كجامع ابن طولون ، والجامع الأزهر ، وجامع الحاكم وغيرها^(٤) .

فهذه الجوامع كان لها أثر بارز في النهضة العلمية في هذا العصر ولكن - كما قلنا - كانت السمة البارزة قلة الإنتاج والجمود الفكري ، وأصبح الجهد مقصوراً على جمع المعلومات المتعلقة بكل فن ، وتأليف الكتب المطولة والمختصرة فيها ، ولا أثر للابتكار والتجديد .

ولكن هذا لا يمنع من القول : إن هناك علماء بارزين على الساحة ،

(١) انظر عن هذه المدارس وغيرها في :

الخطط المقرية - لأبي العباس المقريري - ٣٧٥/٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ،

٣٨٢ .

وحسن المحاضرة - للسيوطي - ٢٦٢/٢ - ٢٦٥ .

(٢) الدارس في تاريخ المدارس - للنعمي - ٣٤٩/١ - ٣٥٩ .

(٣) المصدر السابق ٣٥٩/١ - ٣٦٧ .

(٤) انظر : الخطط المقرية - لأبي العباس المقريري - ٢٦٥/٢ - ٢٦٩ ، ٢٧٣ -

٢٧٩ .

أضأوا الشموع وبهروا العقول ، فكان لهم دور كبير في النهضة العلمية لهذا العصر وما تلاه من عصور ، كابن تيمية - رحمه الله - فمن طالع مؤلفاته وما أثرى به المكتبة العربية والإسلامية رأى النضوج الفكري ، ومقايسة الأقوال بمقياس الكتاب والسنة ، بعيداً عن التقليد والتبعية التي مني بها علماء عصره ، فكانت محل خلاف بينه وبينهم ، فالشيخ - رحمه الله - يتبع الدليل ولا يهمه القائل كائناً من كان ، فإذا استقام القول مع منهجه في الاستدلال أخذته وقبله وحث عليه ، وإلا رده وحذر منه .

وأختم الكلام على الناحية العلمية بذكر بعض ما قاله العلماء المعاصرون للشيخ - مما يدل على غزارة علمه في كل فن ، وعمق تفكيره ، واستقلاله ، وكثرة مطالعته :

يقول الذهبي - فيما نقله عنه ابن عبد الهادي : « . . . صنف التصانيف ، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه ، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ^(١) ، ومعرفته بالتفسير إليها انتهى ، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقيمه^(٢) فيما يلحق

(١) منهم - كما ذكره الذهبي في « تذكرة الحفاظ » ٤/١٤٩٦ :

زين الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي ، أحد شيوخ الحنابلة ، عالم بالحديث - توفي سنة ٦٦٨ هـ .

انظر : فوات الوفيات - لابن شاعر - ٨١/١ ، ٨٢ .

وأبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي الدمشقي ، الكاتب المنشي ، أثنى عليه غير واحد - توفي سنة ٦٧٢ هـ .

انظر : البداية والنهاية - لابن كثير - ٢٥٤/١٣ .

وأبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع الحرائي الحنبلي ، المعروف بابن الصيرفي ، كان إماماً عالمياً صاحب عبادة وتهجد ، وصفات حميدة ، توفي سنة ٦٧٨ هـ .

انظر : شذرات الذهب - لابن العماد - ٣٦٣/٥ .

(٢) والقارئ لهذا الكتاب الذي أقوم بتحقيقه الواقف على ما فيه من أحاديث وآثار =

فيه ، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين - فضلاً عن المذاهب الأربعة - فليس له نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له نظيراً ، ويدري جملة صالحه من اللغة ، وعربيته قوية جداً ، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب . . . »^(١) .

وقال : « وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، وقل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة ، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصنف فيها ، واحتج لها بالكتاب والسنة . . . وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين ، بل بما قام الدليل عليه عنده .

ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية ، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها .

وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا ، وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه ، وبدعوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لا يدهن ولا يحابي ، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده ، وحدة ذهنه ، وسعة دائرته في السنة والأقوال ، مع ما اشتهر عنه من الورع ، وكمال الفكر ، وسرعة الإدراك والخوف من الله العظيم . . . »^(٢) .

وقال جمال الدين أبو الحجاج المزي^(٣) : « . . . ما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله ، وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه »^(٤) .

= يظهر له ذلك عياناً .

- (١) العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٢٣ .
- (٢) الكواكب الدرية - للإمام مرعي الحنبلي - ص ٦٣ .
- (٣) يوسف المزي الحافظ الناقد - صاحب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، المتوفى سنة ٧٤٢ هـ .
- انظر : الدرر الكامنة - لابن حجر - ٢٣٣/٥ - ٢٣٧ .
- (٤) العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٧ .

وقال القاضي أبو الفتح بن دقيق العيد^(١) : « لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه ، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد . . . »^(٢) .

وقال العلامة ابن الزملكاني^(٣) : « . . . كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم ، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسويين إليه ، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين »^(٤) .



-
- (١) هو : محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، ولي قضاء الديار المصرية ، وأحد علماء وقته ، وصاحب التصانيف الكثيرة - توفي سنة ٧٠٢ هـ .
انظر : شذارت الذهب - لابن العماد - ٥ / ٦ ، ٦ .
- (٢) الكواكب الدرية - للإمام مرعي الحنبلي - ص ٥٦ .
- (٣) هو : محمد بن علي بن عبد الواحد كمال الدين بن الزملكاني الشافعي ، انتهت إليه رئاسة المذهب ، وكان يعظم الشيخ ويثني عليه ، لكنه اعترض عليه في مسألتها الطلاق والزيارة ، توفي سنة ٧٢٧ هـ .
انظر : طبقات الشافعية - للسبكي - ١٩٠ / ٩ - ٢٠٦ .
- (٤) العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٧ ، ٨ .

الفصل الثالث

محنته ووفاته

محنته :

ولاشك أن عالماً بهذه المثابة من العلم وغزارته ، ومن الفكر واستقلاله ، وما نتج عن ذلك من المؤلفات الكثيرة التي اعترف العلماء المعاصرون له بالعجز عن حصرها ، ومن الشجاعة ما جعلته يقف في وجه التتار - كما تقدم - إضافة إلى محاربتة أهل الأهواء والبدع في عصره فكان له موقف مع الشيعة الباطنية ممن مالوا التتار والنصارى^(١) - كما نصب نفسه لكشف أستار أهل التصوف ، الذين اتخذوا الشعوذة سبيلاً للتأثير على العامة ، إضافة إلى ممالأتهم للتتار ، كما كانت له - رحمه الله - مواقف مع الفقهاء في عصره ممن جرفهم تيار التعصب المذهبي ، والجمود الفكري إلى تقليد من سبقهم ، فكان كل رأي فقهي أو عقدي له أتباع يتبعونه ، ويرون أنه الصواب ، وما سواه الخطأ ، حتى ولو ظهر لهم أن الصواب خلافه .

إن عالماً بهذه الخصال التي يفتقدها معاصروه لا بد وأن يكون له حساد يتربصون به الدوائر ، ويحاولون الخلاص منه ، فلم تفتقر جهودهم ولم تلن عزائمهم في سبيل تحقيق هذه الغاية .

فأول محنة وقعت للشيخ - كما نقلها الثقات - سنة ٦٩٨ هـ ، عندما أرسل إليه أهل حماة يسألونه عن الصفات التي وصف الله بها نفسه في القرآن (١) وقد كتب - رحمه الله - رسالة إلى السلطان الناصر يحذره منهم ، ويبين له حقيقة أمرهم وأحوالهم .

وقد أوردها ابن عبد الهادي في « العقود الدرية » ص ١٨٢ فما بعدها .

الكريم ، فألف الحموية^(١) جواباً لسؤالهم ورجح مذهب السلف على مذهب المتكلمين وشنع عليهم ، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن .

يقول ابن كثير - رحمه الله : « . . . قام عليه جماعة من الفقهاء ، وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي ، فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة ، المسماة بـ « الحموية » فانتصر له الأمير سيف الدين جاغان ، وأرسل يطلب الذين قاموا عنده فاختمى كثير منهم ، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة ، فسكت الباقون ، فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته ، وفسر في قوله تعالى : ﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢) ، ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين يوم السبت ، واجتمع عنده جماعة من الفضلاء ، وبحثوا في الحموية وناقشوه في أماكن فيها ، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير ، ثم ذهب الشيخ تقي الدين ، وقد تمهدت الأمور ، وسكنت الأحوال ، وكان إمام الدين معتقده حسناً ، ومقصده صالحاً^(٣) .

وبعد هذه الحادثة بسبع سنين^(٤) - أي في سنة ٧٠٥ هـ - تحرك المناوئون والخصوم للشيخ ، فجاء الأمر من مصر بأن يسأل عن معتقده ، فجمع له القضاة ، والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم .

(١) يقول مرعي الحنبلي في « الكواكب الدرية » ص ١١٢ :

« أُلِّفَها الشيخ - رحمه الله - وعمره دون الأربعين سنة ثم انفتح له - بعد ذلك - من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع ما لا يوصف ، ولا يعبر عنه ، وجرى له من المناظرات العجيبة ، والمباحثات الدقيقة - مع أقرانه وغيرهم - في سائر العلوم ما تضيق عنه العبارة ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه » .

(٢) سورة القلم . الآية ٤ .

(٣) البداية والنهاية ٤ / ١٤ ، ٥ .

وانظر : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ١٩٥ .

والكواكب الدرية - للإمام مرعي الحنبلي - ص ١٠٢ .

(٤) لعل الحروب التي اجتاحت البلاد الشامية من قبل التتار في هذه الفترة شغلت الخصوم عن نفث السموم ، وإشعال الفتن ضد الشيخ - رحمه الله .

فقال : « أنا كنت قد سئلت عن معتقد أهل السنة ، فأجبت عنه في جزء من سنين »^(١) . وطلبه من داره ، فأحضر وقرأه .

فنازعوه في موضعين ، أو ثلاثة منه ، وطال المجلس ، فقاموا ، واجتمعوا مرتين - أيضاً - لتتمة الجزء ، وحاققوه^(٢) .

ثم رفع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد ، وبعضهم قال ذلك كرهاً ، وكان المصريون^(٣) قد سعوا في أمر الشيخ ، وملؤوا ركن الدين الجاشنكيز^(٤) - الذي تسلطن بمصر - فطلب إلى مصر على البريد .

وفي ثاني يوم من دخوله اجتمع القضاة والفقهاء بقلعة مصر ، وانتصب له خصماً شمس الدين بن عدلان ، وادعى عليه عند ابن مخلوف القاضي المالكي أنه يقول : إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت ، وأنه تعالى على العرش بذاته ، وأن الله يشار إليه بالإشارة الحسية^(٥) .

وقال : أطلب عقوبته على ذلك .

فقال القاضي : ما تقول يا فقيه ؟

فحمد الله وأثنى عليه .

ف قيل له : أسرع ، ما أحضرناك لتخطب .

فقال : أومع الثناء على الله ؟

فقال القاضي : أجب ، فقد حمدت الله .

(١) يشير - رحمه الله - إلى العقيدة الواسطية التي ألفها قبل سبع سنين من هذه الحادثة وقبل مجيء التتار إلى الشام .

(٢) انظر ما حصل للشيخ في هذه الاجتماعات في :

العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٢٠٦ - ٢٤٨ .

والبداية والنهاية - لابن كثير - ٣٢/١٤ ، ٣٣ .

(٣) كالشيخ نصر المنبجي ، والقاضي ابن مخلوف ، وغيرهما .

(٤) حيث أوهمه نصر المنبجي أن ابن تيمية سوف يخرجهم من الملك ، ويقيم غيرهم ، وأنه مبتدع .

انظر : الكواكب الدرية - للإمام مرعي الحنبلي - ص ١٢٨ .

(٥) هذه المسائل هي التي دفعت الشيخ - رحمه الله - إلى تفصيل القول فيها في كتابه « التسعينية » .

فقال : ومن الحاكم فيّ ؟

قيل له : القاضي المالكي .

قال : كيف يحكم فيّ وهو خصمي ؟ وغضب غضباً شديداً ، وانزعج .

فأقيم مرسماً عليه ، وحبس في برج أياماً .

ثم نقل منه ليلة عيد الفطر إلى السجن المعروف بـ « الجب » بقلعة الجبل ، هو وأخواه شرف الدين عبد الله ، وزين الدين عبد الرحمن^(١) .

وبعد أكثر من سنة^(٢) ، أحضر نائب السلطنة سيف الدين سلار القضاة الثلاثة : الشافعي ، والمالكي ، والحنفي ، ومن الفقهاء الباجي ، والجزري ، والنمراوي ، وتكلم في إخراج الشيخ من الحبس .

فاتفقوا على أن يشترط عليه أمور ، ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك ، فلم يجب إلى الحضور ، وتكرر الرسول إليه في ذلك مراراً ، وصمم على عدم الحضور^(٣) ، فطال عليهم المجلس ، وانصرفوا عن غير شيء .

وفي شهر ذي الحجة^(٤) من هذه السنة طلب أخوا الشيخ : شرف الدين ، وزين الدين ، من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلار ، وحضر ابن مخلوف المالكي ، وطال بينهم كلام كثير ، فظهر شرف الدين بالحجة على ابن مخلوف بالنقل والدليل والمعرفة ، وخطأه في مواضع ادعى فيها دعاوى باطلة ، وكان الكلام في مسألة العرش ، ومسألة الكلام ، ومسألة النزول .

وفي ثاني يوم^(٥) أحضر الشيخ شرف الدين وحده إلى مجلس نائب

(١) انظر : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ١٩٦ ، ١٩٧ (بتصرف) .

(٢) في ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمئة من الهجرة .

(٣) لعل امتناع الشيخ - رحمه الله - عن الحضور وتصميمه على ذلك ، أنه رأى أنهم ليسوا طلاب حجة وبحث عن الحقيقة ، وإنما يريدون أن يفرضوا عليه رأيهم من غير مناقشة ويلزموه باعتراف عقيدتهم المخالفة للمنهج الحق .

(٤) يوم الخميس السابع والعشرين منه .

(٥) يوم الجمعة الثامن والعشرين .

السلطان ، وحضر ابن عدلان ، وتكلم معه الشيخ شرف الدين ، وناظره وبحث معه ، وظهر عليه^(١) .

وفي شهر صفر^(٢) من سنة سبع وسبعمائة ، اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين في دار الأوحدي بالقلعة بكرة الجمعة ، وتفرقا قبل الصلاة ، وطال بينهما الكلام .

وفي شهر ربيع الأول^(٣) من هذه السنة دخل الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى - ملك العرب - إلى مصر ، وحضر بنفسه إلى العجب ، فأخرج الشيخ تقي الدين - بعد أن استأذن في ذلك - إلى دار نائب السلطنة بالقلعة ، وحضر بعض الفقهاء ، وحصل بينهم بحث كبير ، وفرقت بينهم صلاة الجمعة . ثم اجتمعوا إلى المغرب ، ولم يفصل الأمر^(٤) .

ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان ، وحضر جماعة من الفقهاء ولم يحضر القضاة ، وطلبوا ، فاعتذر بعضهم بالمرض ، وبعضهم بغيره^(٥) ، وانفصل المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة .

وكتب - رحمه الله - بكرة الإثنين كتاباً إلى دمشق يتضمن خروجه ، وإقامته بدار شقير بالقاهرة ، وأن نائب السلطان طلب تأخره عن الأمير مهنا أياماً ليرى الناس فضله ، ويحصل لهم الاجتماع به .

وكانت مدة إقامته - رحمه الله - بالسجن ثمانية عشر شهراً^(٦) .

بقي الشيخ نحو ستة أشهر أو تزيد يدعو الناس ويرشدهم ، وانتفع به

(١) انظر : البداية والنهاية - لابن كثير - ٢٦/١٤ ، ٢٧ .

والكواكب الدرية - لمرعي الحنبلي - ص ١٢٩ - ١٣١ .

(٢) يوم الجمعة رابع عشر منه .

(٣) يوم الجمعة الثالث والعشرين منه .

(٤) انظر : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٥) وذلك كما يقول ابن كثير : « لمعرفتهم بما ابن تيمية منظوي عليه من العلوم والأدلة وأن أحداً من الحاضرين لا يطيقه » .

(٦) انظر : البداية والنهاية لابن كثير - ٣٩/١٤ .

والكواكب الدرية - لمرعي الحنبلي - ص ١٣١ .

خلق كثير ، إلى أن تكلم في الاتحادية القائلين بوحدة الوجود ، وهم : ابن عربي ، وابن سبعين ، والقونوي ، وغيرهم^(١) ، فتحزب عليه الصوفية ، وذهبوا إلى القلعة في جموع كثيرة يشكون ابن تيمية للسلطان ، وادعوا أنه يسب مشايخهم ، ويضع من قدرهم عند الناس .

فأمر السلطان أن يعقد له مجلس بدار العدل .

وفي يوم الثلاثاء العاشر من شهر شوال سنة سبع وسبعمائة ، عقد له المجلس ، فأظهر فيه - رحمه الله - من العلم ، والشجاعة ، وقوة القلب ، وصدق التوكل ، ما يتجاوز الوصف .

ولكن كثرت الضججات ، وزادت المجادلات ، التي لم تجد الدولة سبيلاً لإخمادها إلا بتخيير الشيخ بين ثلاثة أمور :

- أن يسير إلى دمشق .

- أو أن يذهب إلى الإسكندرية .

وهو مقيد في دمشق والإسكندرية بشروط .

- أو الحبس .

فاختار - رحمه الله - الحبس^(٢) ، لكن تلاميذه ومحبيه طلبوا منه السفر إلى دمشق على ما شرطوا ، فأجابهم إلى ما طلبوا تطبيقاً لخاطرهم وركب البريد في الثامن عشر من شهر شوال من هذه السنة ، ثم أرسل من الغد بريد آخر خلفه فرده إلى مصر ، وحضر عند القاضي بدر الدين بن جماعة وجماعة من الفقهاء .

فقال بعضهم له : ما ترضى الدولة إلا بالحبس ، فقال القاضي ابن جماعة : وفيه مصلحة له .

فاستتاب شمس الدين التونسي المالكي ، وأذن له أن يحكم عليه

(١) من خلال التحقيق لهذا الكتاب عرفت بالاتحادية وبأصحابها .

(٢) يقول أبو زهرة - في كتابه « ابن تيمية - حياته وعصره وفقهه » ص ٦٦ :

« وأنه إذ يختار الحبس يختار تقييد الجسم من الحركة ، وقد ارتضاه عن تقييد الفكر واللسان ، فإن الحرية التي تملأ نفس العالم ليست هي حرية الانتقال من مكان إلى مكان ، إنما هي حرية الفكر وجولاته ، ونشر تفكيره وآرائه ... » .

بالحبس ، فامتنع ، وقال : ما ثبت عليه شيء .
فأذن لنور الدين الزاوي المالكي ، فتحرير .
فلما رأى الشيخ - رحمه الله - توقفهم في حبسه ، قال : أنا أمضي إلى
الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة .
فقال نور الدين : يكون في موضع يصلح لمثله .
فقيل له : الدولة ما ترضى إلا بمسمى الحبس .
ثم أرسل بعد هذا إلى حبس القضاة ، وأذن بأن يكون عنده من يخدمه .
وكان كل ذلك بإشارة نصر المنبجي ، ووجهته في الدولة^(١) .
ومكث الشيخ في الحبس يستفتى ، ويقصده الناس ، ويزورونه ،
ويكتب لهم بما يحير العقول من المسائل التي عجز غيره عن الإفتاء بها ،
فالتف الناس حوله ، وكثر اجتماعهم به وترددهم عليه .
فأثار هذا حفيظة أعدائه ، وحصرت صدورهم ، مما جعلهم ينقلونه إلى
الإسكندرية^(٢) في آخر شهر صفر من سنة تسع وسبعمائة ، وحبس ببرج منها
ثمانية أشهر زاول خلالها - رحمه الله - ما عرف عنه من الوعظ وتوجيه الناس ،
فكان يقصده الأعيان والفقهاء يقرؤون عليه ، ويستفيدون منه .
وفي اليوم الثامن من شهر شوال من هذه السنة بادر الملك الناصر بعد
دخوله إلى مصر واستعادة ملكها بإحضار الشيخ من الإسكندرية ، فخرج منها
الشيخ ، ووصل إلى القاهرة في الثامن عشر من الشهر المذكور واجتمع
بالسلطان يوم الجمعة الرابع والعشرين منه ، فأكرمه وأحسن استقباله ، وتلقاه
في مجلس^(٣) حفل فيه قضاة وفقهاء مصر والشام ، وأصلح بينه وبينهم .

(١) انظر : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٢٦٧ - ٢٦٩ .

والكواكب الدرية - لمرعي الحنبلي - ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) يذكر ابن كثير - في « البداية والنهاية » ٤٣/١٤ : أن الجاشنكي وشيخه المنبجي
أرادا من نقله إلى الإسكندرية كهيئة المنفي ، لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه
فيقتله غيلة ، لأن الشيخ كان يتكلم فيهما وفي ابن عربي وأتباعه ، وكان الأمر
على خلاف ما أرادا ، فازداد حب الناس للشيخ وتعلقهم به .

(٣) انظر ما دار في هذه المجلس من استقبال حافل للشيخ وثناء السلطان عليه في =

ثم أخذ الشيخ - رحمه الله - يبت العلم وينشره في القاهرة ، والخلق يقرؤون عليه ، ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة ، واستمر على ذلك إلى أن عاد إلى دمشق في اليوم الأول من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ومعه أخواه وجماعة من أصحابه ، وكانت مدة غيبته عنها سبع سنين وسبع جمع^(١) .

وبعد وصوله دمشق واستقراره بها زاول نشاطه العلمي ، فصنف الكتب ، وأفتى الناس بالكلام والكتابة المطولة ، ونفع الخلق ، والإحسان إليهم ، والاجتهاد في الأحكام الشرعية ، فصار - رحمه الله - يفتي بما قام الدليل عليه عنده^(٢) .

وفي منتصف شهر ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، أشار القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي ، على الشيخ بترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق ، فقبل الشيخ إشارته ، وعرف نصيحته ، وأجاب إلى ذلك .

وفي مستهل شهر جمادى الأولى من هذه السنة ورد كتاب السلطان بمنع الشيخ من الإفتاء في هذه المسألة ، فامتنع الشيخ فترة ، لكنه عاد إلى الإفتاء بذلك ، وقال : لا يسعني كتمان العلم .

وفي شهر رمضان من السنة المذكورة ، اجتمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطان بدار السعادة ، وأحضر الشيخ ، وعتب على فتياه بعد المنع ، وأكد عليه المنع مرة أخرى .

وفي شهر رجب من سنة عشرين وسبعمائة ، اجتمع القضاة والفقهاء وجماعة من المفتين بدار السعادة ، وحضر الشيخ ، وعاودوه في الإفتاء بمسألة الطلاق ، وعاتبوه على استمراره في الإفتاء بها ، وحبسوه بالقلعة ، وبقي بها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً .

ثم ورد مرسوم بإخراجه يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين وسبعمائة .

= العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٢٧٨ - ٢٨١ .

(١) انظر : الكواكب الدرية - لمرعي الحنبلي - ص ١٤٠ .

(٢) ذكر ابن عبد الهادي في « العقود الدرية » ص ٣٢١ فما بعدها بعض فتاوى الشيخ في دمشق واختياراته التي خالف فيها المذاهب الأربعة ، أو بعضها .

ثم لم يزل الشيخ - على عادته - يعلم الناس ، ويلقي الدروس في أنواع العلوم^(١) .

وفي سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع كلام في مسألة شد الرحال^(٢) ، وإعمال المطي إلى قبور الأنبياء والصالحين ، وكثر القيل والقال بسبب عثور أهل الأهواء على جواب للشيخ في هذه المسألة حرف فيه ، ونقل عنه ما لم يقل به ، وقد تحققت مآرب أعدائه عندما ورد مرسوم السلطان بسجنه في القلعة يوم الإثنين السادس من شهر شعبان من السنة المذكورة وقد ظهر صدق توكله - رحمه الله - واعتماده على ربه عندما أظهر السرور بذلك ، وقال : أنا كنت منتظراً ذلك ، وفيه خير عظيم^(٣) .

وفاته :

بقي الشيخ - رحمه الله - مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً ولم يزل في هذه المدة مكباً على العبادة والتلاوة والتصنيف والرد على المخالفين إلى أن توفي ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل مثوبته ، وأسكنه فسيح جناته .

- (١) انظر بتصرف : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٣٢٥ - ٣٢٧ .
والكواكب الدرية - لمرعي الحنبلي - ص ١٤٥ - ١٤٧ .
- (٢) أورد ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» ص ٣٣٠ - ٣٦٠ صورة السؤال عن هذه المسألة وجواب الشيخ عنه وما وقع فيه من التحريف .
وقد بسط الشيخ - رحمه الله - الكلام على هذه المسألة في عدد من كتبه ، انظر : قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة - وبخاصة ص ٧١ فما بعدها .
اقتضاء الصراط المستقيم - ٧٦١/٢ - ٧٦٦ ، ٨٠٣ - ٨٠٧ .
ومجموع الفتاوى - ج ٢٧ - وبخاصة ٢٥ - ٣٥ ، ٣٤٢ - ٣٨٥ .
- (٣) انظر : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٣٢٥ - ٣٢٩ .
والكواكب الدرية - لمرعي الحنبلي - ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

الباب الثاني

كتابه التسعينية ودراسة بعض مسائله

الفصل الأول

التعريف بالكتاب

سبب تأليفه :

شيخ الإسلام - رحمه الله - بين السبب الداعي لتأليف هذا الكتاب في مقدمة الكتاب ، وأنه رَدُّ حَمَلِه الرسولين اللذين تكرر مجيئهما من عند الأمراء والقضاة والفقهاء المجتمعين لبحث موضوع خروج الشيخ من السجن .

وأن المطلوب حضوره لمخاطبة القضاة ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ست وسبعمائة ، وامتنع الشيخ من الحضور ، وصمم على ذلك - كما سيرد -^(١) وقد أعطى الرسولين نسخة من العقيدة الواسطية ، وحملهما بيان أن هذه اعتقاده فمن أنكر شيئاً فليكتب ما ينكره وحجته ليكتب جوابه ، فأخذ الرسولان العقيدة وذهبا ، ثم عادا ومعهما ورقة^(٢) ، لم يذكر فيها شيء من الاعتراض على عقيدته ، بل أنشؤا فيها كلاماً لفظه :

« الذي يطلب منه أن يعتقد أن ينفي الجهة عن الله والتحيز ، وأن لا يقول : إن كلام الله حرف وصوت قائم به ، بل هو معنى قائم بذاته ، وأنه - سبحانه - لا يشار إليه بالأصابع إشارة حسية .

ويطلب منه أن لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام ، ولا يكتب بها إلى البلاد ، ولا في الفتاوى المتعلقة بها ، فلما أراني الورقة كتبت جوابها فيها مرتجلاً مع استعجال الرسول^(٣) .

(١) في ص ١١٠ .

(٢) ذكر الرسول أن هذه الورقة كتبها بعد أن كتبوا قبلها أوراقاً ثم قطعوها .

انظر : ص ١١٣ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .

(٣) راجع ص ١١٣ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .

ثم ذكر - رحمه الله - إجابته المختصرة التي تتناسب مع استعجال الرسول له بسرعة الرد^(١) .

ثم فصل الجواب من وجوه عديدة تألف منها هذا الكتاب الذي بين أيدينا^(٢) .

تسميته :

نحن هنا أمام ظاهرة برزت في مؤلفات شيخ الإسلام - رحمه الله - وهي وجود أكثر من اسم للمؤلف الواحد ، وأن الشيخ يستعمل - كذلك - أكثر من اسم لمؤلف من مؤلفاته ، وهذا يجعلنا أمام احتمالين :

الأول : أن الشيخ - رحمه الله - كان يطلق أكثر من اسم على المؤلف الواحد ، لتعدد الموضوعات التي يطرقها ، والأساليب التي يواجه بها الآخرين ، فإذا ما جاء ذكر معنى من المعاني أثناء مناقشته يتعلق بكتاب من كتبه ، فقد يذكر اسم الكتاب مغلباً ما يتصل بالمعنى الذي يناقشه ، وهذا كما جاء في حديثه عن كتاب « نقض التأسيس » فقال^(٣) : « ... بيان تلبس من الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ويسمى - أيضاً - تخليص التلبس من كتاب التأسيس » .

الثاني : أن تلامذته قد عرفوا عنه هذا التوسع في إطلاق عناوين كتبه ورسائله فتعددت أسماء الكتب من قبلهم ، وقد رجح هذا الاحتمال كثير ممن عني بكتب شيخ الإسلام - رحمه الله^(٤) .

والكتاب الذي بين أيدينا له أكثر من اسم .

ففي الأصل^(٥)

(١) راجع هذه الإجابة المختصرة من ص ١١٠ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .

(٢) من ص ١١٩ حتى آخر الكتاب .

(٣) انظر ص ٣٨٩ من قسم التحقيق لهذا الكتاب .

(٤) انظر : ما ذكره الشيخ محب الدين الخطيب في تعليقه بالهامش رقم (١) ص ١٧ من كتاب « المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي » .

(٥) وهي النسخة التي اعتمدها أصلاً في تحقيق هذا الكتاب .

عنوانه « التسعينية في الرد على من قال بالنفسي » لشيخ الإسلام العلامة ابن تيمية - رحمه الله .

وجاء في (س) (١) : « هذه الرسالة المسماة بالتسعينية » من كلام شيخ الإسلام ، بحر العلوم العقلية والنقلية ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - قدس الله روحه - .

وفي (ط) (٢) : « كتابه المنعوت بالتسعينية في الرد على الطوائف الملحدة والزنادقة والجهمية والمعتزلة ، وغيرهم ممن نحا نحوهم من تسعين وجهاً » .

أما ابن عبد الهادي (ت ٧٤٤ هـ) فإنه قال (٣) عندما ذكر مصنفات الشيخ : « وله كتاب في محنته بمصر ، مجلدان رد فيه على القائلين بالكلام النفسي من نحو ثمانين وجهاً .

وتابع ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) في كتابه « أسماء مؤلفات ابن تيمية » (٤) ابن عبد الهادي في هذه التسمية .

لكن نجده - رحمه الله - في القصيدة النونية (٥) ينص على تسمية الكتاب بالتسعينية ، وأن سبب التسمية - كما سيأتي - الرد على القائلين بالكلام النفساني من تسعين وجهاً ، فقال :

وكذاك تسعينية فيها له رد على من قال بالنفساني
تسعون وجهاً بينت بطلانه أعني كلام النفس ذا الوجدان
وقال - رحمه الله - في كتابه « بدائع الفوائد » (٦) بعد أن ذكر أن الكلاية انفردت عن جميع الطوائف بالقول : إن معاني التوراة والإنجيل والزبور

(١) وهي إحدى النسخ التي اعتمدها في التحقيق .

(٢) وهو الكتاب المطبوع الذي اعتمده كنسخة في التحقيق ورمزت له بـ (ط) وسيأتي الكلام على هذه النسخ الثلاث مفصلاً عند الكلام على وصفها .

(٣) العقود الدرية - ص ٣٦ .

(٤) انظر ص ٢١ .

(٥) وهي المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ص ١٦٥ .

(٦) ١١٥/٢ .

والقرآن وسائر الكتب المنزلة واحد- : « . . . وهذا قول يقوم على بطلانه
تسعون برهاناً لا تندفع ، ذكرها شيخ الإسلام في الأجوبة المصرية . . . » .
أما ابن شاکر الکتبی^(١) - (ت ٧٦٤ هـ) ، وصلاح الدين الصفدي^(٢)
(ت ٧٦٤ هـ) فكلاهما ذكر أن من مصنفات الشيخ في الأصول : « إبطال
الكلام النفساني » أبطله من نحو ثمانين وجهاً .
كما ذكر ابن رجب^(٣) (ت ٧٩٥ هـ) أن من أعيان المصنفات الكبار التي
ألفها بمصر « المحنة المصرية » مجلدان .

هكذا نجد الكتاب سمي بأكثر من اسم ، وعنون له بأكثر من عنوان ،
لكن مما تقدم نستطيع القول بأن الاسم الذي ورد في الأصل هو المناسب لأن
يكون عنواناً لهذا الكتاب ، لأنه يجمع أكثر العناوين الواردة في المصادر الآتية
الذكر ، لكن نضيف إليه كلمة « بالكلام » الواردة عند ابن عبد الهادي ، وابن
القيم ، وابن شاکر ، والصفدي ، ويكون اسمه :

(التسعينية في الرد على من قال بالكلام النفسي)

سبب التسمية :

يعود سبب تسميته بـ « التسعينية » إلى الوجوه التي أبطل بها الشيخ
- رحمه الله - دعوى القول : إن كلام الله معنى قائم بالنفس بنحو من تسعين
وجهاً ، فسمي الكتاب نسبة إلى هذه الوجوه الخاصة بهذه المسألة على جهة
التغليب ، وإلا فالكتاب تضمن وجوهاً أخرى رد بها الشيخ على مسائل
أخرى ، كمسألة الجهة والتحيز وعدم التعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند
العوام .

وقد تقدم ما ورد في صفحة العنوان في (ط) : « . . . ومن هنا نحوهم
من تسعين وجهاً » .

كما نص على هذه الأوجه ابن القيم - كما تقدم - بقوله :

(١) انظر : فوات الوفيات - ٧٦/١ .

(٢) انظر : الوافي بالوفيات - ٢٥/٧ .

(٣) في ذيل طبقات الحنابلة - ٤٠٣/٢ .

تسعون وجهاً بينت بطلانه أعني كلام النفس ذا الوجدان
ويقوله : « وهذا يقوم على بطلانه تسعون برهاناً لا تندفع ذكرها الشيخ
في الأجوبة المصرية » .

فدل هذا على أن التسمية بـ « التسعينية » نسبة إلى هذه الوجوه .
وأما ما أشار إليه ابن عبد الهادي وابن القيم وابن شاکر والصفدي ، من
أنها نحو ثمانين وجهاً ، فربما يعود إلى تركهم بعض التفريعات من بعض
الوجوه ، وقد تكون الوجوه المقصودة بضعاً وثمانين ، كما أشار إليه هؤلاء ،
لكن من عدها تسعين فذلك لاعتباره أن ما زاد على الثمانين يكون قد دخل في
عقد التسعين - والله أعلم .

نسبته إلى المؤلف :

من الثابت أن الكتاب الذي بين أيدينا أحد مؤلفات شيخ الإسلام تقي
الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - رحمه الله - للأسباب التالية :
١- نسبة الكتاب إلى المؤلف في جميع النسخ التي اعتمدها في التحقيق .
٢- المصادر^(١) التي ترجمت للشيخ واهتمت بتدوين مصنفاته تذكر هذا
الكتاب وتنسبه لمؤلفه ، ولو لم يكن فيها إلا ما قاله ابن القيم في النونية :
« وكذلك تسعينية فيها له » كفي .

٣- أسلوب الشيخ - رحمه الله - المتميز الذي يدركه كل من قرأ كتبه
بتمعن .

٤- ذكر الشيخ لبعض مصنفاته فيه^(٢) .

تاريخ تأليفه :

ذكرت فيما تقدم أن سبب تأليف هذا الكتاب هو ما ورد في ورقة بعث بها

(١) تقدم ذكر بعضها كالعقود الدرية لابن عبد الهادي ، وأسماء مؤلفات ابن تيمية
والقصيدة النونية وكلاهما لابن القيم ، وفوات الوفيات لابن شاکر ، والوافي
بالوفيات للصفدي ، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب .

(٢) راجع ص ٢٣٠ ، ٣٨٩ ، ٧٤٦ .

الأمرء والقضاة والفقهاء المجتمعون للنظر في إخراج الشيخ من السجن ، مع الرسولين ، وطلبهم من الشيخ موافقتهم على ما تتضمنه الورقة^(١) ، وكان ذلك بعد أكثر من سنة من وصول الشيخ إلى مصر ، فإذا علم أن وصوله - رحمه الله - لمصر سنة ٧٠٥ هـ ، دل على أن تأليف هذا الكتاب - وهو الإجابة على ما ورد من الأمرء والقضاة - كان سنة ٧٠٦ هـ ، وهذا أمر لا يخالجنى معه شك ، لا سيما وأنه نص على هذه السنة في (س) - إحدى النسخ الخطية التي اعتمدها في التحقيق - لكن ما ورد في الأصل و (ط) من أن تكرار الرسل على الشيخ من عند الأمرء والقضاة المجتمعين كان سنة ٧٢٦ هـ ، وهي السنة التي كان - رحمه الله بها في دمشق - يجعلني أورد بعض الأسباب - إضافة إلى ما تقدم - التي تدل على أن تأليف الكتاب كان سنة ٧٠٦ هـ :

١ - قول الشيخ - رحمه الله - في هذا الكتاب الذي بين أيدينا ص ١١١ :
« . . . فقلت : أنا لا أحضر إلى من يحكم فيّ بحكم الجاهلية وبغير ما أنزل الله ، ويفعل بي ما لا تستحله اليهود ولا النصارى ، كما فعلتم في المجلس الأول ، وقلت للرسول : قد كان ذلك بحضوركم أتريدون أن يمكروا كما مكروا بي في العام الماضي ؟ هذا لا أجيب إليه ، ولكن من زعم أنني قلت قولاً باطلاً ، فليكتب خطه بما أنكره من كلامي ، ويذكر حجته ، وأنا أكتب جوابي مع كلامه ، ويعرض كلامي وكلامه على علماء الشرق والغرب ، فقد قلت هذا بالشام ، وأنا قائله هنا ، وهذه عقيدتي التي بحثت بالشام بحضرة قضاتها ومشايخها وعلمائها ، وقد أرسل إليكم نائبكم النسخة التي قرئت ، وأخبركم بصورة أخرى » .

فخطاب الشيخ - رحمه الله - لهم بهذا الكلام وهو في السجن وبعد أن بقي فيه أكثر من سنة من تاريخ وصوله إلى مصر .

وتصريحه بما حصل له بالشام ، وما عقد له من مجالس بسبب عقيدته السلفية ، وأن ما قاله بدمشق هو قائله بمصر ، يدل على أن الكتاب ألف بمصر بعد سنة من وصوله إليها .

(١) تقدم ذكر مضمونها .

٢ - ما جاء في مجموع الفتاوى ٥/ ٢٦٤ : « حكاية مناظرة في الجهة والتحيز » صورة ما طلب من تقي الدين بن تيمية - رحمه الله ورضي عنه - حين جيء به من دمشق على البريد ، واعتقل بالجب بقلعة الجبل ، بعد عقد المجلس بدار النيابة ، وكان وصوله يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان ، وعقد المجلس يوم الجمعة السابع والعشرين منه بعد صلاة الجمعة ، وفيه اعتقل - رحمه الله .

وصورة ما طلب منه أن يعتقد نفي الجهة عن الله والتحيز ، وأن لا يقول : إن كلام الله حرف وصوت قائم به ، بل هو معنى قائم بذاته ، وأنه سبحانه - لا يشار إليه إشارة حسية ، ويطلب منه ألا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام ، ولا يكتب بها إلى البلاد ، ولا في الفتاوى المتعلقة بها . وهذا الكلام يؤكد أن تأليف الكتاب كان بمصر ، وليس بالشام كما يدل عليه التاريخ المدون في الأصل ، و(ط) .

٣ - أن الموضوعات التي عالجها هذا الكتاب هي رد على الاعتراضات التي وجهها القضاة والفقهاء عبر تلك الورقة انتقاداً على الشيخ في عقيدته .

٤ - أن ابن عبد الهادي ، وابن القيم - وهما من تلامذة الشيخ - قالا عند ذكرهما لمصنفات الشيخ في الأصول « كتاب محنته بمصر . . . » .

كما أن ابن القيم قال في « بدائع الفوائد » - كما تقدم - مشيراً إلى هذا الكتاب : « . . . تسعون برهاناً لا تندفع ذكرها شيخ الإسلام في الأجوبة المصرية » .

وقد نص ابن رجب الحنبلي - كما تقدم أيضاً - على أن من أعيان المصنفات الكبار التي ألفها بمصر « المحنة المصرية » .

ومعروف أن الشيخ - رحمه الله - كان بمصر من سنة ٧٠٥ هـ إلى سنة ٧١٢ هـ ، وهذا يؤيد أن تأليفه لهذا الكتاب كان في هذه الفترة ، وبالتحديد سنة ٧٠٦ هـ بمصر .

٥ - أنه ورد في هذا الكتاب^(١) أن المحكم من القضاة : أبا الحسن

(١) انظر : ١١٠ ، ١١١ من قسم التحقيق لهذا .

علي بن مخلوف المالكي ، قد كتب ورقة من الورقات التي جاء بها الرسولان إلى الشيخ في إحدى المرات من عند الأمراء والقضاة المجتمعين ، فإذا عرفنا أن ابن مخلوف المالكي توفي سنة ٧١٨ هـ ثبت أن تأليف هذا الكتاب كان قبل هذا التاريخ .

٦ - مما تقدم يتضح أن ما ورد بالأصل تصحيف من الناسخ ، لما بين التاريخين من التشابه .

وأما ما جاء في (ط)^(١) ، فإن الناشر أثبت ذلك متابعة للأصل من غير تثبت بدليل أنه عندما وضع فهرساً للكتاب قال في أوله :

(خطبة التسعينية المشتملة على بيان المحنة التي وقعت لابن تيمية بعد مضي ربع القرن الثامن من الأمراء والقضاة ، وما افتروه عليه في الوريقات التي أرسلوها إليه ، وجوابه عن الورقة الأخيرة التي طلبوا منه فيها أن يعتقد نفي الجهة والتحيز . . .) .

ثم ذكر مضمون الورقة - الذي تقدمت الإشارة إليه .

وكما تقدم ، هذه الورقة وصلت الشيخ - رحمه الله - وأجاب عنها إجابة مجملّة لاستعجال الرسول له في الجواب ، ثم أجاب إجابة مفصلة من وجوه عديدة حواها هذا الكتاب الذي بين أيدينا وكان ذلك بمصر سنة ٧٠٦ هـ . والله أعلم .

منهج المؤلف في الكتاب :

١ - اعتمد الشيخ - رحمه الله - في أدلته على الكتاب والسنة ، وما ثبت عن أئمة السلف .

٢ - يعرض رأي المخالف أولاً ، وذلك من باب الأمانة العلمية ، ويحدد النقاط التي ستكون محلاً للمناقشة .

٣ - جعل رده متلائماً مع مقولة المخالف ، فإن صاغ الفكرة المخالفة صياغة فلسفية رأيناها يرد عليه بالمقولات الفلسفية التي تبين ثغرات المخالف

(١) وهو الكتاب المطبوع .

وتنقض رأيه ، ثم يدعم ما يراه هو بعد ذلك بالنص من القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، أو أقوال السلف .

٤ - وإذا كان الرأي المخالف يمثل سوء فهم ، أو تأويلاً باطلاً ، فإنه يسلك معه مسلك التفريع الذي يتدرج مع المخالف من فهمه إلى الصواب عن طريق ما يمكن أن نسميه بأسلوب الإلزام ، يعني أن يقول له : يلزم من قولك كذا أن يكون المعنى كذا ، أو يلزم من فهمك كذا أن تقع في المحذور كذا ، وبعد أن يفند ما ساء من فهم المخالف يصل إلى الرأي الذي يراه ولا يحدث معه إلزاماً فاسداً .

٥ - قد يستدعي النقاش والرد على المخالف أن يذكر - رحمه الله - أقوال جماعة من أصحاب من هو بصدد مناقشته ليصل بعرضها ومناقشتها إلى تناقض أقوالهم ، وبيان أنها لا تثبت أمام التمهيص .

٦ - أن الشيخ - رحمه الله - يسلك في رده على المخالف مسلك البسط الذي لا يُؤلف عند غيره ، وقد يكون مملاً لدى غيره ، ولكن الموضوعية التي يتسم بها أسلوبه - رحمه الله - والأفكار الجديدة التي يعرضها في ردوده تكسر حدة البسط والإطناب .

٧ - أن تفريع الشيخ - رحمه الله - في ردوده يأخذ صورة منتظمة يسلكها في هذا الكتاب فيما يسمى بالوجوه ، والتي سمي الكتاب باسمها - كما سبق - .

٨ - أن الشيخ - رحمه الله - يفصل قول المخالف بحيث يشمل رده المسائل التي يمكن أن تستنتج من قوله ، ولو لم يصرح بها ، فالكتاب كله على طوله رد على رسالة صغيرة في موضوعات محددة ، وهذا المنهج مطرد في كثير من كتبه .

٩ - الشيخ رحمه الله - في تناوله لموضوعات الكتاب لا ينسى مهمته في الأستاذية الموجهة لتلاميذه وطلابه في إرشادهم إلى مواضع الإفادة في الموضوع المدروس في مثل قوله : وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضوع .

١٠ - طريقة الشيخ في الرد على الخصوم تسلك مسلك التوثيق لما يقدمه

من نصوص ، فإن كانت أحاديث ذكر درجتها ، وإن كانت أقوالاً عزأها إلى أصحابها ، وذكر مواطن وجودها في كتبهم .

١١ - يمثل منهج الشيخ في كتابه منهج المفكر المسلم الموسوعي الذي استوعب نصوص الكتاب والسنة ، وأعمل عقله فيهما ، وناقش من خلاهما ما يعرض عليه من فكر ، فهو يجمع بين الرواية والدراية بين النص والوعي الدقيق بمعنى النص ، وما يجري في عالم الفكر من أفكار قد تكون موافقة وقد تكون مخالفة ، وقلّ أن تجتمع هذه الملامح في المنهج لدى مفكر واحد .

١٢ - وفي ضوء ملامح المنهج السابق بدأ - رحمه الله - كتابه بذكر الرسالة التي أرسلت إليه ، وتضمنت موضوع الكلام في الصفات عند العوام ، وموضوع الجهة والتحيز ، وموضوع كلام الله تعالى ، وقد رد - رحمه الله - على الموضوع الأول بسبعة عشر وجهاً ، وعلى الثاني بأربعة عشر وجهاً ، وقد خصص - رحمه الله - الوجه الرابع عشر من هذه الوجوه ليقرر أن الله يتكلم بكلام قائم بمشيئته وقدرته وأنه اسم للحروف والمعاني جميعاً ، وقد اقتضاه هذا التقرير مناقشة القائلين بأن القرآن مخلوق ، وأنه اسم لمجرد الحروف والأصوات .

وأما القائلون بأنه معنى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ، وأن القرآن الذي بأيدي المسلمين إنما هو حكاية أو عبارة ، فقد خصص - رحمه الله - معظم هذا الكتاب لمناقشتهم ، إذ رد قولهم هذا بثمانية وسبعين وجهاً ، تفرع عنها بعض الوجوه في مسائل جزئية ، ذكرها الشيخ رحمه الله .

نسخ الكتاب :

لقد حرصت كل الحرص ، وبذلت ما في وسعي في سبيل الحصول على أكبر عدد ممكن من نسخ الكتاب الخطية ، وما استطعت الحصول عليه هو :

النسخة الأولى :

وحصلت عليها في دار الكتاب الوطنية بمصر تحت رقم ٢٨٩ - عقائد تيمور ، وتقع في ٣٦٤ صفحة من القطع المتوسط ، وبكل صفحة ٢٦ سطراً ،

وكتبت بخط جيد ، لكنها لا تخلو من البياض^(١) ، وتاريخ نسخها سنة ١٢٢٣ هـ ، ولم يذكر اسم الناسخ وقد كتب على صفحة العنوان ما يلي :
« قد تملك هذا الكتاب الفقير إلى الله تعالى أحمد بن المرحوم - إن شاء الله تعالى - عثمان الجامع عفى الله عنه ، اللهم صلي على محمد سيدنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه ومن تبعهم إلى يوم الدين آمين يا رب العالمين » .

وعلى يسار هذا ككرر التملك على هذا النحو :
« قد تملك هذا الكتاب الفقير إلى الله تعالى أحمد ابن المرحوم - إن شاء الله تعالى - عثمان بن جامع » .
وكتب أسفل التملك الأول بخط يختلف اختلافاً يسيراً عن سابقه ما يلي :

« قد تملك هذا الكتاب الفقير إلى الله أحمد بن المرحوم - إن شاء الله - عثمان بن محمد بن أحمد الجامع عفى الله عنهم » .
ثم كتب أسفل هذا التملك :
« آمين آمين آمين ، بعد هذا ورد هذا إلى الفقير جناب الأمجد الأكرم الحاج حسين بن المرحوم الحاج » .
وعلى يسار هذا ختم بيضوي لم أستطع قراءة ما بداخله .
وقد رمزت لهذه النسخة بـ (الأصل) .

النسخة الثانية :

وحصلت عليها في المكتبة السعودية التابعة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وعلى صفحة العنوان - في أعلاها - ختم مستطيل كتب بداخله : « مكتبة الرياض العامة السعودية » ، وأسفل ذلك رقم التسجيل العام ٦٠٣ ، وأسفل منه رقم التسجيل الخاص ٨٦ ، وأسفل منه التاريخ (١) يشارك الأصل في البياض (س) و(ط) ، وقد أشرت في المقدمة أن هذه البياضات من الصعوبات التي واجهتني في التحقيق .

٢٠/٣/١٣٩٣ هـ ، وأسفل هذا الختم عنوان الكتاب - المتقدم - وعن يسار
العنوان ختم بيضوي كتب داخله :

« وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف ١٣٨١ هـ » .

وأسفل الختم كتب التملك الآتي :

« دخلت هذه النسخة في ملك الفقير إلى الله عز شأنه محمد بن عبد
اللطيف بن عبد الرحمن بالشراء الشرعي عفى الله عنه بمنه آمين
سنة ١٣٣٥ هـ » ، ثم ختمان صغيران بيضويان لم يتضح لي ما بداخلهما .

وهذه النسخة كتبت بخط معتاد يقرأ بيسر ، وتقع في ٣٨٥ صفحة من
القطع المتوسط ، وبكل صفحة ٢١ سطراً ، وكتب أسفل كل صفحة كلمة أو
كلمتين للدلالة على بداية الصفحة التالية ، وانتهت هذه النسخة بقوله :

« . . . وقد رأيت كلام كل من ذكرته من هؤلاء يثبت هذه الصفات ،

ومن لم أذكره - أيضاً - وكتبهم وكتب من نقل عنهم مملوءة بذلك ، وبالرد على
من يتأول هذه الصفات والأخبار بأن تأويلها طريق الجهمية والمعتزلة وذلك » .

فقد سقط ما يقارب أربعة أسطر كما في الأصل ، وأيضاً سقط منها
ما يقارب الصفحة والنصف ، وقد جاء الكلام فيها متصلاً كتابة منفصلاً
معنى^(١) - وهذا من الأسباب التي جعلتني لا أعتمدها أصلاً في التحقيق ،
إضافة إلى عدم ذكر تاريخ نسخها ، واسم ناسخها .

النسخة الثالثة :

الكتاب المطبوع ، وقد طبع لأول مرة - فيما أعلم - ضمن فتاوى شيخ
الإسلام ابن تيمية - المجلد الخامس ، المشتمل على التسعينية ، والسبعينية^(٢) ،
وشرح الأصبهانية^(٣) ، بمطبعة كردستان العلمية لصاحبها فرج الله الكردي

(١) انظر ص ١٤ من (س) .

وقد نبهت على بداية السقوط ونهايته أثناء التحقيق .

(٢) وقد قام بدراسته وتحقيقه للحصول على درجة الدكتوراة الأخ : د . موسى بن
سليمان الدويش .

(٣) قام الأخ : د . محمد بن عودة السعوي بدراسته وتحقيقه للحصول به على درجة
الدكتوراة .

بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، ويقع في ٢٨٨ صفحة من القطع الكبير ، وبكل صفحة ٢٤ سطراً ، وهي طبعة مليئة بالأخطاء ، والتصحيفات ، نبهت عليها في أماكنها أثناء التحقيق ، وسيأتي ذكر طرف منها ، وينتهي الكلام فيه حيث انتهت (س) ، لكن الناشر تصرف في آخر كلمة وهي « وذلك » وقال : « ونحو ذلك » حتى لا يشعر القارئ بانقطاع الكلام فجأة .

ثم طبع الكتاب مرة أخرى بتقديم حسين محمد مخلوف ، بمطبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، وهذه الطبعة لا تختلف عن سابقتها سوى أن الكتاب اشتمل على المجلد الخامس بكامله .

لذا استبعدتها واعتمدت على الطبعة الأولى في التحقيق ، ورمزت لها بحرف (ط) .

ومما تقدم من وصف النسخ التي اعتمدت عليها في التحقيق أستطيع أن ألخص الأسباب التي جعلتني أعتمد النسخة الأولى أصلاً فيما يلي :

١ - ذكر تاريخ نسخها .

٢ - انقطاع (س) و (ط) دون أن ينتهي الكتاب ، حيث سقط من آخرهما أربعة أسطر ونصف ، وهي التي يتم بها الكتاب ، كما في الأصل ، وجاء بعدها فيه ما يقارب أربعة أخرى صرح الناسخ فيها بأن هذا آخر ما وجده من هذا التأليف لثقي الدين بن تيمية ، وذكر سنة نسخه بعد ابتهاج ودعاء للشيخ بالغفران والرحمة .

٣ - ما أشرنا إليه من سقوط صفحة ونصف من (س) .

٤ - ما تقدم من أن الكتاب المطبوع مليء بالأخطاء والتصحيفات .

وهناك عيب تشترك فيه جميع النسخ - الآفة الذكر - وهي : كثرة السقط والتكرار الذي يتراوح ما بين السطرين والكلمة ، لكنها لا تتفق على ذلك غالباً ، مما سهل لي مهمة اكتشاف السقط وإكماله وتلافي التكرار بحمد الله ومنته .

أما الكتاب المطبوع ، فبالرغم من أنه لم يخدم خدمة علمية ، فقد جاء إخراجه بصورة لا تشجع على قراءته ، ويصعب معها فهم بعض عباراته .

إضافة إلى كثرة التحريفات والأخطاء التي حصرتها في بيان مستقل أذكر هنا بعض ما ورد فيه مما يغير المعنى :

- وفي ص ٢٥ : « الثقات » والصحيح « النفاة » . وفرق بينهما .
وفي ص ٢٧ ؛ « نقض الإيمان » والصحيح « نقص الإيمان » .
وفي ص ٣٣ : « قال أهل الصلاح » والصحيح « قال أهل الضلال » .
وفي نفس الصفحة : « أحق » والصحيح « أحق » .
وفي ص ٥٤ : « فإن الله لا يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم » والصحيح « فإن الله يغفر لأهل الإخلاص . . . » .
وفي ص ١٤٤ : « لأنها مخلوقة » والصحيح « لا أنها مخلوقة » .
وفي ص ٢٢٧ : « الثلاثة منهم من يقول » والصحيح « الثلاثة من يقول » .
وفي ص ٢٤٠ : « هذا عند فتواه » والصحيح « هذا عنه فتواه » .
وفي ص ٢٤٣ : « لكثرة مطالعته » والصحيح « كثير المطالعة » .
في ص ٢٥٩ : « وأضل البشر من » والصحيح « وأصل الشر من » .
وأما الزيادة على النسختين المخطوطتين ، والنقص عنهما ، والتصريف ببعض الكلمات حذفاً وتغييراً وتحريفاً فكثير ، مما يوحي أنه طبع على نسخ خطية لم تقع في يدي ، لكنني أستبعد هذا لسبب واحد فقط وهو أن التصريف من قبل الناشر يظهر في أماكن يشكل فيها فهم المعنى ، كالتصريف الذي أشرنا إليه عندما انتهى الكتاب بقوله : « . . . والمعتزلة وذلك » حيث حرف العبارة لتصحيح « والمعتزلة ونحو ذلك » .
كما جاء في ص ٦٧ : الوجه السادس عشر حيث ابتدأه بقوله : « إنهم لو بينوا صواب ما ذكروه من القول لم يكن ذلك موجبا . . . » .
والوارد في النسختين الخطيتين : « أنهم إن لم يبينوا صواب ما ذكروه من القول لم يكن موجبا . . . » .
وكما في ص ١٣٩ ، حيث حذف لفظة « أو بالدلالة » الواردة في

النسختين الخطيتين لأن الكلام جاء فيهما نقلاً من نهاية العقول للرازي على هذا النحو :

« لا يعلمون كونه فاعلاً لذلك الكلام بالدلالة ، ولو كان المتكلم هو الفاعل ... » .

حيث سقطت منهما لفظة « اللهم إلا » بين كلمة « الكلام » و« بالدلالة » ، فحذف هذه اللفظة ليستمر الكلام على هذا النحو :

« لذلك الكلام ، ولو كان المتكلم ... » .

وكما جاء في ص ٢١٣ : حيث حذف العبارة : « ومعناه فلفظ معنى ، ولفظ يقوم به » ، الواردة في النسختين الخطيتين على هذا النحو :

« نعم يشتركان في كون كل منهما كلاماً للمتكلم ومعناه ، فلفظ معنى ولفظ يقوم به ، وهذا كاشتراك الحياتين ... » .

وهكذا فما مر من هذا القبيل نبهت عليه أثناء التحقيق .

عملي في الكتاب ، وبيان المنهج الذي سلكته في تحقيقه :

أما المنهج الذي سلكته في التحقيق فيتمثل في النقاط التالية :

١ - قارنت بين النسخ الثلاث ، واعتمدت نسخة الخزنة التيمورية أصلاً لأسباب أفصحت عنها فيما تقدم .

٢ - أثبت ما جاء في الأصل ، وحرصت على إبقائه ما أمكن ما لم يظهر لي - بعد التأمل في النص - أن الصواب أو المناسب لسياق الكلام ما ورد في إحدى النسختين (س) و(ط) أو فيهما ، أو في المصدر الذي ينقل منه الشيخ - رحمه الله - فإنني أثبتته في أصل المتن وأشير في الهامش إلى الفروق بعبارة « في الأصل : كذا . والمثبت من ... » ، لكي يخرج النص سليماً يستطيع القارئ قراءته بيسر وسهولة دون أن ينشغل في البحث عن الصواب في الهامش .

٣ - إذا كان هناك زيادة في الأصل ، إما لسقوطها منه ، أو لأن الكلام يستقيم بها ، سواء كانت هذه الزيادة من إحدى النسختين أو منهما ، أو من مصدر نقل منه الشيخ ، أو أنني رأيت الكلام يحتاج إليها ، إما لبياض في

النسخ ، أو لخلل في المعنى ، فإنني أثبتها في أصل المتن ، وأضعها بين معقوفتين ، وأشير إلى ذلك في الهامش بعبارة « ما بين المعقوفتين زيادة من . . . » ، وأشير إلى النسخة أو المصدر الذي وردت فيه هذه الزيادة .

أما إذا كانت الزيادة من عندي فإنني أقول بعد العبارة السابقة « ولعل الصواب ما أثبته » أو « لعل الكلام يستقيم بها » أو « لعل ما أثبته يناسب السياق » .

٤ - إذا سقط من إحدى النسختين أو منهما معاً ، فإنني أضع ذلك بين معقوفتين في أصل المتن ، وأشير في الهامش إلى ذلك بعبارة « ما بين المعقوفتين ساقط من . . . » .

٥ - لم أثبت الفروق اليسيرة بين النسخ التي لا يترتب عليها إخلال بالمعنى ، مثل : سبحانه وتعالى ، وعز وجل ، وجل ذكره ، ونحو هذا مما اختلفت فيه النسخ .

وكذا ما يرد في النسخ الخطية - عادة - من عدم استعمال الرسم الإملائي ، كإهمال الهمزة المتوسطة التي تكون في وسط الكلمة ، نحو : مسایل ، وقریت ، أو كتابتها على كرسي ، مع أن الواجب كتابتها على ألف ، نحو : يسئل ، مسئلة ، وإهمال الهمزة التي تكون في آخر الكلمة ، نحو : العلما ، والخلفا ، وإهمال ألف التفريق ، نحو : جعلو ، نفو ، وهكذا كل ما ورد من هذا القبيل لم أثبته فرقاً .

٦ - توثيق النقول والأقوال التي أوردها الشيخ في هذا الكتاب ، وذلك بعزوها إلى مصادرها المطبوعة والمخطوطة التي تمكنت من الوقوف عليها ، وذلك بمقابلة النقل أو القول الوارد في الأصل على ما جاء في ذلك المصدر ، وإثبات أوجه الاختلاف في الهامش .

وإذا كان التوثيق من كتاب محقق اعتمد محققه على أكثر من نسخة ، وجاء في إحدى النسخ ما يوافق النص الذي أنا بصدد توثيقه ، وفي الأخرى ما يخالف ، فلا أشير إلى المخالفة لوجود الموافقة ، إذ من المحتمل أنها التي وقعت في يد الشيخ .

أما ما لم أقف عليه - وهو قليل - بحمد الله - فإني أحاول توثيقه من المصادر الأخرى - ما أمكن - وإذا لم أقف عليه في أي مصدر ووجدت الشيخ - رحمه الله - قد أثبتته في إحدى مؤلفاته ، فإني أقابله على ما جاء في هذا المؤلف حرصاً على إخراج النص بصورة سليمة .

٧ - عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها ، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية فيها .

٨ - خرجت الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب ، وبينت درجة الحديث إذا لم يرد في أحد الصحيحين ، وذلك بالإشارة إلى ما قاله العلماء فيه .

٩ - الأعلام الوارد ذكرهم في هذا الكتاب كثيرون ، ولذا اكتفيت بالترجمة للأعلام الذين يقع في أسمائهم خطأ ، أو اختلاف بين النسخ ، وكذا ترجمت لمن نقل عنه الشيخ نقلاً ، أو نسب له قولاً ، أو تكلم فيه مدحاً أو ذماً .

١٠ - حرصت على التعريف بأي مصدر يشير إليه الشيخ - رحمه الله - قدر الإمكان ، وبيان ما إذا كان مخطوطاً أو مطبوعاً موجوداً أو مفقوداً ، وإن كنت في الغالب لا أشير إلى الكتاب الذي وقع تحت يدي ونقلت منه اكتفاء بما سأذكره عنه في الفهرس .

١١ - علقت على بعض المسائل التي تحتاج إلى تعليق ، وراعى الاختصار لئلا أثقل الكتاب بالحواشي .

١٢ - شرحت بعض الكلمات الغريبة والمصطلحات ، وعرفت بالفرق والأماكن والبلدان تعريفاً موجزاً .

١٣ - اعتمدت التاريخ الهجري في التراجم ونحوها ، ودونت ذلك رقماً لا كتابة اختصاراً ، أما إذا ذكرت تاريخاً كان قبل الهجرة فإني أرمز بعد التاريخ بـ (ق هـ) ، وإذا كان قبل الميلاد فإني أرمز بعده بـ (ق م) .

١٤ - قد اكتفيت بذكر كلمة الشيخ - رحمه الله - عن ذكر اسم شيخ الإسلام ابن تيمية اختصاراً ، وهذا كثير .

- ١٥ - ختمت الكتاب بفهارس تعين القارئ في الحصول على طلبته ومبتغاه منه دون عناء ، وذلك على النحو التالي :
- ا- فهرس الأحاديث والآثار .
 - ب- فهرس الأعلام .
 - ج- فهرس الكلمات الغريبة والمصطلحات والبلدان والفرق .
 - د- فهرس المراجع .
 - هـ- فهرس الموضوعات .

☆ ☆ ☆

الفصل الثاني

دراسة بعض مسأله

فتنة القول بخلق القرآن :

لا بد - وقبل الكلام على مسألة خلق القرآن واختلاف الناس فيها ، وبيان القول السديد المعتمد على الأدلة النقلية والعقلية - من الكلام على بدعة القول بخلق القرآن ، وبيان وقت ظهورها ، ومن تزعمها ، وما لاقاه الأئمة في سبيل إخمادها ، وتجليتها على ضوء نصوص الكتاب والسنة ، لا سيما وهذه أمور كثيراً ما يتطرق إليها الشيخ - رحمه الله - في ثنايا هذا الكتاب ، وأثناء مناقشته الخصوم .

لذا رأيت أن أتكلم عنها ، ولو بشيء من الاختصار فأقول :
بدعة القول بخلق القرآن أول من أظهرها في الإسلام - كما أوضحه الشيخ^(١) وغيره : الجعد بن درهم^(٢) (ت ١٢٤ هـ) .
فقد نقل أبو القاسم اللالكائي^(٣) عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال :
« سمعت أبي يقول : أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم ، وقاله سنة نيف وعشرين ومائة » .

ولما اشتهر أمره في المسلمين طلبه خالد بن عبد الله القسري^(٤) - وكان أميراً على العراق - حتى ظفر به ، فخطب الناس يوم الأضحى وقال في خطبته : « أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن

(١) انظر : ص ٢٧١ من هذا الكتاب - قسم التحقيق . ومجموع الفتاوى - ٣٥٠/١٢ .

(٢) ستأتي ترجمته في قسم التحقيق من هذا الكتاب .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - ٣/٣٨٢ .

(٤) ستأتي ترجمته في قسم التحقيق من هذا الكتاب .

درهم ، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً ، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً
تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً » ثم نزل فذبحه^(١) .
فسكن الأمر ، وانطفأت هذه البدعة .

ثم حمل لواءها الجهم بن صفوان^(٢) (ت ١٢٨ هـ) .

يقول الشيخ^(٣) - رحمه الله : « وأخذ ذلك عنه الجهم بن صفوان ، فأنكر
أن الله يتكلم ، ثم نافق المسلمين ، فأقر بلفظ الكلام ، وقال : « كلامه يخلق
في محل كالهواء وورق الشجر » .

وقد سلط الله على الجهم مسلم بن أحوز فقتله .

لكن أظهر هذه البدعة من بعدهما بشر بن غياث المريسي^(٤) (ت ٢١٩ هـ)
فجدد القول بخلق القرآن ، وكان صباغاً يهودياً^(٥) .

يقول عثمان بن سعيد الدارمي^(٦) : « لم يزل الأمر طامساً دارساً حتى
درج العلماء ، وقَلَّت الفقهاء ، ونشأ نشءٌ من أبناء اليهود والنصارى مثل
بشر بن غياث المريسي ، ونظرائه ، فخاضوا في شيء منه ، وأظهروا طرفاً
منه ، وجانبهم أهل الدين والورع ، وشهدوا عليهم بالكفر حتى هم بهم
وبعقوبتهم قاضي القضاة يومئذ أبو يوسف ، حتى فر منه المريسي^(٧) ... »

(١) انظر : ص ٢٤٩ من هذا الكتاب - قسم التحقيق .

ومجموع الفتاوى لابن تيمية - ٢٦/١٢ ، ٢٧ ، ١١٩ .

ومختصر الصواعق المرسلّة - لابن القيم - اختصار الموصلي - ٢٢٧/١ .

(٢) ستأتي ترجمته في الكتاب المحقق .

(٣) في مجموع الفتاوى - ٢٧/١٢ .

(٤) ستأتي ترجمته في الكتاب المحقق .

(٥) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي - ص ٣٨٢ .

(٦) في كتابه الذي ألقه في الرد على بشر المريسي - ص ١٠٨ .

(٧) أخرج ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٣٨٥ عن محمد بن نوح قال :

« سمعت هارون الرشيد أمير المؤمنين يقول : بلغني أن بشراً المريسي زعم أن

القرآن مخلوق ، علي إن أظفر به لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً قط » .

وقال أحمد فيما نقله عنه ابن الجوزي في المصدر السابق نفس الصفحة :

« كان بشر متوارياً أيام هارون نحواً من عشرين سنة حتى مات هارون ، فظهر =

ولحق بالبصرة ، فلم يزالوا أذلة مقموعين ، لا يقبل لهم قول ، ولا يلتفت لهم إلى رأي ، حتى ركنوا إلى بعض السلاطين الذين لم يجالسوا العلماء ولم يزاحموا الفقهاء » .

فاستغل المعتزلة (المأمون) الخليفة العباسي أبا جعفر عبد الله بن هارون الرشيد^(١) ، واتخذوه أداة لنشر ضلالتهم ، وترويح بدعتهم ، فزينوا له القول بخلق القرآن ، فصار إلى مقالتهم ، وحمل الناس عليها ، وأكروههم على اعتناقها ، وكان قبل ذلك متردداً في الدعوة إلى إظهار هذه البدعة ، وحمل الناس عليها ، ربما كان ذلك لأنه يراقب بقايا الشيوخ الذين لهم مكانة في نفوس الناس^(٢) ، لكنه في آخر أيامه عزم على إظهار هذا القول وإكراه الناس عليه .

فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم^(٣) كتاباً^(٤) يأمره فيه بامتحان القضاة والعلماء بالقول بخلق القرآن ، وأن يرسل إليه جماعة منهم عينهم بكتابه^(٥) .

= ودعا إلى الضلالة ، وكان من المحنة ما كان » .

قال ابن الجوزي : « لما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين ، فلما ولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن . . . » .

مناقب الإمام أحمد - ص ٣٨٦ .

(١) ستأتي ترجمته في الكتاب المحقق .

(٢) انظر : مناقب الإمام أحمد - لابن الجوزي - ص ٣٨٦ .

(٣) هو : أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزامي ، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كان مقرباً من الخلفاء ذا رأي وشجاعة ، توفي سنة ٢٣٥ هـ .

انظر : الكامل - لابن الأثير - ٥٢/٧ .

والأعلام للزركلي - ٢٨٣/١ ، ٣٨٤ .

(٤) انظر نصه في تاريخ الطبري ٦٣١/٨ ، ٦٣٢ .

(٥) وهم : محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون ، ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن الدورقي ، وإسماعيل بن داود .

فبعث بهم إسحاق إلى المأمون بالرقعة^(١) ، فامتحنهم بخلق القرآن ، فأجابوه إلى ذلك ، وأظهروا موافقته وهم كارهون ، فردهم إلى بغداد ، وأمر بإشهار ذلك بين الفقهاء ، وقد فعل نائبه ونفذ أمره^(٢) .

ثم كتب المأمون إلى إسحاق - أيضاً - بكتاب ثان^(٣) يستدل به - كما يقول ابن كثير - على القول بخلق القرآن بشبهه من الدلائل لا تحقيق تحتها ولا حاصل لها ، بل هي من المتشابه ، وأورد من القرآن آيات هي حجة عليه ، وأمر نائبه أن يقرأ الكتاب على الناس ، ويدعوهم إليه ، وإلى القول بخلق القرآن .

فأحضر إسحاق جماعة من الأئمة منهم الإمام أحمد بن حنبل^(٤) - رحمه الله - وقرأ عليهم الكتاب ، ثم بدأ يمتحنهم رجلاً رجلاً ، إلى أن وصلت النوبة إلى الإمام أحمد :

فقال له : أتقول أن القرآن مخلوق ؟

فقال : القرآن كلام الله لا أزيد على هذا .

فقال له : ما تقول في هذه الرقعة^(٥) ؟

فقال : أقول : ﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾^(٦) .

فقال رجل من المعتزلة^(٧) : إنه يقول : سميع بأذن ، بصير بعين .

(١) الرقعة : مدينة مشهورة على الفرات من الجانب الشرقي بالعراق .

انظر : معجم البلدان - للحموي - ٥٩/٣ .

(٢) انظر (بتصرف) : محنة الإمام أحمد بن حنبل - لأبي عبد الله حنبل بن إسحاق ص ٣٤ ، ٣٥ .

والبداية والنهاية - لابن كثير - ٣٠٨/١٠ ، ٣٠٩ .

(٣) أورده ابن جرير الطبري في تاريخه ٦٣٤/٨ - ٦٣٧ .

(٤) ترجمت له مختصراً في هذا الكتاب - قسم التحقيق .

(٥) هذه الرقعة هي التي وافق عليها بشر بن الوليد الكندي - أحد الممتحنين - من أنه يقال : لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه .

وكان إسحاق إذا امتنع الرجل من القول بخلق القرآن امتحنه بهذه الرقعة فيقول : نعم ، كما قال بشر .

(٦) سورة الشورى . الآية ١١ .

(٧) ذكر ابن الأثير في الكامل ٤٢٦/٦ : أنه ابن البكاء الأصغر .

فقال له إسحاق : ما أردت بقولك : سميع بصير ؟

فقال : أردت منها ما أَرَادَهُ اللهُ منها ، وهو كما وصف نفسه ، ولا أزيد

على ذلك .

فكتب أجوبة القوم ، وبعث بها إلى المأمون ، وكان من الحاضرين من

أجاب إلى القول بخلق القرآن مصانعة مكرهاً^(١) .

ثم ورد كتاب^(٢) المأمون إلى نائبه أن يمتحنهم - أيضاً - فمن أجاب منهم

شهر أمره في الناس ، ومن لم يجب منهم يبعث إليه مقيداً محتفظاً به .

فأحضرهم إسحاق ، وأخبرهم بما أمر به الخليفة ، فأجاب القوم كلهم

إلا أربعة هم : أحمد بن حنبل ، وسجادة^(٣) ، والقواريري^(٤) ومحمد بن

نوح^(٥) ، فأمر بهم إسحاق فشدوا في الحديد .

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٩/١٠ ، ٣١٠ ، وجاء فيه أن سبب مصانعة

بعض الحاضرين : « أنهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه ، وإن كان له

رزق على بيت المال قطع ، وإن كان مفتياً منع من الإفتاء ، وإن كان شيخ حديث

ردع عن الإسماع والأداء » .

(٢) ذكره ابن جرير مفصلاً في تاريخه ٦٤٠/٨ - ٦٤٤ : وقد ورد في المدح والثناء

لنائبه على ما فعله ، والرد على كل فرد ممن لم يجب بالقول بخلق القرآن

مصرحاً باسمه ، فذمهم وأعابهم ، ووقع فيهم بأشياء ذكرها في هذا الكتاب .

(٣) هو : أبو الحسن بن حماد الحضرمي البغدادي المعروف بسجادة ، كان ثقة

صاحب سنة ، وله حلقة وأصحاب ، توفي سنة ٢٤١ هـ .

انظر : العبر في خبر من غير - للذهبي - ٣٤٢/١ .

وشذرات الذهب - لابن العماد - ٩٩/٢ .

(٤) هو : أبو سعيد عبيد الله بن عمر بن ميسرة الجشمي القواريري ، كان ثقة صدوقاً

حدث عنه البخاري ومسلم وغيرهما ، توفي سنة ٢٣٥ هـ .

انظر : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ٣٢٠/١٠ - ٣٢٣ .

وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٤٤٢/١١ - ٤٤٦ .

(٥) محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد العجلي ، يعرف والده بالمشروب كان

أحد المشهورين بالسنة ، مات سنة ٢١٨ هـ وصلى عليه الإمام أحمد .

قال فيه الإمام أحمد - رحمه الله - فيما نقله عنه حنبل بن إسحاق : « ما رأيت

أحداً على حداثة سنه ، وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، وإني لأرجو=

فلما كان من الغد دعاهم وهم مقيدون ، فامتحنهم ، فأجاب سجادة والقواريري ، فأطلقهما ، وأصر الإمام أحمد ، ومحمد بن نوح على قولهما ، فشد بالحديد ووجها إلى طرسوس^(١) ، وكتب كتاباً بإرسالهما إليه^(٢) .

يقول الإمام أحمد - رحمه الله : « وكنت أدعو الله ألا يريني وجهه - يعني المأمون - وذلك أنه بلغني أنه كان يقول : لئن وقعت عيني على أحمد لأقطعنه إرباً إرباً »^(٣) .

فاستجاب الله دعاءه ومات المأمون وهما في طريقهما إليه سنة ٢١٨ هـ فأما محمد بن نوح فمات في الطريق ، وصلى عليه الإمام أحمد ودفنه^(٤) .

وأما الإمام أحمد فرد مقيداً إلى بغداد - بعد خبر وفاة المأمون وتولي المعتصم -^(٥) في سفينة مع بعض الأسرى ، وكان في أمر عظيم من الأذى ، ثم أودع السجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل : نيفاً وثلاثين شهراً ، ثم أخرج للضرب بين يدي المعتصم ، وكان ذلك بعد مناظرات مع المعتزلة^(٦)

= أن يكون الله قد ختم له بخير . قال لي ذات يوم وأنا معه خلويين : يا أبا عبد الله : الله الله إنك لست مثلي . أنت رجل يقتدى بك ، وقد مد هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله ، واثبت لأمر الله . قال أبو عبد الله : « فعجبت من تقويته لي وموعظته إياي ... » .

انظر : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ٣/ ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

ومحنة الإمام أحمد بن حنبل - لابن إسحاق - ص ٣٩ .

(١) طرسوس مدينة بالشام وهي الآن مرفأ على الساحل السوري، وفيها دفن المأمون.

انظر الروض المعطار في خبر الأقطار - للحميري - ص ٣٨٨ .

(٢) انظر : الكامل - لابن الأثير - ٦/ ٤٢٧ .

وسيرة الإمام أحمد - لابنه صالح - ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) انظر : محنة الإمام أحمد بن حنبل - لابن إسحاق - ص ٣٩ .

(٤) في « عانة » وهي بلد مشهور بين الرقة وهيت على نهر الفرات .

(٥) ترجمته في قسم التحقيق من هذا الكتاب .

(٦) انظر تفصيل هذه المناظرات ، وما دار فيها ، وما حصل للإمام أحمد بعدها من

الضرب وأصناف التعذيب في :

سيرة الإمام أحمد - لابن صالح - ص ٥٥ - ٦٦ .

ومحنة الإمام أحمد - لحنبل بن إسحاق - ص ٤٣ - ٦١ .

: ابن أبي دؤاد^(١) وجمع من أصحابه ، بحضور الخليفة ، وقد أثبت خلالها - رحمه الله - تغلبه عليهم ، ودمغهم بالحجج المدعمة بنصوص الكتاب والسنة ، التي تهاوت أمامها جميع إزاماتهم ، فلم تقم لهم معه حجة ، مما جعلهم - ومن خلال هذه المناظرات - يلجؤون إلى أسلوب آخر ، أسلوب العجز ، الذي ينتهجه عادة أعداء الإسلام عندما تتساقط أدلتهم أثناء النقاش فلجؤوا إلى تحريف قوله ، وتحريض الخليفة عليه ، ونسبته إلى الضلال والابتداع ، وأنه حلال الدم .

ويظهر ذلك من قولهم فيما بينهم - أثناء المناظرة : « يا أمير المؤمنين : أكفرنا وأكفرك » .

وقول الإمام أحمد - رحمه الله : « يا أمير المؤمنين ما أعطوني شيئاً من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ فأقول به » .

وقول ابن أبي دؤاد : « هو - والله - يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع » .
وبعد ما لاقاه أبو عبد الله من صنوف الأذى وأنواع التعذيب ، وخيبة أمل بطانة الخليفة ، أعيد - رحمه الله - إلى منزله .

يقول حنبل بن إسحاق : « فلم يزل أبو عبد الله أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - بعد أن أطلقه المعتصم ، وانقضاء أمر المحنة ، ويراً من ضربه ، يحضر الجمعة والجماعة ، ويفتي ويحدث أصحابه ، حتى مات أبو إسحاق ، وولي هارون ابنه^(٢) ، وهو الذي يدعى الواثق . . . »^(٣) .

فحسّن له ابن أبي دؤاد امتحان الناس بخلق القرآن ، ففعل ذلك^(٤) ولم

= البداية والنهاية - لابن كثير - ٣٧٧/١٠ - ٣٨٠ .

(١) ترجمته في قسم التحقيق من هذا الكتاب .

(٢) وكان ذلك سنة سبع وعشرين ومائتين من الهجرة .

انظر ترجمته بقسم التحقيق من هذا الكتاب .

(٣) انظر : محنة الإمام أحمد بن حنبل - لحنبل بن إسحاق - ص ٦٩ .

(٤) كان ممن امتحن بالقول بخلق القرآن في عهده أحمد بن نصر الخزاعي ، أحد أئمة

السنة القائلين : إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، وكان نتيجة هذا الامتحان

قتله - رحمه الله - على يد الواثق ، بتحريض من ابن أبي دؤاد وأصحابه =

يتعرض للإمام أحمد^(١) ، لكنه أرسل له بأن لا يساكنه بأرض ، ولا يأتيه ولا يجتمع به أحد ، فاختمى - رحمه الله - بقية حياة الواصل^(٢) .

ورغم ما ناله - رحمه الله - كما مر في أيام المأمون ، ثم المعتصم ، ثم الواصل ، وما أصابه من الحبس الطويل ، والضرب الشديد ، والتهديد والوعيد بالقتل ، إلا أنه قابل ذلك كله بالصبر ورجاء الثواب من عند الله والتمسك بالكتاب والسنة وما عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان .

إلى أن تولى المتوكل^(٣) ، فأظهر الله به السنة وأعز أهلها ، وقمع البدعة وأذل أهلها ، فكتب إلى الآفاق بالمنع من الكلام في القول بخلق القرآن ووجه الفقهاء والمحدثين بالجلوس للناس ، وأن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية ، وأرسل إلى نائبه ببغداد أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه ، فاستدعاه وأكرمه وأجله لما يعلمه من مكانته عند الخليفة المتوكل ،

= سنة ٢٣١ هـ .

- (١) ذكر ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٤٢٩ أن عدم تعرض الواصل للإمام أحمد إما لما علمه من صبره ، أو لما خاف من تأثير عقوبته .
- (٢) انظر : محنة الإمام أحمد بن حنبل - لحنبل بن إسحاق - ص ٧٢ .
- (٣) سنة اثنين وثلاثين ومائتين من الهجرة .

انظر : ترجمته بقسم التحقيق من هذا الكتاب ، وليعلم القارئ أن الوشاة والناقمين وأعداء الإسلام لا يهدأ لهم بال ، ولا يهنأ لهم عيش ولا يقر لهم قرار إلا بالكيد والفساد ومحاولة إخفاء الحقائق ، واختلاق الدعاوي الباطلة ودعمها بالكاذب ، وتزيينها بالباطل ، وهذا ما ظهر بين فترة وأخرى في ولاية المتوكل ، إذ تحدثنا كتب التاريخ والسير أن هؤلاء الأعداء ينقلون إلى الخليفة الأخبار الكاذبة ، والتهم الباطلة محاولة منهم في تحريض الخليفة على الإمام أحمد - رحمه الله - لكن الخليفة استفاد من دروس سابقه ، فكان لا يتسرع في إصدار الأحكام إلا بعد ترو ، ومتابعة يقف من خلالها على الحقيقة ، فكان في كل مرة يكتشف براءة ساحة الإمام أحمد ، وأنه لا يهدف إلى شيء سوى إظهار العقيدة السلفية النقية من غير مجاملة ولا مهادنة .

ويمكن للقارئ الاطلاع على المجلد العاشر من البداية والنهاية - لابن كثير - ص ٣٨٢ ، ٣٨٥ ليرى بعض مكائد أعداء السلف الصالح في ظل ولاية المتوكل .

وأخبره بطلب الخليفة ، فاعتل الإمام أحمد بضعفه وكبره ، ولكن المتوكل أكد على حضوره إليه ، وبعث إليه بكتاب مفاده أنه يريد الأئمة به وبقربه .
 فخرج الإمام أحمد من بغداد إلى الخليفة المتوكل^(١) ، وعند وصوله أكرمه إكراماً عظيماً - يستحقه - يرحمه الله - لكنه اعتبر ذلك ابتلاء وامتحاناً له - أيضاً - فكان لا يقبل ما يغدق به الخليفة عليه ، ويقول : « سلمت منهم طول عمري ، ثم ابتليت بهم في آخره » .

فلما رأوا منه عدم قبول الترف وملاذ الدنيا ، أذنوا له بالرجوع إلى بغداد ، وكان الخليفة يوفد إليه في أمور تقع له يشاوره فيها ، ويسأل عنه ويطمئن عليه ، إلى أن توفي^(٢) - رحمه الله رحمة واسعة .

وقد كتب المتوكل إلى الإمام أحمد يسأله عن القول بالقرآن ، سؤال المسترشد المستفيد ، لا سؤال المتعنت الممتحن ، فكتب - إليه الإمام أحمد - رسالة حسنة^(٣) ، أبان فيها ما يجب اعتقاده في هذه المسألة ، وضمنها بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان^(٤) .
 وبعد هذا العرض لقضية الفتنة المتعلقة ببدعة القول بخلق القرآن نتعرف على موقف شيخ الإسلام في هذا الكتاب من هذه القضية ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

١ - نظر شيخ الإسلام إلى موقف الخلفاء ومن تبعهم الذين أرادوا أن يلزموا الناس بأمر لم يرد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وحكم على موقفهم بأنه لا يجوز منهم هذا الإلزام للناس ، واستدل على ذلك بمواقف لسلف هذه الأمة من أمور لها الصفة نفسها في عدم وجودها في كتاب الله أو سنة رسوله ، وكان فعلهم منسجماً مع هذا الحكم ، فقال رحمه الله في ذلك :
 « ليس لأحد من الناس أن يلزم الناس ويوجب عليهم إلا ما أوجبه الله

(١) كان ذلك سنة سبع وثلاثين ومائتين من الهجرة .

(٢) سنة إحدى وأربعين ومائتين من الهجرة .

(٣) أوردها ابنه أبو الفضل صالح بن أحمد في سيرة الإمام أحمد ص ١٢٤ - ١٣٠ .

(٤) انظر (بتصرف) : مناقب الإمام أحمد - لابن الجوزي - ص ٤٣٨ - ٤٦٢ .

والبداية والنهاية - لابن كثير - ٣٨٢/١٠ - ٣٨٥ .

ورسوله ، ولا يحظر عليهم إلا ما حظره الله ورسوله ، فمن أوجب ما لم يوجبه الله ورسوله ، وحرّم ما لم يحرمه الله ورسوله ، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، وهو مضاء لما ذمه الله في كتابه من حال المشركين وأهل الكتاب الذين اتخذوا ديناً لم يأمرهم الله به ، وحرّموا ما لم يحرمه الله عليهم ، وقد بين ذلك في سورة الأنعام والأعراف وبراءة وغيرهن من السور ، ولهذا كان من شعار أهل البدع إحداث قول أو فعل ، وإلزام الناس به وإكراههم عليه أو الموالاة عليه والمعاداة على تركه ، كما ابتدعت الخوارج رأيها وألزمت الناس به ، ووالت وعادت عليه ، وابتدعت الرافضة رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه ، وابتدعت الجهمية رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه ، لما كانت لهم قوة في دولة الخلفاء الثلاثة الذين امتحن في زمانهم الأئمة ليوافقهم على رأي جهم الذي مبدؤه أن القرآن مخلوق ، وعاقبوا من لم يوافقهم على ذلك .

ومن المعلوم أن هذا من المنكرات المحرمة بالعمل الضروري من دين المسلمين ، فإن العقاب لا يجوز أن يكون إلا على ترك الواجب أو فعل محرم ، ولا يجوز إكراه أحد إلا على ذلك والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله ، فمن عاقب على فعل أو ترك بغير أمر الله ورسوله وشرع ذلك ديناً فقد جعل لله نداً ولرسوله نظيراً بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله أنداداً ، وبمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسليمة الكذاب ، وهو ممن قيل فيه : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾^(١) ، ولهذا كان أئمة السنة والجماعة لا يلزمون الناس بما يقولونه من موارد الاجتهاد ، ولا يكرهون أحداً عليه ، ولهذا لما استشار هارون الرشيد مالك بن أنس في حمل الناس على موطنه ، قال له : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار فأخذ كل قوم عمن كان عندهم ، وإنما جمعت علم أهل بلدي ، أو كما قال ، وقال مالك - أيضاً - : إنما أنا بشر أصيب وأخطيء ، فاعرضوا قولتي على الكتاب والسنة .

(١) سورة الشورى . الآية ٢١ .

وقال أبو حنيفة : هذا رأيي فمن جاءنا برأي أحسن منه قبلناه ، وقال الشافعي : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط ، وقال : إذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فإني أقول بها .

وقال المزني في أول مختصره : هذا كتاب اختصرته من علم أبي عبد الله الشافعي لمن أراد معرفة مذهبه ، مع إعلامه نهييه عن تقليده وتقليد غيره من العلماء .

وقال الإمام أحمد : ما ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم . وقال : ولا تقلد دينك الرجال ، فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا .

فإذا كان هذا قولهم في الأمور العملية وفروع الدين ، لا يستجيزون إلزام الناس بمذاهبهم مع استدلالهم عليها بالأدلة الشرعية فكيف بإلزام الناس وإكراههم على أقوال لا توجد في كتاب الله ، ولا في حديث عن رسول الله ﷺ ولا تؤثر عن الصحابة والتابعين ولا عن أحد من أئمة المسلمين ؟ ولهذا قال الإمام أحمد لابن أبي دؤاد الجهمي ، الذي كان قاضي القضاة في عهد المعتصم لما دعا الناس إلى التجهم ، وأن يقولوا القرآن مخلوق ، وإكراههم عليه بالعقوبة ، وأمر بعزل من لم يجبه وقطع رزقه ، إلى غير ذلك مما فعله في محنته المشهورة ، فقال له في مناظرته لما طلب منه الخليفة أن يوافقه على أن القرآن مخلوق : ائتوني بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أجيبكم به ، فقال له ابن أبي داؤد : وأنت لا تقول إلا بما في كتاب الله أو سنة رسوله ، فقال له : هب أنك تأولت تأويلاً فأنت أعلم وما تأولت ، فكيف تستجيز أن تكره الناس عليه بالحبس والضرب ؟

فبين أن العقوبة لا تجوز إلا على ترك ما أوجبه الله أو فعل ما حرمه الله ، فإن كان القول ليس في كتاب الله وسنة رسوله لم يجب على الناس أن يقولوه ، لأن الإيجاب إنما يتلقى من الشارع ، وإن كان القول في نفسه حقاً ، أو اعتقد قائله أنه حق ، فليس له أن يلزم الناس أن يقولوا ما لم يلزمهم الرسول أن يقولوه - لا نصاً ولا استنباطاً - وإذا كان كذلك فقول القائل : المطلوب من

فلان أن يعتقد كذا وكذا ، وأن لا يتعرض لكذا وكذا ، إيجاب عليه لهذا الاعتقاد وتحريم عليه لهذا الفعل ؟ ، وإذا كانوا لا يرون خروجه من السجن إلاّ بالموافقة على ذلك فقد استحلوا عقوبته وحبسه حتى يطيعهم في ذلك ، فإذا لم يكن ما أمروا به قد أمر الله به ورسوله ، وما نهوا عنه قد نهى الله عنه ورسوله ، كانوا بمنزلة من ذكر من الخوارج والروافض والجهمية المشابهين للمشركين والمرتدين ومعلوم أن هذا الذي قالوه لا يوجد في كلام الله ورسوله بحال ، وهم - أيضاً - لم يبينوا أنه يوجد في كلام الله ورسوله ، فلو كان هذا موجوداً في كلام الله ورسوله لكان عليهم بيان ذلك ، لأن العقوبات لا تجوز إلاّ بعد إقامة الحجة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مَعْدُبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾^(١) ، فإذا لم يقيموا حجة الله التي يعاقب من خالفها، بل لا يوجد ما ذكره في حجة الله ، وقد نهوا عن تبليغ حجة الله ورسوله ، كان هذا من أعظم الأمور مماثلة لما ذكر من حال الخوارج ، المارقين المضاهين للمشركين والمرتدين والمنافقين^(٢) .

٢ - أنه رحمه الله نظر إلى الفتنة على أنها أشد الفتن جرماً ، وأنه قد بذل في إذاعتها وإكراه الناس عليها ما لم يبذل في بدع أخرى ، فقال - رحمه الله :

« فإن مسألة القرآن وقع فيها بين السلف والخلف من الإضراب والنزاع ما لم يقع نظيره في مسألة العلو والارتفاع ، إذ لم يكن على عهد السلف من ييوح بإنكار ذلك ونفيه ، كما كان على عهدهم من باح بإظهار القول بخلق القرآن ، ولا اجتراً الجهمية إذ ذاك على دعاء الناس إلى نفي علو الله على عرشه ، بل ولا أظهرت ذلك ، كما اجتروا على دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن ، وامتحانهم على ذلك ، وعقوبة من لم يجبههم بالحبس ، والضرب ، والقتل ، وقطع الرزق ، والعزل عن الولايات ، ومنع قبول الشهادة ، وترك افتدائهم من أسر العدو ، إلى غير ذلك من العقوبات التي إنما تصلح لمن خرج عن الإسلام ، وبدلوا بذلك الدين نحو تبديل كثير من المرتدين ، فأتى الله بقوم يجبههم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزّة على الكافرين ، يجاهدون في

(١) سورة الإسراء . الآية ١٥ .

(٢) انظر : ص ١٧٦ - ١٨٣ من هذا الكتاب - قسم التحقيق .

سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، فجاهدوا في الله حق جهاده ، متبعين سبيل الصديق وإخوانه الذين جاهدوا المرتدين ، بعد موت رسول الله ﷺ حتى وسمه المسلمون بالإمامة ، وبأنه الصديق الثاني ، من كان أحق بهذا التحقيق عن فتور الواني .

فإن أولئك الجهمية جعلوا المؤمنين كفاراً مرتدين ، وجعلوا ما هو من الكفر والتكذيب للرسول إيماناً وعلماً ، ولبسوا على الأئمة والأمة الحق بالباطل ، وكانت فتنتهم في الدين أعظم ضرراً من فتنة الخوارج المارقين ، فإن أولئك - وإن كفّروا المؤمنين واستحلوا دماءهم وأموالهم - فلم تكن فتنتهم الجحود بكلام ربّ العالمين ، وأسمائه ، وصفاته ، وما هو عليه في حقيقة ذاته ، بل كانت فيما دون ذلك من الخروج عن السنة المشروعة وإن كان أهل المقالات قد نقلوا أن قول الخوارج في التوحيد هو قول الجهمية والمعتزلة ، فهذا شر للجهمية ، لكن يشبهه - والله أعلم - أن يكون ذلك قد قاله من بقايا الخوارج من كان موجوداً حين حدوث مقالات جهم في أوائل المائة الثانية ، فأما قبل ذلك فلم يكن قد حدث في الإسلام قول جهم في نفي الصفات ، والقول بخلق القرآن ، وإنكار أن يكون الله على عرشه ، ونحو ذلك ، فلا يصح إضافة هذا القول إلى أحد من المسلمين قبل المائة الثانية ، لا من الخوارج ، ولا من غيرهم ، فإن لم يكن في الإسلام إذ ذاك من يتكلم بشيء من هذه السلوب الجهمية ، ولا نقل أحد عن الخوارج المعروفين - إذ ذاك - ولا عن غيرهم شيئاً من هذه المقالات الجهمية ^(١) .

٣ - كشف الشيخ - رحمه الله - موقف الذين خاضوا في فتنة القائلين بخلق القرآن عن تخبطهم وضلالهم في زعمهم الإيمان بما جاءت به الرسل ، وهم ينكرون في الوقت نفسه مضمون ما جاءت به الرسل ، فحقيقة قولهم إنكار صفات الله - تعالى ، ومنها كونه - سبحانه - متكلماً بكلام قائم به ، فقال :

« إن الجهمية لما أحدثت القول بأن القرآن مخلوق ، ومعناه أن الله لم

(١) انظر ص ٢٣٠ - ٢٣٢ من هذا الكتاب - قسم التحقيق .

يصف نفسه بالكلام أصلاً ، بل حقيقته أن الله لم يتكلم ولا يتكلم كما أفصح به رأسهم الأول الجعد بن درهم ، حيث زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، لأن الخلقة إنما تكون من المحبة ، وعنده أن الله لا يحب شيئاً في الحقيقة ، ولا يحبه شيء في الحقيقة ، فلا يتخذ شيئاً خليلاً ، وكذلك الكلام يمتنع عنده على الرب تعالى .

وكذلك نفت الجهمية من المعتزلة وغيرهم أن يكون لله كلام قائم به ، أو إرادة قائمة به ، وادعوا ما باهتوا به صريح العقل المعلوم بالضرورة أن المتكلم يكون متكلماً بكلام يكون في غيره ، وقالوا : - أيضاً - يكون مريداً بإرادة ليست فيه ولا في غيره ، أو الإرادة وصف عدمي ، أو ليست غير الإرادات المخلوقة ، وغير الأمر وهو الصوت المخلوق في غيره .

فكان حقيقة قولهم : التكذيب بحقيقة ما أخبرت به الرسل من كلام الله ومحبه ومشيتته ، وإن كانوا قد يقرون بإطلاق الألفاظ التي أطلقتها الرسل ، وهذا حال الزنادقة المنافقين ، من الصابئين والمشركين ، من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم ، فيما أخبرت به الرسل في باب الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، بل وفيما أمرت به - أيضاً - وهم مع ذلك يقرون بكثير مما أخبرت به الرسل وتعظيم أقدارهم ، فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض»^(١) .

٤ - أنه - رحمه الله - أدلى بدلوه في الرد على من تولى كبر فتنة القول بخلق القرآن ، فرد عليهم رداً منطقياً بإيراده لمجموعة من الأمثلة التي يستحيل معها أن المتكلم بكلام يكون قائماً بغيره ولا يقوم به ، فقال - رحمه الله :

« فلما ابتدعت الجهمية هذه المقالات في أثناء المائة الثانية أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها ، ثم استفحل أمرهم في أوائل المائة الثالثة بسبب ما أدخلوه في شركهم وفريتهم من ولاة الأمور ، وجرت المحنة المشهودة ، وكانت أئمة الهدى على ما جاءت به الرسل عن الله من أن القرآن كلام الله تكلم به هو سبحانه ، وهو منه قائم به ، وما كان كذلك لم يكن مخلوقاً ، إنما

(١) انظر ص ٢٧١ - ٢٧٢ من هذا الكتاب - قسم التحقيق .

المخلوق ما يخلقه من الأعيان المحدثة وصفاتها ، وكثير منهم يرد قول الجهمية بإطلاق القول : بأن القرآن كلام الله ، لأن حقيقة قولهم : إنه ليس كلامه ولا تكلم به ولا بغيره ، فإن المستقر في فطر الناس وعقولهم ولغاتهم ، أن المتكلم بالكلام لا بد أن يكون به الكلام ، فلا يكون متكلماً بشيء لم يقوم به بل هو قائم بغيره ، كما لا يكون عالماً بعلم قائماً بغيره ، ولا حياً بحياة قائمة بغيره ، ولا مريداً بإرادة قائمة بغيره ، ولا محباً ومبغضاً ولا راضياً وساخطاً بحب وبغض ورضى وسخط قائم بغيره ، ولا متألماً ولا متنعماً وفرحاً وضاحكاً بتألم وتنعم وفرح وضحك قائم بغيره ، فكل ذلك عند الناس من العلوم الضرورية البديهية الفطرية التي لا ينازعهم فيها إلا من أحييت فطرته ، وكذلك عندهم لا يكون أمراً وناهياً بأمر ونهي لا يقوم به بل يقوم بغيره ، ولا يكون مخبراً ومحدثاً ومنبئاً بخبر وحديث ونبأ لا يقوم به بل بغيره ، ولا يكون حامداً وذاماً ومادحاً ومثنياً بحمد وذم ومدح وثناء لا يقوم به بل بغيره ، ولا يكون مناجياً ومنادياً وداعياً بنجاء ودعاء ونداء لا يقوم به بل لا يقوم إلا بغيره ، ولا يكون واعداً وموعداً بوعد ووعيد لا يقوم به بل لا يقوم إلا بغيره ، ولا يكون مصدقاً ومكذّباً بتصديق وتكذيب لا يقوم به بل لا يقوم إلا بغيره ، ولا يكون حالفاً ومقسماً ومولياً بحلف وقسم ويمين لا يقوم به إلا بغيره ، بل من أظهر العلوم الفطرية الضرورية التي علمها بنو آدم وجوب قيام هذه الأمور بالموصوف بها وامتناع أنها لا تقوم به بل لا تقوم إلا بغيره ، فمن قال : إن الحمد والثناء والأمر والنهي والنبأ والخبر والوعد والوعيد والحلف واليمين والمناداة والمناجاة وسائر ما يسمى ويوصف به أنواع الكلام يمتنع أن تكون قائمة بالأمر الناهي المناجي المنادي المنبئ المخبر الواعد المتواعد الحامد المثني الذي هو الله تعالى ، ويجب أن تكون قائمة بغيره ، فقد خالف الفطرة الضرورية المتفق عليها بين آدميين ، وبدل لغات الخلق أجمعين ثم مع مخالفته للمعقولات واللغات فقد كذب المرسلين أجمعين ، ونسبهم إلى غاية التدليس والتلبيس على المخاطبين ، لأن الرسل أجمعين أخبروا أن الله أمر ونهى وقال ويقول ، وقد علم بالاضطرار أن مقصودهم أن الله هو نفسه الذي

أمر ونهى وقال ، لا أن ذلك شيء لم يقم به بل خلقه في غيره ، ثم لو كان مقصودهم ذلك فمعلوم أن هذا ليس هو المعروف من الخطاب ولا المفهوم منه ، لا عند الخاصة ولا عند العامة ، بل المعروف المعلوم أن يكون الكلام قائماً بالمتكلم ، فلو أرادوا بكلامه وقوله أنه خلق في بعض المخلوقات كلاماً لكانوا قد أضلوا الخلق - على زعم الجهمية - ولبسوا عليهم غاية التلبيس ، وأرادوا باللفظ ما لم يدلوا الخلق عليه ، والله تعالى قد أخبر أن الرسل قد بلغت البلاغ المبين ، فمن نسبهم إلى هذا فقد كفر بالله ورسله ، وهذا قول الزنادقة المنافقين الذي هم أصل الجهمية الذي يصفون الرسل بذلك من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم ، بل كون المتكلم الأمر الناهي لا يوصف بذلك إلا لقيام الكلام بغيره مع امتناع قيامه به ، أمر لا يعرف في اللغة ، لا حقيقة ولا مجازاً»^(١) .

مسألة كلام الله تعالى :

وصف الشيخ - رحمه الله - هذه المسألة بأنها مسألة هامة ، وأنها مما حيرت عقول الأنام لكثرة اختلاف الناس فيها .

فقال - رحمه الله : « إن الناس كثر نزاعهم فيها ، حتى قيل : مسألة الكلام حيرت عقول الأنام »^(٢) .

وقال : « ومسألة القرآن كثر فيها اضطراب الناس ، حتى قال بعضهم : مسألة الكلام حيرت عقول الأنام »^(٣) .

وقال : « . . . وإنما المقصود هنا ذكر قول مختصر جامع بين الأقوال السديدة التي دل عليها الكتاب والسنة ، وكان عليها سلف الأمة في مسألة الكلام ، التي حيرت عقول الأنام »^(٤) .

(١) انظر ص ٢٩٤ - ٢٩٨ من هذا الكتاب - قسم التحقيق .

(٢) مجموع الفتاوى - ١١٣/١٢ .

(٣) المصدر السابق - ٢١١/١٢ .

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم - ٣٦٨/٣ .

ونعتها - رحمه الله - بأنها مسألة عظيمة ، فقال :

« وكثير من الكتب المصنفة في أصول علوم الدين وغيرها ، تجد الرجل المصنف فيها في المسألة العظيمة ، كمسألة القرآن . . . »^(١) .

وبين - رحمه الله - أنها تشتمل على مسائل معضلة يصعب على من ضل عن منهج السلف فهمها ، فقال - بعد أن بين سبب نزاع المتأخرين في الحروف التي في الكلام - :

« . . . فمن فهم قول السلف ، وفرق بين هذه الأقوال ، زالت عنه الشبهات في هذه المسألة المعضلة التي اضطرب بها أهل الأرض »^(٢) .

وإذا كانت هذه المسألة بهذه المثابة من الأهمية وصعوبة فهمها ، مما جعلها محيرة للعقول ، فليعذرني القارئ عما أقصر فيه من بيان وإيضاح لهذه المسألة ، ولا يعني هذا أنني ألتمس العذر لنفسي ، فيعلم الله وحده ما بذلته من جهد ووقت في سبيل جمع شتات هذه المسألة الدقيقة ، ولا يظن أنني سوف أضيف جديداً على ما ذكره الشيخ - رحمه الله - فلقد وفي هذه المسألة حقها من العرض والمناقشة ، وإلجام المخالفين بالبراهين والأدلة العقلية والنقلية التي تؤيد رأي السلف - رحمهم الله تعالى .

☆ ☆ ☆

(١) . مجموع الفتاوى - ١١٥/١٢ .

(٢) . مجموعة الرسائل والمسائل - لابن تيمية - كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق

كلام الله الكريم - ٣/٣٨١ .

الأصل الذي تفرع منه نزاع الناس في مسألة الكلام

الشيخ - رحمه الله - بين في هذا الكتاب وفي غيره من مؤلفاته أن الأصل الذي تفرع منه نزاع الناس في هذه المسألة « هو الكلام الذي ذمه السلف وعابوه ، وهو الكلام في المشتبه المشتمل على حق وباطل ، فيه ما يوافق العقل والسمع ، وفيه ما يخالف العقل والسمع ، فيأخذ هؤلاء جانب النفي المشتمل على نفي الحق والباطل ، وهؤلاء جانب الإثبات المشتمل على إثبات حق وباطل ، وجماعه هو الكلام المخالف للكتاب والسنة ، وإجماع السلف ، فكل كلام خالف ذلك فهو باطل ، ولا يخالف ذلك إلا كلام مخالف للعقل والسمع .

وذلك أنه لما تناظروا في مسألة حدوث العالم وإثبات الصانع ، استدلت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف أهل الكلام على ذلك بأن ما يخلو عن الحوادث فهو حادث .

ثم إن المستدلين بذلك على حدوث الأجسام ، قالوا : إن الأجسام لا تخلو عن الحوادث ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

ثم تنوعت طرقهم في المقدمة الأولى :

فتارة يثبتونها بأن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون ، وهما حادثان .

وتارة يثبتونها بأن الأجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق ، وهما حادثان .

وتارة يثبتونها بأن الأجسام لا تخلو عن الأكوان الأربعة : الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون ، وهي حادثة .

وهذه طرق المعتزلة ومن وافقهم على أن الأجسام لا تخلو عن بعض الأعراض .

وتارة يثبتونها بأن الجسم لا يخلو من كل جنس من الأعراض عن عرض منه ، ويقولون : القابل للشيء لا يخلو منه وعن ضده .

ويقولون : إن الأعراض يمتنع بقاؤها ، لأن العرض لا يبقى زمانين ، وهذه الطريقة هي التي اختارها الآمدي^(١) ، وزيف ما سواها ، وذكر أن جمهور أصحابه اعتمدوا عليها^(٢) .

وقد وافقهم عليها طائفة من الفقهاء من أصحاب الأئمة الأربعة ، كالقاضي أبي يعلى^(٣) ، وأبي المعالي الجويني^(٤) ، وأبي الوليد الباجي^(٥) ، وأمثالهم^(٦) .

وقد تكلم أبو المعالي الجويني على هذا الأصل في موضعين من كتابه الإرشاد :

الموضع الأول^(٧) :

في مسألة حدوث العالم ، حيث استدل بدليل الأعراض المشهور ، وهو أن الجسم لا يخلو من الأعراض ، وما لا يخلو عنها فهو حادث ، وهو الدليل الذي اعتمدت عليه المعتزلة قبله ، وذمه الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر^(٨) ، وبين أنه ليس من طرق الأنبياء وأتباعهم .

وهذا الدليل الذي استدل به الجويني مبني على إثبات أربع مقدمات :

- (١) له ترجمة في قسم التحقيق .
- (٢) انظر : اختيار الآمدي لهذه الطريقة ، وزيفه لما سواها في أبحاث الأفكار - مخطوط - اللوحة ١٧٠ ، ١٧١ .
- (٣) له ترجمة في قسم التحقيق .
- (٤) له ترجمة في قسم التحقيق .
- (٥) له ترجمة في قسم التحقيق .
- (٦) مجموع الفتاوى - لابن تيمية - ١٢/١٤٠ ، ١٤١ .
- وانظر : قسم التحقيق - ص ٤٨٣ .
- (٧) انظر كلامه عن هذا الموضوع في ص ١٢٧-١٣٩ من قسم التحقيق .
- (٨) انظر : أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر - لأبي الحسن الأشعري - ص ٥٤ - ٥٨ .

- إثبات الأعراض .

- إثبات حدوثها .

- إثبات استحالة تعري الجواهر عن الأعراض .

- إثبات استحالة حوادث لا أول لها .

والشيخ - رحمه الله - كثيراً ما يتعرض لهذه المقدمات بالنقد والمناقشة في هذا الكتاب^(١) .

الموضع الثاني^(٢) :

فقد قرر فيه أن مما يخالف الجوهر فيه حكم الإله: قبول الأعراض ، وصحة الاتصاف بالحوادث ، والرب يتقدس عن قبول الحوادث .

وقد بين الشيخ - رحمه الله - ما في كلام الجويني هذا من مجانبة للصواب^(٣) .

أما « الهشامية » و« الكرامية » وغيرهم من الطوائف الذين يقولون بحدوث كل جسم ، ويقولون : إن القديم تقوم به الحوادث ، فهؤلاء إذا قالوا بأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، كما هو قول الكرامية وغيرهم موافقة للمعتزلة في هذا الأصل ، فإنهم يقولون : إن الجسم القديم لا يخلو عن الحوادث ، بخلاف الأجسام المحدثه ، فإنها لا تخلو عن الحوادث .

والناس متنازعون في السكون ، هل هو أمر وجودي أو عدمي ؟

فمن قال : إنه وجودي ، قال : إن الجسم الذي لا يخلو عن الحركة والسكون إذا انتفت عنه الحركة قام به السكون الوجودي ، وهذا قول من يحتج بتعاقب الحركة والسكون على حدوث المتصف بذلك .

(١) انظر قسم التحقيق ص ٧٢٠ - ٧٢٦ .

ودرء التعارض العقل والنقل - لابن تيمية - ١٨٨/٢ - ١٩٣ .

(٢) انظر : الإرشاد للجويني - ص ٤٤ وما بعدها .

(٣) انظر : قسم التحقيق ص ٦٠٣ فما بعدها .

ودرء تعارض العقل والنقل - لابن تيمية - ١٩٣/٢ - ١٩٧ .

ومن قال : إنه عدمي : لم يلزم من عدم الحركة عن المحل ثبوت سكون وجودي .

فمن قال : إنه تقوم به الحركة أو الحوادث بعد أن لم تكن ، مع قوله بامتناع تعاقب الحوادث ، كما هو قول الكرامية وغيرهم ، يقولون : إذا قامت به الحركة لم يعدم بقيامها سكون وجودي ، بل ذلك عندهم بمنزلة قولهم مع المعتزلة والأشعرية وغيرهم إنه يفعل بعد أن لم يكن فاعلاً ولا يقولون : إن عدم الفعل أمر وجودي ، كذلك الحركة عند هؤلاء .

وكان كثير من أهل الكلام يقولون : ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث ، بناء على أن هذه مقدمة ظاهرة ، فإن ما لا يسبق الحادث فلا بد أن يقارنه أو يكون بعده وما قارن الحادث فهو حادث ، وما كان بعده فهو حادث^(١) .

وهذا الكلام كما يقول الشيخ - رحمه الله - مجمل .

فإن أريد به ما لا يخلو عن الحادث المعين ، أو ما لا يسبق الحادث المعين ، فهو حق بلا ريب ، ولا نزاع فيه ، وكذلك إذا أريد بالحادث جملة ما له أول ، أو ما كان بعد العدم ونحو ذلك .

وأما إذا أريد بالحوادث الأمور التي تكون شيئاً بعد شيء لا إلى أول وقيل : إنه ما لا يخلو عنها ، وما لم يخل عنها فهو حادث ، لم يكن ذلك ظاهراً ولا بيناً ، بل هذا المقام حار فيه كثير من الأفهام ، وكثر فيه النزاع والخصام ، ولهذا صار المستدلون بقولهم : ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث يعلمون أن هذا الدليل لا يتم إلا إذا أثبتوا امتناع حوادث لا أول لها .

وهذا الدليل الذي اعتمد عليه كثير من أهل الجدل في إثبات حدوث العالم ، وبنوا عليه نفي الصفات عن الله^(٢) ، واعتقدوا أن لا دليل سواه ، بل

(١) مجموع الفتاوى - لابن تيمية - ١٤١/١٢ ، ١٤٢ .

(٢) ولذا نجدهم يبرهنون على نفي الصفات عن الله تعالى بقولهم : الأعراض - التي هي الصفات - تدل على حدوث الموصوف الحامل لهذه الأعراض ، فالتزموا نفيها عن الله ، لأن إثباتها يستلزم حدوثها - عندهم .

ربما اعتقدوا أنه لا يضح إيمان أحد إلا به ، بطلانه معلوم بالاضطرار من دين الإسلام^(١) .

والشيخ - رحمه الله - تصدى لهذا الدليل الباطل ، وبين وجه تناقضه ، وأن الاستدلال على حدوث العالم لا يحتاج إلى الطريقة التي سلكها أولئك المتكلمون ، بل يمكن إثبات حدوثه بطرق أخرى عقلية صحيحة ، لا يعارضها عقل صريح ولا نقل صحيح . في مواضع من هذا الكتاب أحيل عليها^(٢) اكتفاء بذكرها هنا .

وإذا عرف الأصل الذي تفرع منه النزاع في مسألة الكلام ، فلا بد أن نعرف النزاع الحاصل في المسألة نفسها ، وذلك على ضوء ما عرضه الشيخ - رحمه الله - في هذا الكتاب .

إلزامات :

ألزم السلف المعطلة النفاة لصفة الكلام بإلزامات أذكر منها :

١ - مشابهة قولهم لقول النصارى قالوا : إن عيسى نفس كلمة الله فجعلوا الكلام الذي هو من قبيل الأعراض جوهرأ قائماً بنفسه ، ولذا اتخذوه إلهأ ، فقالوا : إن اللاهوت - ويعنون الكلمة - اتحدت بالناسوت - ويعنون جسد عيسى - .

فعندهم أن عيسى مركب من جزئين :

جزء إلهي قديم ، وهو الكلمة .

وجزاء حادث مخلوق ، وهو الجسد ، لكنهما اتحدا وصارا شيئأ واحداً هو المسيح .

وهذا القول من جنس قول الكلاية والأشعرية الذين جعلوا القرآن نصفين :

قديم : وهو المعنى القائم بالنفس .

(١) انظر مجموع الفتاوى - لابن تيمية - ١٤٢/١٢ ، ١٤٣ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ .

(٢) انظر ما يتعلق بهذه المسألة ومناقشة الشيخ لها في قسم التحقيق ص ٤٨٣ - ٤٩٦ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، وص ٧٤٧ - ٨٠٣ .

ومحدث : وهو المصحف .

يقول الشيخ - رحمه الله : « والجهمية الغلاط يضاهئونهم مضاهاة عظيمة ، لكن المقصود هنا ذكر مضاهاة هؤلاء الذين يقولون الكلام معنى واحد قائم بذات الرب ، فيقال : أنتم قلتُم : الكلام معنى واحد لا ينقسم ولا يختلف ، وهذا المعنى الواحد هو بعينه أمر ونهي وخبر ، فجعلتم الواحد ثلاثة ، وجعلتم الواحد الذي لا اختلاف فيه ثلاث حقائق مختلفة ، وهذا مضاهاة قوية لقول النصارى : الرب إله واحد جوهر واحد ، وهو مع ذلك ثلاثة جواهر ، فجعلوه واحداً ، وجعلوه ثلاثة ، ثم قلتُم : هذا الكلام الذي هو واحد ، وهو أمر ونهي وخبر ، ينزل تارة فيكون أمراً ، وتارة فيكون خبراً ، وتارة فيكون نهياً ، وإذا نزل فكان أمراً لم يكن خبراً ، وإذا نزل فكان خبراً لم يكن أمراً ، فإنه إذا أنزله الله فكان آية الكرسي ، وهي خبر ، لم يكن آية الدين التي هي أمر ، وهذا لعله من أعظم المضاهاة لقول النصارى أن الجوهر الواحد الذي هو ثلاثة جواهر ثلاثة أقانيم ، إذا اتحد فإنما يكون كلمة وابتناً ، لا يكون أباً ولا روح قدس ، فإن هؤلاء ، كما جعلوا الشيء الذي هو واحد يتحد ولا يتحد ، يتحد من كونه كلمة ، ولا يتحد من كونه وجوداً ، جعل أولئك الذي هو كلام واحد ، ينزل لا ينزل ، ينزل من جهة كونه أمراً ، لا ينزل من جهة كونه خبراً .

وأيضاً - فإنهم ضاهوا النصارى في تحريف مسمى الكلمة والكلام ، فإن المسيح سمي كلمة الله ، لأن الله خلقه بكلمته . . . لكن هذه الكلمة تارة يجعلونها صفة لله ، ويقولون : هي العلم ، وتارة يجعلونها جوهرأ قائماً بنفسه ، وهي المتحد بالمسيح ، وهؤلاء حرفوا مسمى الكلام ، فزعموا أنه ليس إلا مجرد المعنى ، وأن ذلك المعنى ليس هو العلم ، ولا الإرادة ، ولا ما هو من جنس ذلك ، ولكن هو شيء واحد ، وهو حقائق مختلفة . . . » .

وأيضاً - فهم في لفظ القرآن الذي هو حروف واشتماله على المعنى ، لهم مضاهاة قوية بالنصارى في جسد المسيح الذي هو متدرج للاهوت ، فإن هؤلاء متفقون على أن حروف القرآن ليست من كلام الله ، بل هي مخلوقة ،

كما أن النصارى متفقون على أن جسد المسيح لم يكن من اللاهوت ، بل هو مخلوق ، ثم يقولون : المعنى القديم لما أنزل بهذه الحروف المخلوقة ، فمنهم من يسمي الحروف كلام الله حقيقة ، كما يسمي المعنى كلام الله حقيقة ، ومنهم من يقول : بل هي كلام الله مجازاً ، كما أن النصارى منهم من يجعل لاهوتاً حقيقة لاتحاده باللاهوت واختلاطه به ، ومنهم من يقول : هو محل اللاهوت ودعاؤه ، ثم النصارى تقول : هذا الجسد إنما عبد لكونه مظهر اللاهوت وإن لم يكن هو إياه ، ولكن صار هو إياه بطريقة الاتحاد ، وهو محله بطريقة الحلول ، فعظم ذلك ، وهم لا يقولون : هذه الحروف ليست من كلام الله ولا يجوز أن يتكلم الله بها ، ولا يكلم بها ، بل لا يدخل في ذرته أن يتكلم بها ، ولكن خلقها فأظهر بها المعنى القديم ودل بها عليه ، فاستحقت الإكرام والتحرير لذلك . . . (١) .

وإلى هذا الإلزام أشار ابن القيم - رحمه الله - بقوله :

يا قوم قد غلط النصارى قبل في	معنى الكلام وما اهدوا لبيان
ولأجل ذا جعلوا المسيح إلههم	إذ قيل كلمة خالق رحمن
ولأجل ذا جعلوه ناسوتاً ولا	هوتاً قديماً بعد متحدان
ونظير هذا من يقول كلامه	معنى قديم غير ذي حدثان
والشطر مخلوق وتلك حروفه	ناسوته لكن هما غيران
فانظر إلى ذي الاتفاق فإنه	عجب وطالع سنة الرحمن (٢)

٢ - يلزم من قول المخالف أن يكون هناك قرآن .

هذا المصحف الذي بأيدي المسلمين ، المقروء بالألسنة المحفوظ بالصدور ، وهو - بزعمهم - ليس بكلام الله ، وإنما هو عبارة أو حكاية عن كلام الله ، وتسميته قرآناً أو كلاماً مجازاً ، وهذا مخلوق عندهم .

والمعنى القديم القائم بالنفس ، وهذا هو الكلام الحقيقي عندهم ولا يكون بحروف وأصوات مسموعة ، وهو معنى واحد في الأزل لا انقسام

(١) انظر : قسم التحقيق - ص ٨٦٣ - ٨٦٥ .

(٢) القصيدة النونية - لابن القيم - المسماة بالكافية الشافية - ص ٣٤ .

فيه ولا تبعض ، فالتوراة عين الإنجيل ، والإنجيل عين القرآن ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا .

وقد ذكر الشيخ - رحمه الله - أنه يحكى عن الكلابية والأشاعرة « أنه ليس لله في الأرض كلام ، وأن هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله ، وأنه ليس لله في الأرض كلام ، وإنما هذا حكاية أو عبارة عن كلام الله »^(١) .
وقالت هذه الطائفة : « كلام الله ليس إلا مجرد معنى قائم بالنفس ، وحروف القرآن ليس من كلام الله ، ولا تكلم الله بها ، ولا يتكلم الله بحرف ولا صوت ... »^(٢) .

وقال - رحمه الله - في موضع آخر :

« - وأيضاً - فجعلت هذه الطائفة معنى واحداً قائماً بذات الرب هو أمر ونهي وخبر واستخبار ، وهو معنى التوراة والإنجيل والقرآن ... »^(٣) .

وإلى هذا الإلزام أشار ابن القيم بقوله :

زعموا القران عبارة وحكاية	قلنا كما زعموه قرآنان
هذا الذي نتلوه مخلوق كما	قال الوليد وبعده الفئتان
والآخر المعنى القديم فقائم	بالنفس لم يسمع من الديان
والأمر عين النهي واستفهامه	هو عين إخبار وذو وحدان
وهو الزبور وعين تورا وإن	جيل وعين الذكر والفرقان
الكل شيء واحد في نفسه	لا يقبل التبعض في الأذهان ^(٤)

٣ - إذا لم يكن الله تعالى متكلماً كما يزعمه المعطلة والنفاة ولا موصوفاً بالكلام - الذي هو صفة مدح - لزم من ذلك مشابهته - سبحانه - للجمادات التي لا تتكلم ، بل يكون الحيوان الذي يتكلم أكمل منه - تعالى الله عما يقوله هؤلاء علواً كبيراً .

(١) انظر : قسم التحقيق ص ٤٣٨ .

(٢) انظر : قسم التحقيق ص ٤٣٢ .

(٣) انظر : قسم التحقيق ص ٤٣٤ .

(٤) القصيدة النونية - لابن القيم - ص ٣٤ .

يقول الشيخ - رحمه الله :

« وهؤلاء^(١) عندهم أن الملائكة تعبر عن المعنى القائم بذات الله وأن الله نفسه لا يعبر بنفسه عن نفسه ، وذلك يشبه من بعض الوجوه الأخرس الذي يقوم بنفسه معان ، فيعبر غيره عنه بعبارته ، وهم في ذلك مشاركون للجهمية الذين جعلوا غير الله يعبر عنه من غير أن يكون الله يتكلم ، لكن هؤلاء يقولون : قام بنفسه معنى ، فتجعله كأخرس ، والجهمية تجعله بمنزلة الصنم الذي لا يقوم به معنى ولا لفظ^(٢) .

وإلى هذا أشار ابن القيم بقوله :

وإذا انتفت صفة الكلام فضدها
فلئن زعمتم أن ذلك في الذي
الرب ليس بقابل صفة الك
فيقال سلب كلامه وقبوله
إذ أخرس الإنسان أكمل حالة
فجحدت أوصاف الكمال مخافة التش
ووقعت في تشبيهه بالناقصات
الجامدات وذا من الخذلان^(٣)

٤ - يلزم هؤلاء النفاة الذين نفوا صفة الكلام عن الله ، وقالوا : إن كلامه هو ما يخلقه في غيره منفصلاً عنه ، وإن إضافته إلى الله إضافة تشریف وتعظيم ، كما يقال : بيت الله ، وناقاة الله ، أن يكون جميع كلام الخلق حقه وباطله ، جده وهزله عين كلام الله - سبحانه - وهذا ما صرح به الاتحادية .

يقول الشيخ - رحمه الله - :

« ومن قال : إن المتكلم من فعل الكلام لزمه أن يكون كل كلام خلقه الله في محل كلاماً له ، فيكون إنطاقه للجلود كلاماً له ، بل يكون إنطاقه لكل ناطق كلاماً له ، وإلى هذا ذهب الاتحادية من الجهمية الحلولية الذين يقولون : إن

(١) وهم الكلاية ، والأشعرية ومن وافقهما .

(٢) راجع : قسم التحقيق - ص ٤٣٤ .

(٣) القصيدة النونية - لابن القيم - ص ٤٠ .

وجوده عين الموجودات، فيقول قائلهم :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه^(١)

يقول ابن القيم مشيراً إلى هذا الإلزام :

أوليس قد قام الدليل بأن أفع
من ألف وجه أو قريب الألف يحصي
فيكون كل كلام هذا الخلق
إذ كان منسوباً إليه كلامه
هذا ولازم قولكم قد قاله
حذر التناقض إذا تناقضتهم ولك
من العباد خليفة الرحمن
ها الذي يعنى بهذا الشأن
عين كلامه سبحانه ذي السلطان
خلقاً كبيت الله ذي الأركان
ذو الاتحاد مصرحاً ببيان
من طرده في غاية الكفران^(٢)

هذه بعض الإلزامات التي لا محيد للمعطل النافي لهذه الصفة عنها ،
وهي - بحق - تبرز رأي السلف في هذه المسألة المستمد من كتاب الله ، وسنة
رسوله - عليه السلام - وأقوال الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، والمدعم بصريح
المعقول الموافق لصحيح المنقول ، وأنه الرأي الذي يجب على المسلم أن
يعتقده ، ويدين ربه - عز وجل - به .

☆ ☆ ☆

(١) انظر قسم التحقيق - ص ٩٦٢ ، ٩٦٣ .

(٢) القصيدة النونية - لابن القيم - ص ٤٠ .

نماذج مصورة من النسخ المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

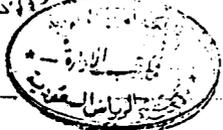
الحمد لله الذي جعل في كتابه

العلم كله نفعاً لمن يتقنه

ويعمل به من يتقنه

ويعلم به من يتقنه

وبه توفيقنا



عنه على ما هو عليه

ولا تشبهه

فخطبها طين عظام في طوله فذكر في هذه الموضع من سائر كتابه

البرية وكاتبه هذه فئات الا الاصله الى برية من كتابها هدية وبنيها

اسم ويعمل في حال الاستعمال اليوم لا السناد كما قيل في المجلس الاول وقد

لرسوله فكان ذلك كحصى كواثر يرد انه مكتوب في مكره وان هذا العلم

هذا الجيب اليه وكما من سائر كتابه فقاها فلا فليكتف خطبه با ان يكون

ويذكر حجة وان الكتب جيبه مع كلامه وهو مكتوب في كلامه على الشريف

والنوب فقد قلت هذا واننا فاقله هنا هذان عيونه في التمجيد الثاني

بجدة فقاها في كتابها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها

واجبكم لوصفها في كتابها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها

عن الحصى من قلمي اسجد لاسمك فانظر واكتب في التمجيد كونه قد

نسخه في كتابها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها

فليكن يا كثره دججيه كاتبت جليلي فاقها فقاها فقاها فقاها فقاها

سماها ودرهم ينكر فيها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها

طلبه في كتابها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها

الذي يطلب منها ان يعقده ان يفتق كونه عن اسرار كونه في الاصل الاصل

اسم وفحص في التمجيد فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها

اشارة حبيب يطلب منها لا يعرض لاحاديب الاصل فقاها فقاها فقاها

واكتيف فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها

فيها من جلا مع استحقاقه لاسمك فقاها فقاها فقاها فقاها فقاها

صورة الورقة الاولى من المخطوطة (س)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ تَعْتَمِدُ
 فِي خِيَابِ الْأَسْمَاءِ الْعَلِيَّةِ سَيِّدِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي
 عَمْرٍو تَسْتَعِينُهُ وَتَسْتَغْفِرُهُ وَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَالْفِتَنِ
 وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مِنْ تَعَدُّكَ إِلَيْهِ وَذِمَّتْ لَكَ هَادِيَةٌ
 أَنْ يَزِيلَ بِهَا عَنْكَ إِذْ تَقْرَأُ مِنْهُ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَدْ تَدْرِي خَيْرَ شَيْءٍ مِنْهُ مِنْ سِتِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَشَيْءٍ سِجِّ مِائَةٍ
 جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْبَيْهَقِيِّ مِنْ الْأَسْلَمِ وَالْقَضَاءِ وَمِنْ
 عَمَلِهِ وَذَلِكَ رِسَالَةٌ مِنْ عِنْدِ الْأَمْرِ مَضِيَّةً بِمَا تَطْلُبُ الْخُصُوصَ وَتَحْتَاطِفُ الْقَضَاءَ
 لَخُصُوصِ وَتَضْمِينِ الْقَضِيَّةِ وَأَنْ تَطْلُبُ خَيْرَ وَجَدِكَ وَأَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ
 حَسَنًا وَخَيْرًا عِنْدَ قَلْبِكَ سَلَامًا مِنْ قَوْلِهِمْ نَهْمُ سَنَةٍ وَقَبْلَ سَنَةِ عَمَلٌ
 أَحَدِيٍّ شِعْرًا كَلَامُ الْخُصُوصِ الْبَلِيغِ وَالْقَامَرِ وَالْإِسْلَامِ عَمَلٌ تَسْتَعِينُ
 كَلِمَةً وَحَلَقًا وَهَدًى مِنْ عَظَمِ الظَّمِّ نَحْوَمَا كَانَ الْخُصُوصُ جُودِيًا أَوْ نَصِيحِيًا
 أَوْ رَدًّا خَيْرًا لَمْ يَسْلَمْ وَوَلَدٌ لَمْ يَكُنْ لِمَا حَارَبَ مِنْ خَلْقٍ عَلَيْهِ حَيْثُ تَعْمَلُ
 إِلَّا أَنْ تَنْتَهِي وَتَسْمَعُ دَعْوَةَ الْخُصُوصِ وَجِدْهُمْ فِي مَجَالِسِ الْكِبَرِ فَاسْمَعُوا
 هَدًى وَحَدِيثَ تَحْسِينِ وَجِدْ وَبَعْدَ ذَلِكَ تَجَمُّعٌ وَتَخَاطُبُ الْخُصُوصِ كَمَا
 قَدْ تَدْرِي مِنْ أَيْقُنِ الْعَدْلِ الَّذِي أَسْرَأَ بِهِ فِي قَوْلِهِ أَنْ يَأْمُرَ أَنْ يَكُونَ تَوْجُّهُ
 الْأَسْمَاءُ إِلَى عَمَلِهِ وَأَحْسَنُ مِنْ النَّاسِ أَنْ تَحَارَبُوا بِالْعَدْلِ أَنْ تَعْمَلُوا
 بِعَدْلِهِ أَنْ يَكُونَ سَبِيحًا بِصِدْقِهِ فَتَسْتَعِينُ بِرَسُولِهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
 فِي دَرَجَةِ وَكَلِمَةٍ إِذْ يَأْتِي عَادُوا قِيَامًا بِطُوبَى خُصُوصًا كَمَا تَخَاطَبُ
 الْقَضَاءَ بِكَلِمَتَيْنِ وَتَغْفُلُوا وَكَأَنَّ فِي أَوَّلِ النِّصْفِ
 جَاءَ بِرَدِّ الرَّسُولِ أَنْ يَوْمَ قَدْ كَتَبْتُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَقْرَأُوا
 وَتَعْمَلُوا حَسْبَ مَنْ تَعْمَلُ فَمَنْ
 مِنْ نَفْسٍ تَعْمَلُ حَقِيقَةً

والتَّحْبِيبِ

لَنْ

قَمَتْ

فِيهِ صَوْلَةٌ قَدْ ذَكَرْتُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ قَدْ دَسَّ عَلَى كِتَابَةِ تِلْكَ الْمَرْبِيعَةِ
 مَكْتُوبًا هَذَا فَقُلْتُ أَنَا لَا أَحْضُرُ إِلَّا مِنْ عَمَلٍ فِي عَمَلِكُمْ أَلَمْ تَكُنْ تَعْمَلُهَا صَلْبَةً وَبَعْدَ
 أَنْ تَزِيلَ اللَّهُ وَيُعَلِّقُ فِي مَا لَا تَسْتَعِينُ بِهِ الْيَوْمَ وَلَا تَسْتَعِينُ بِهِ الْيَوْمَ
 الْأَوَّلِ وَقُلْتُ لِلرَّسُولِ قَدْ كَانَ ذَلِكَ مَحْضُوكًا أَرْتَدُّ وَنَدَانِي يَنْتَهِي وَإِنْ عَمِلُوا
 فِي الْعَامِ الْبَاقِي هَذَا لِأَجِبِ إِلَيْهِ وَالْحُكْمُ بِهِ رَبِّي إِنْ قُلْتُ خَرُوبًا لِلَّهِ
 فَلَمْ يَكُنْ خَطِيئَةً بِمَا الْكَلَامُ مِنْ كَلَامِي يَذَرُّ حَيْثُ وَأَنَا تَسْتَعِينُ بِهِ
 وَبِعَرْضِ كَلَامِي بِكَلَامِهِ عَلَى عِلْمِ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ نَدَانِي هَذَا
 بِالشَّرِّ وَأَنَا قَدْ كَلَّمْتُهَا وَهَذَا عَمَلِي الَّذِي تَسَلَّمَ الشَّاهِدُ حَقًّا وَقَضَاءً
 قَضَاءً وَسَأَلْتُهَا وَعَلَى مَا هُوَ وَرَأَيْتُهَا أَلَيْكُمُ تَسْبِيحُ الْعَمَلِ الَّذِي قَرَأْتُمْ فِي الْخَيْرِ
 بَعْدَ مَا بَرَزْتُمْ وَأَنْ قَدْ رَوَعِي مِنَ التَّعْقِيدِ فِي حَقِّ الْعَدْلِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ
 عَنِ الْخُصُوصِ مَا قَدَّمَهُ اللَّهُ وَالْمَسْلُوكِ فَانظُرُوا الْعَمَلِ الَّذِي عِنْدَ كَلِمَةٍ
 وَمَنْ تَدْرِي حَضْرَتِي بِحَقِّ الْعَمَلِ الَّذِي قَدْ قَلْبُكُمْ حَذَرْتُ هَذِهِ السُّخْرَةَ
 فِي تَعْتَادِي فِي الْكَلِمَاتِ مَتَابَا فَلَمْ يَكُنْ حَسْبَ وَأَيُّهُ رَحْمَةً لَمْ يَكُنْ حَسْبَ
 فَاحْذَرُوا الْعَمَلِ وَذَهَبًا ثُمَّ عَادُوا مَعَهَا وَمَرْقَةٌ لَمْ يَذَرُهَا شَيْئًا مِنْ
 الْأَعْمَارِ خُرُوبًا عَلَى كَلَامِي بَلْ تَدَانِي وَأَيْضًا كَلَامًا طَلَبُوكُمْ وَذَكَرْتُ الرَّسُولَ
 كَتَبُوا مَرْقَةً ثُمَّ قَضَوْهَا ثُمَّ كَتَبُوا هَذَا وَبَعْدَ مَا الَّذِي يَجِبُ لَهُ
 أَنْ يَحْتَقِدَ أَنْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَالْخَيْرِ وَأَنْ لَا يَقُولَ أَنْ كَلَامُ اللَّهِ حَرَفٌ
 وَصَوْتٌ قَامٌ بِجَلِّ حُجُومِي قَامٌ بِذَنْتُمْ وَأَنْ سَجَانًا لَا يَشَارُ إِلَيْهَا بِالْأَلْفِ
 صَائِعًا إِشَارَةً حَسْبَ وَيَطْلُبُ مَنَّهُ أَنْ لَا يَعْزُضَ لِأَخْرَاجِ النَّفْسَةِ
 وَأَيُّهَا عَمَلُ الْعَمَلِ لَا يَكْتُمُ هَذَا الْبَيْدَ وَلَا فِي الْفِتْنَةِ الْمَسْتَعِينَةَ
 بِهَا فَلْيَأْتِيَنَّ الْوَرَقَةَ كَيْتُ جَوَابًا بِهَا سَرَحًا مَعَ إِحْتِجَابِ الرَّسُولِ
 إِسْمًا قَوْلُكَ الشَّاطِلُ الَّذِي نَطَبَ مِنْهُ أَنْ يَحْتَقِدَ أَنْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ
 إِلَيْهِ وَالْوَيْزُ قَلْبِي عَلَى بِلَاغَاتِ هَذَا الْمَقْطَعِ لِأَنَّ الْإِطْلَاقَ هَذَا الْمَقْطَعِ
 نَفْسِيًا وَأَيْضًا تَابَعْتُ وَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا إِسْمًا بِرَأْيِ الْعَمَلِ وَبِسْمَةِ وَأَقْبَلُ عَلَيْهِ
 سَلَفُ الْأُمَّةِ فَإِنَّ أَمْرَهُ هَذَا الْفِعْلُ أَنْ لَيْسَ قَوْلُكَ سَلَامًا بِرَأْيِ الْعَمَلِ

صورة الورقة الأولى من الأصل

في من اذبحوا له ولحكم ابوالقاسم كان له هوى ولم تكن له معرفة
 بحالها ولا بول تخرج منها العدا ونسكن كان ثقة في نفسه عالما
 بفنائه كالشيخ وخبره في منسب من مذهب الاشعري نفسه
 وبلغته كابي العباس الاول ان يفتخر ومن قبله من اشتهر كابي محمد عبد
 بن سعيد بن كلاب ومن بعده من ائمة اصحابه ائمة اخذوا عنه كابي
 عبد الله بن مجاهد شيخ القاضي بكر بن الباقلان وابي الحسن الباهلي
 شيخ ابن الباقلان وابي اسحاق الكاشغري وابي بكر بن نورك
 ذكره في احسن علي ابن مهديب الطبري صاحب التلخيص في تاريخ
 الاحاديث المشككة الواردة في الصحاح والنسخة الثانية التي
 اخذت عن اصحابه كالقاضي ابي بكر امامنا ثقة وابي بكر بن فورك
 وابي اسحاق الكاشغري وابي علي بن شاذان وغير هؤلاء في اشواق
 الخيرية التي جاز بها القران والسنة المتواترة كما ستواها في العرش
 والوجوه واليد. ومجيبه يوم القيامة وغير ذلك من قدرات كلام كل
 ذكرته من هؤلاء ثبتت هذه الصفة ومن لم يذكره ايضا وكنيتهم ولقب
 من نقل عنهم ملوكة بذلك بالمرور على من يتاول هذه الصفة والاخبار بان
 تا ويلها طريق كجهم والمعتزلة وذلك نحو ما ذكره الاشعري في كتابه
 كتاب الائمة الذي يذكر اصحابه انه اخر مصنفاة وفي غيره من مصنفاة
 كتابي المقالة وكما ذكره هوي في كتاب التجد وقد ذكره لكا بوكرا بن فول
 في اخباره ونقله عنه ابوالقاسم ابن عسكرفقا لا ننقل الشيخ ابو
 الحسن علي بن اسماعيل الاشعري من مذهب المعتزلة

بحمد الله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
 وصحبه اجمعين والنعيم الله هذا الخبر
 من تصدقوا بالانبياء وله ولا ما
 بل امام الائمة والجزيرة وسنة
 الرسل في قوله ورواه السيد
 القاضي في كتابه
 في تاريخه القصار
 في تاريخه القصار
 في تاريخه القصار
 بواب الرحمة ثراه. وجعل الجنة
 منقلبته وشواهه وقدمه
 الله بفاروايع والعشرون
 من شهر جين
 سنة
 من هجرة

صورة الورقة الأخيرة من الأصل

قسم التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين^(١)

قال^(٢) شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - رضي الله عنه -^(٣) : [الحمد لله]^(٤) نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده^(٥) الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، [وأشهد]^(٦) أن لا إله إلا الله^(٧) ، [وأشهد]^(٨) أن محمداً عبده ورسوله - ﷺ^(٩) .

[أما بعد]^(١٠) فإنه في آخر شهر رمضان سنة ست وسبعمائة^(١١) ،

- (١) في س : وبه ثقتي ، وهي ساقطة من : ط .
- (٢) القائل - والله أعلم - هو أحد تلاميذ الشيخ - رحمه الله - ولم أقف على اسمه مصرحاً به من خلال دراستي للكتاب ، واجتهادي في معرفته .
- (٣) في ط : « - رحمه الله تعالى - » .
- (٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
- (٥) في الأصل : « يهدي » ، وفي ط : « يهد » .
- (٦) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
- (٧) في ط : « وحده لا شريك له » .
- (٨) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
- (٩) بعد كلمة « وسلم » : في س ، ط زيادة : « تسليماً » . وفي الأصل : بياض . وهذا جزء من خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ، وكان السلف الصالح يفتحون بها كتبهم ورسائلهم ، وقد جرى على هذا النهج شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فكثيراً ما يفتتح مؤلفاته بها . وقد وردت هذه الخطبة من عدة طرق استوفاهما الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه « خطبة الحاجة » .
- (١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
- (١١) في الأصل ، ط : « ست وعشرين وسبعمائة » وهو خطأ ، انظر : ما ذكرته ص ٦٠ .

جاء أميران رسولين^(١) من عند الملأ المجتمعين من الأمراء والقضاة ومن معهم ، وذكرنا رسالة من عند الأمراء ، مضمونها طلب الحضور ، ومخاطبة القضاة لتخرج وتنفصل القضية ، وأن المطلوب خروجك ، وأن يكون الكلام مختصراً^(٢) ، ونحو ذلك .

فقلت : سلم على الأمراء ، وقل لهم : لكم سنة ، وقبل السنة مدة أخرى تسمعون كلام الخصوم الليل والنهار ، وإلى^(٣) الساعة لم تسمعوا مني كلمة واحدة ، وهذا من أعظم الظلم ، فلو كان الخصم يهودياً أو نصرانياً أو عدواً آخر للإسلام ولدولتكم ، لما جاز أن تحكموا عليه حتى تسمعوا كلامه ، وأنتم قد سمعتم كلام الخصوم وحدهم^(٤) في مجالس كثيرة ، فاسمعوا كلامي وحدي في مجلس واحد ، وبعد ذلك نجتمع ونتخاطب بحضوركم^(٥) ، فإن هذا من أقل العدل الذي أمر الله به في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(٦) .

فطلب الرسولان أن أكتب ذلك في ورقة ، فكتبته ، فذهبا ثم عادا وقالوا : المطلوب حضورك لتخاطبك القضاة بكلمتين وتنفصلوا^(٧) ،

(١) كذا في جميع النسخ ، ولعل ذلك على أنها حال .

وقد تكون : « رسولان » على أنها صفة .

(٢) في الأصل : « مختصراً » وهو تصحيف ، والمثبت من : س ، ط .

(٣) في الأصل : « وإلا » وهو خطأ .

(٤) « وحدهم » : ساقطة من : س .

(٥) في س : « لحضوركم » .

(٦) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .

(٧) في س ، ط : « وتنفصل » .

أقول : إن رغبتهم في الانفصال بعد المخاطبة بكلمتين دليل على خشية الخصوم من تفصيل الشيخ - رحمه الله - للمسائل المدعمة بالأدلة النقلية والعقلية ، حتى لا يخرجوا بموافقته ، وترك ما يحفظون من متون بلا أدلة .

وكان في أوائل النصف [من الشهر المذكور]^(١) جاءنا هذان الرسولان بورقة كتبها لهم المحكم من القضاة^(٢) [أبو الحسن علي بن مخلوف المالكي]^(٣) وهي طويلة ، طلبت منهم نسخها فلم [يوافقوا وتأملتها فوجدتها مكذوبة على إلا كلمة واحدة]^(٤) من أنه على العرش حقيقة وأن كلامه حرف وصوت قائم به [بلا تكيف ولا تشبيه]^(٥) .

قلت : [ليس هذا في كلامي ولا]^(٦) في خطي ، وخاطبني بخطاب فيه طول قد ذكر في غير هذا الموضع ، فقدموا على كتابة تلك الورقة وكتبوا هذه ، فقلت : أنا لا أحضر إلى من يحكم فيّ بحكم الجاهلية ، وبغير ما أنزل الله ، ويفعل بي ما لا تستحله اليهود ولا النصارى ،

-
- (١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط . وهو بياض في الأصل .
(٢) في هامش (س) الأيمن : هو القاضي ابن مخلوف المالكي .
هو : علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري أبو الحسن المالكي ، ولد سنة ٦٣٤ هـ ، وتوفي سنة ٧١٨ هـ .
راجع : الوافي بالوفيات - للصفدي ١٨٩/٢٠ ، والبداية والنهاية - لابن كثير ٧٨/١٤ ، والدرر الكامنة - لابن حجر العسقلاني ٢٠٣/٣١ ، وشذرات الذهب - لابن العماد ٤٩/٦ .
(٣) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل س . بقدر نصف سطر تقريباً .
والكلام متصل في : ط ، إلا أنه رمز للبياض بحرف (ط) .
ولعل ما أثبتته يكون مناسباً لسياق الكلام .
(٤) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل س . بقدر نصف سطر ، ورمز للبياض في : ط ، بحرف (ظ) .
ولعل ما أثبتته يناسب سياق الكلام . وانظر مجموع الفتاوي ٢١٧/٢ .
(٥) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل بقدر نصف سطر تقريباً ، وبقدر سطر في : س ، ورمز له في : ط ، بحرف (ظ) ولعل ما أثبتته يكون مناسباً للسياق وانظر المجموع ٢١٧/٢ .
(٦) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل ، س ، بقدر نصف سطر تقريباً .
والكلام متصل في : ط ، ورمز للبياض بحرف (ظ) .
ولعل ما أثبتته يناسب سياق الكلام .

كما فعلتم في المجلس الأول^(١) ، وقلت للرسول : قد كان ذلك بحضوركم ، أتريدون أن يمكروا^(٢) كما مكروا [بي]^(٣) في العام الماضي ؟ هذا لا أجيب إليه ، ولكن من زعم أنني قلت قولاً باطلاً ، فليكتب خطه بما أنكره من كلامي ، ويذكر حجته ، وأنا أكتب جوابي مع كلامه ، ويعرض كلامي وكلامه على علماء الشرق والغرب ، فقد قلت هذا بالشام ، وأنا قائله هنا^(٤) ، وهذي عقيدتي^(٥) التي بُحثت بالشام بحضرة قضاتها ومشايخها وعلمائها ، وقد أرسل إليكم نائبكم النسخة التي قرئت ، وأخبركم بصورة ما جرى ، وإن كان قد وقع من التقصير في حقي والعدوان والاغضاء عن الخصوم ما قد علمه الله والمسلمون ،

(١) راجع ملخص ما حصل للشيخ - رحمه الله - في هذا المجلس ، في : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٢٥٠ فما بعدها ، البداية والنهاية - لابن كثير ٣٢/١٤ .

(٢) في س ، ط : « تمكروا » .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : س .

(٤) هذا دليل على أن الرسالة كتبت في مصر ولم تكتب في الشام .

وقد جاء في العقود الدرية لابن عبد الهادي ص ٢٠٣ : « أنه في يوم الإثنين ثامن رجب من سنة خمس وسبعمائة طلب القضاة والفقهاء ، وطلب الشيخ تقي الدين إلى القصر ، إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم ، فاجتمعوا عنده وسأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته .

وقال له : هذا المجلس عقد لك ، وقد ورد مرسوم السلطان : أن أسألك عن اعتقادك .

فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية ، وقال : هذه كتبها من نحو سبع سنين ، قبل مجيء التتار إلى الشام .

فقرئت في المجلس ، وبحث فيها ، وبقي مواضع أخرت إلى مجلس آخر ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور وحضر المخالفون ومعهم الشيخ صفي الدين الهندي . . . » .

(٥) هي « العقيدة الواسطية » ، التي دار الكلام حولها في المجلس الأول والثاني .

راجع : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٢٠٦ فما بعدها .

فانظروا النسخة التي عندكم ، وكان قد حضر عندي نسخة أخرى منها ، فقلت : خذ هذه النسخة فهي^(١) اعتقادي ، فمن أنكر منها^(٢) شيئاً فليكتب ما ينكره وحجته لأكتب جوابي ، فأخذنا العقيدة وذهبنا ، ثم عادا ومعهما ورقة لم يذكر فيها شيء من الاعتراض على كلامي ، بل قد أنشؤا فيها كلاماً طلبوه ، وذكر الرسول أنهم كتبوا ورقة ثم أخرى^(٣) ، ثم قطعوها ، ثم كتبوا هذه ، ولفظها^(٤) :

الذي يطلب^(٥) منه أن يعتقد أنه ينفي الجهة عن الله والتحيز ، وأن لا يقول إن كلام الله حرف وصوت قائم به ، بل هو معنى قائم بذاته ، وأنه - سبحانه - لا يشار إليه بالأصابع إشارة حسية ، ويطلب منه أنه^(٦) لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام ، ولا يكتب بها إلى البلاد ولا في الفتاوى المتعلقة بها .

فلما أراني الورقة^(٧) كتبت جوابها فيها مرتجلاً مع استعجال الرسول :

أما قول القائل : الذي يطلب منه أن يعتقد أنه ينفي الجهة عن الله والتحيز ، فليس في كلامي إثبات هذا^(٨) اللفظ ، لأن إطلاق هذا اللفظ

(١) في س ، ط : فهذا .

(٢) في س ، ط : منه .

(٣) « ثم أخرى » سقطت من : س ، ط .

(٤) جاء لفظ ما ورد في هذه الورقة وإجابة الشيخ - رحمه الله - عليها الإجابة المختصرة في مجموع الفتاوى ٥/ ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(٥) في ط : « نطلب » .

(٦) في ط : « أن » .

(٧) في س : « للورقة » .

(٨) في ط : « لهذا » .

نفياً وإثباتاً بدعة^(١) ، وأنا لا أقول^(٢) إلا ما جاء به الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة .

فإن أراد قائل هذا القول أنه ليس فوق السموات رب ، ولا فوق العرش إله^(٣) ، وأن محمداً - ﷺ - لم يعرج^(٤) به إلى ربه وما فوق العالم

(١) البدعة : الحدث ، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال .

راجع : لسان العرب - لابن منظور ٦/٨ (بدع) .

يقول ابن الأثير : « البدعة بدعتان : بدعة هدى ، وبدعة ضلال ، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح » .

انظر : البداية والنهاية - لابن الأثير ١٠٦/١ .

لكن هذا التقسيم لغوي - في نظري - أما في الشرع فإن البدعة إذا أطلقت فهي مذمومة .

يقول ابن رجب الحنبلي : « والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له في الشرع يدل عليه ، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً ، وإن كان بدعة لغة .

انظر : جامع العلوم والحكم - لابن رجب - ص ٢٣٣ .

ويقول ابن حجر العسقلاني : « والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق وتطلق في الشرع مقابل السنة ، فتكون مذمومة .

انظر : فتح الباري ٩١/٨ . كتاب « صلاة التراويح » - باب فضل من قام رمضان .

(٢) في الأصل : « لم أقول » . ولعلها من سهو الناسخ ، والمثبت من : س ، ط .

(٣) الكلام على إثبات علو الله على خلقه عند السلف بالأدلة الثقلية والعقلية ، وبيان بطلان مذهب المخالف ، تطرقنا له في الدراسة عند موضوع : « دراسة مسائل الكتاب » ، وأوضحنا رأي شيخ الإسلام - رحمه الله - في هذه المسألة ، فليرجع إليه .

إضافة إلى أن شيخ الإسلام قد ناقش هذه المسألة في هذه الرسالة .
(٤) الإسراء : هو السير ليلاً .

راجع : لسان العرب - لابن منظور ١٤ / ٣٨١ - ٣٨٢ (سرى) .

المعراج : مفعال من العروج ، أي : الآلة التي يعرج فيها ، أي : يصعد ، =

إلا العدم المحض ، فهذا باطل مخالف لإجماع الأمة وأئمتها .

وإن أراد بذلك أن الله لا تحيط به مخلوقاته ، ولا يكون في جوف الموجودات ، فهذا مذكور مصرح به في كلامي^(١) ، فأى فائدة في تجديده؟

وأما قول القائل : لا يقول إن كلام الله حرف وصوت قائم به ، بل هو معنى قائم بذاته [فليس في كلامي^(٢) هذا - أيضاً - ولا قلته قط ، بل

= وهو بمنزلة السلم ، لكن لا يعلم كيف هو ، وحكمه حكم غيره من المغنيات نؤمن به ولا نشغل بكيفيته .

راجع : تاج العروس - للزبيدي ٧٢/٢ (عرج) .

والنبي ﷺ أسري به ليلاً من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى على البراق بصحبة جبريل - عليه السلام - يقظة لا مناماً ، بروحه وجسده ، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السموات السبع ، وفي كل سماء يستفتح فيفتح له ، ثم يسلم على الأنبياء الذين فيها بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ، ثم رفع له البيت المعمور ، ثم عرج به إلى الجبار - جل جلاله - فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، وفرض عليه خمسين صلاة ، ثم خففها عدة مرات إلى أن وصلت إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده ، ثم هبط به إلى بيت المقدس ، وعاد إلى مكة بغلس .
وفي هذا دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى لمن تأمله .

والإسراء والمعراج تواترت النصوص بإثباتهما في حق الرسول ﷺ مما لا يدع مجالاً للشك ، أو محاولة تحكيم العقل في ثبوتهما من عدمه وقد استقصى الأدلة عليهما :

ابن كثير في تفسيره ٢/٣ - ٢٤ ، والآجري في الشريعة ص ٤٨١ - ٤٩١ ، وانظر: الإسراء والمعراج لابن هشام مع شرحها للإمام السهيلي ، وشرح الطحاوية - لصدر الدين الحنفي ص ٢٤٥ - ٢٤٩ ، ومعارج القبول للحكمي ٢/٤٥٢ - ٤٧٠ .
(١) انظر مثلاً : الرسالة التدمرية - لابن تيمية - ص ٢٥ ، ٢٦ ، ومجموع الفتاوى - ٢٦٢/٥ ، ٢٦٣ .

(٢) في الأصل ، س : « كلام » ، وأثبت المناسب من : ط ، ومجموع الفتاوى - ٢٦٤/٥ .

قول القائل : إن القرآن حرف وصوت قائم به بدعة ، وقوله : إنه معنى قائم بذاته [١] بدعة لم يقل أحد من السلف لا هذا ولا هذا ، وأنا (٢) ليس في كلامي شيء من البدع ، بل في كلامي ما أجمع عليه السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق (٣) .

وأما قول القائل : إنه لا يشار إليه بالأصابع إشارة حسية ، فليس هذا اللفظ في كلامي [بل في كلامي] (٤) إنكار ما ابتدعه المبتدعون من الألفاظ النافية ، مثل قولهم : إنه لا يشار إليه ، فإن هذا النفي - أيضاً - بدعة .
فإن أراد القائل أنه لا يشار إليه أنه ليس محصوراً في المخلوقات ، أو غير ذلك من المعاني الصحيحة ، فهذا حق ، وإن أراد أن من دعا الله لا يرفع إليه يديه ، فهذا خلاف ما تواترت به السنن عن النبي ﷺ وما فطر الله عليه عباده من رفع الأيدي إلى الله في الدعاء ، وقد قال النبي ﷺ : « إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما إليه صفراً » (٥) ، وإذا سمى المسمى ذلك إشارة حسية ، وقال : إنه

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، ومجموع الفتاوى ٢٦٥/٥ .

(٢) في س : « واذ » .

(٣) الكلام على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، تحدثنا عنه عند موضوع : « دراسة مسائل الكتاب » ، وقد أوضحنا رأي شيخ الإسلام - رحمه الله - في هذه المسألة .

وهو - رحمه الله - في هذه الرسالة - فصل في هذه المسألة وبينها غاية البيان مستمداً هذا التفصيل والبيان من نصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، ومجموع الفتاوى ٢٦٥/٥ .

(٥) رواه أبو داود في سننه عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - مع اختلاف يسير في اللفظ ١٦٥/٢ - كتاب الصلاة - باب الدعاء - حديث رقم ١٤٨٨ .

ورواه الترمذي عن سلمان - أيضاً - عن النبي ﷺ قال : « إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين » ، وقال هذا حديث حسن غريب ، ورواه بعضهم ولم يرفعه .

لا يجوز ، لم يقبل منه^(١) .

وأما قول القائل : لا^(٢) يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العامة ، فما فاتحت عامياً في شيء من ذلك قط .

وأما الجواب بما بعث الله به رسوله للمسترشد المستهدي فقد قال النبي ﷺ : « من سئل عن علم يعلمه فكتمه ، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »^(٣) . وقال^(٤) تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَىٰ ﴾^(٥) . . . الآية ، فلا يؤمر العالم^(٦) بما يوجب لعنة الله عليه .

= سنن الترمذي ٥٥٦/٥ ، ٥٥٧ - كتاب الدعوات - الباب ١٠٥ - الحديث رقم ٣٥٥٦ .

ورواه ابن ماجة في سننه بلفظ يقرب من هذا ١٢٧١/٢ - كتاب الدعاء - باب رفع اليدين في الدعاء - الحديث رقم ٣٨٦٥ .

(١) الكلام على هذه المسألة ، ورأي الشيخ - رحمه الله - فيها ، دخل ضمناً في الكلام على « مسألة العلو » .

وراجع : مختصر الصواعق المرسله لابن القيم - للموصلي ٢٧١/١ ، ٢٧٢ .

(٢) في ط : « أن لا » .

(٣) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن ماجة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - إلا أنه روى لفظه « ألجمه » « ألجم » ، وقد روي هذا الحديث من عدة طرق ، عن عدد من الصحابة - رضوان الله عليهم في :

سنن ابن ماجة ٩٨/١ - المقدمة - باب من سئل عن علم فكتمه ، حديث رقم

٢٦٦ .

وروي بألفاظ قريبة من هذا في :

سنن أبي داود ٦٧/٤ ، ٦٨ - كتاب العلم - باب كراهية منع العلم - حديث

رقم ٣٦٥٨ ، وسنن الترمذي ٢٩/٥ ، ٣٠ ، - كتاب العلم - باب ماجاء في

كتمان العلم - الحديث رقم ٢٦٤٩ ، وقال : حديث أبي هريرة حسن ، ومسنَد

الإمام أحمد ٢٦٣/٢ ، ٣٠٥ .

(٤) في س ، ط : « وقد قال » .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٥٩ .

(٦) في س : « عالم » .

فأخذوا الجواب^(١) وذهبوا فأطالا الغيبة ثم رجعا ، ولم يأتيا بكلام
محصل إلا طلب الحضور ، فأغلظت لهم في الجواب ، وقلت لهم
بصوت رفيع^(٢) :

يا مبدلين^(٣) يا مرتدين^(٤) عن الشريعة يا زنادقة^(٥)

- (١) هذا الجواب المختصر ذكر بحرفه في مجموع الفتاوى ٢٦٤/٥ - ٢٦٦ .
- (٢) ليس من عادة الشيخ أن يغلظ في الكلام بل هو من أكثر الناس استعمالاً للكلام اللين لكن كل شيء في موضعه حسن ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ﴾ .
انظر : مجموع الفتاوى - لابن تيمية - ٢٣٢/٣ .
- (٣) جمع مبدل ، والمبدل هو المغير ، وتبديل الشيء : تغييره وإن لم يأت ببدل ، وبدل الشيء : حرفه .
انظر : لسان العرب - لابن منظور ٤٨/١١ (بدل) .
- (٤) جمع مرتد ، والارتداد والردة : الرجوع في الطريق الذي جاء منه ، لكن الردة تختص بالكفر ، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره .
راجع : لسان العرب - لابن منظور ١٧٣/٣ (ردد) .
- فالردة عن الإسلام : أي : الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه .
- راجع : المفردات في غريب القرآن - للأصبهاني ص ٢٨١ .
- والمرتد إذا مات - والعياذ بالله - ولم يتب فهو كافر ، وفي الآخرة يدخل في النار ، يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة/ ٢١٧ .
- (٥) جمع زنديق ، فارسي معرب ، وهو المنكر لأصل من أصول العقيدة ، أو يرى رأيا يؤدي إلى ذلك .
راجع : لسان العرب - لابن منظور ١٤٧/١٠ (زندق) .
وأطلقه كثير من أهل العلم على من بدل دينه وأحدث فيه .
وأطلقه الإمام أحمد - رحمه الله - على القائلين بتناقض القرآن .
راجع : الرد على الجهمية والزنادقة . نشر : قصي محب الدين الخطيب ،
- ص ٧ - الحاشية رقم ١ .
ونفس المرجع - تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة ص ٥٢ .

وكلاماً^(١) آخر كثيراً ، ثم قمت وطلبت فتح الباب والعود إلى مكاني .
وقد كتبت هنا بعض ما يتعلق بهذه المحنة ، التي طلبوها مني في
هذا اليوم وبينت بعض ما فيها من تبديل الدين واتباع غير سبيل المؤمنين
لما في ذلك من المنفعة للمسلمين ، وذلك من وجوه كثيرة ، نكتب منها
ما يسر^(٢) الله تعالى :

الوجه الأول :

إن هذا الكلام أمر فيه بهذا الكلام المبتدع الذي لم يؤثر عن الله
ولا عن أحد من رسله ، ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هو من
ابتداع بعض المتكلمين الجهمية^(٣) الذي وصف ربه فيه بما وصفه ، ونهى
فيه عن كلام الله ، وكلام رسوله الذي وصف به نفسه ووصفه^(٤) به رسوله

= وكتب الفرق لا تطلق هذا اللفظ على طائفة معينة ، وإن كان صاحب مروج
الذهب - وكذا ابن النديم - يطلقه على أصحاب (ماني) ، ومعتقي مذهبه .
راجع : مروج الذهب - للمسعودي ٢٥٠/١ ، ٢٥١ ، والفهرست - لابن
النديم ص ٤٧٢ فما بعدها .

ولمعرفة الكثير عن الزنادقة وبعض فرقها ومعنى الزنادقة - قبل الإسلام وبعده -
وأصلها ، يراجع كتاب : الزنادقة والزنادقة - لعاطف شكري أبو عوض - وخاصة
ص ٦٩ - ٧٩ ، ١٠٧ - ١١٣ ، ١٢٣ - ١٧٢ .

(١) في س : « كلام » وهو خطأ .

(٢) في ط : « يسره » .

(٣) الجهمية : هم أتباع الجهم بن صفوان ، وهي إحدى الفرق الضالة ، تقول بالجبر
والاضطرار إلى الأعمال ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين مجازاً ، وترعم
أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل به ، وأن الجنة والنار تبيدان
وتفنيان إلى غير ذلك من الضلالات والبدع .

راجع : الفرق بين الفرق ص ٢١١ ، والملل والنحل - للشهرستاني ٨٦/١ .

(٤) في الأصل : « ووصف » ، ولا يستقيم المعنى إلا بما أثبت .

أن يفتي به^(١) ، أو يكتب به ، أو يبلغ لعموم الأمة ، وهذا نهى عنه القرآن والشريعة والسنة والمعروف والهدى والإرشاد^(٢) وطاعة الله ورسوله ، وعن ما تنزلت به^(٣) الملائكة من عند الله على أنبيائه ، وأمر بالنفاق والحديث المفترى من دون الله ، والبدعة^(٤) والمنكر والضلال^(٥) وطاعة أولياء من دون الله واتباع لما تنزلت به الشياطين ، وهذا من أعظم تبديل دين الرحمن بدين الشيطان ، واتخاذ أنداد^(٦) من دون الله ، قال الله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٧) وقال تعالى : ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾^(٨) الآية .

وهذا الكلام نهى فيه عن سبيل المؤمنين ، وأمر بسبيل^(٩) المنافقين وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾^(١٠) فذم سبحانه من كان من أهل الكتاب نبذ^(١١) كتاب الله وراء ظهره ، واتبع ما تقول^(١٢) الشياطين ، ومن

(١) في س : « بها » .

(٢) في س ، ط : « والرشد » .

(٣) « به » ساقطة من : س .

(٤) في س : « والبدع » .

(٥) في س ، ط : زيادة « والغبي » .

(٦) في الأصل : « أنداداً » وقد أثبت الصواب من : س ، ط .

(٧) سورة التوبة ، الآية : ٧١ .

(٨) سورة التوبة ، الآية : ٦٧ .

(٩) في س : « بسبيل » .

(١٠) سورة البقرة ، الآيتان : ١٠١ ، ١٠٢ .

(١١) في س : « بنبذ » .

(١٢) في س ، ط : « تقوله » .

أمر بهذا الكلام فقد أمر بنبذ كتاب الله وراء الظهر ، حيث أمر بترك التعرض لما وصف الله به نفسه ووصفه^(١) به رسوله وذلك آيات الصفات وأحاديث الصفات ، فأمر بأن لا يفتى بها ولا يكتب بها ولا تبلغ لعموم الأمة^(٢) ، وهذا من أعظم الإعراض عنها والنبذ لها وراء الظهر ، وأمر من ذلك باعتقاد هذه الكلمات المتضمنة لمخالفة ما جاءت به الرسل - كما سنبينه إن شاء الله تعالى - وقد قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ ... الآية ، إلى قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّ لَوْكُمْ ﴾^(٣) ... الآية .

فبين - سبحانه - أن للأنبياء عدواً من شياطين الإنس والجن يعلم بعضهم بعضاً بالقول المزخرف غروراً ، وأخبر أن الشياطين توحى إلى أوليائها بمجادلة المؤمنين ، فالكلام الذي يخالف ما جاءت به الرسل هو من وحي الشياطين وتلاوتهم ، فمن أعرض عن كتاب الله واتباعه ، فقد نبذ كتاب الله وراء ظهره واتباع ما تتلوه شياطين الإنس والجن .

الوجه الثاني :

إن قول القائل : نطلب منه أن لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام ، ولا يكتب بها إلى البلاد ولا في الفتاوى المتعلقة بها : يتضمن إبطال أعظم أصول الدين ودعائم التوحيد ، فإن من أعظم آيات الصفات آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح^(٤) وقل هو الله أحد ، التي تعدل ثلث القرآن ، كما

(١) في الأصل : « ووصف » . والمثبت من : س ، ط . ليستقيم المعنى .

(٢) في س : « الآية » .

(٣) سورة الأنعام ، الآيات : ١١٢ ، ١٢١ .

(٤) روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر : أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » قال : قلت : الله ورسوله =

استفاضت لذلك الأحاديث^(١) عن^(٢) النبي ﷺ وكذلك فاتحة الكتاب التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، كما ثبت ذلك في الصحيح^(٣) - أيضاً - وهي أم القرآن التي لاتجزىء

= أعلم ، قال : « يا أبا المنذر : أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » قال : قلت : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ قال : فضرب في صدري وقال : « ليهنك العلم أبا المنذر » .

راجع : صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥٥٦/١ - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي .

يقول ابن عباس - رضي الله عنه - أشرف آية في القرآن آية الكرسي .

قال بعض العلماء : لأنه يكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمرة وظاهر ثمانى عشرة مرة .

راجع : الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ٢٧١/٢ .

(١) روى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ » ، قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : « ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن » .

راجع : صحيح مسلم ٥٥٦/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

وقد رواه البخاري بلفظ يقرب من هذا عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

راجع : صحيح البخاري ١٠٥/٦ كتاب فضائل القرآن - باب فضل ﴿ قل هو

الله أحد ﴾ .

يقول القرطبي - رحمه الله - : « هذه الآية تضمنت التوحيد والصفات

العلی . . . وهي تعدل ثلث القرآن » ، راجع : تفسير القرطبي ٢٧٠/٢ .

ولشيخ الإسلام - رحمه الله - رسالة تسمى : « جواب أهل العلم والإيمان أن

﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن » .

راجع : مجموع فتاوى الشيخ ٥/١٧ - ٢٠٦ . وقد طبعت مستقلة .

وقد علمت أن الأخ سليمان الغفيص - أحد منسوبي قسم العقيدة بكلية أصول

الدين ، قام بتحقيق هذا الكتاب .

(٢) في س ، ط : « عند » .

(٣) روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي في =

الصلاة إلا بها^(١) ، فإن قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢﴾ كل ذلك من آيات الصفات باتفاق المسلمين^(٣) ، وقل هو الله أحد ، قد ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه فيختم بـ :

= المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي فقال : « ألم يقل الله : ﴿ استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ؟ ﴾ ؟ » ثم قال لي : « لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد » ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قال : « الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » .

راجع : صحيح البخاري ١٤٦/٥ كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في فاتحة الكتاب .

وروى الترمذي عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ في حديث طويل : « والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وإنما سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته » .
راجع : سنن الترمذي ٢٣١/٤ أبواب فضائل القرآن - باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب .

يقول البخاري - رحمه الله - : وسميت بأمر الكتاب ، لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة . راجع : صحيح البخاري ١٤٦/٥ كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب .

(١) ثبت في الصحيح عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . راجع : صحيح البخاري ١٨٤/١ كتاب الأذان - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم .

وقد أشار إلى هذا الحكم شيخ الإسلام - رحمه الله - عند تفسيره لسورة الفاتحة في مجموع الفتاوى ٥/١٤ .

(٢) سورة الفاتحة ، الآيات : ١ ، ٣ .

(٣) راجع : مجموع الفتاوى لابن تيمية - تفسير سورة الفاتحة - ٤/١٤ فما بعدها .
وتفسير ابن كثير ٢٥/١ .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(١) فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ » فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ : « أخبروه أن الله يحبه »^(٢) .

وهذا يقتضي أن ما كان صفة لله من الآيات فإنه يستحب قراءته ، والله يحب ذلك ، ويحب من يحب ذلك ، ولا خلاف بين المسلمين في استحباب قراءة آيات الصفات في الصلاة الجهرية التي يسمعها العامي وغيره ، بل بسم الله الرحمن الرحيم من آيات الصفات ، وكذلك أول سورة الحديد^(٣) ، إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(٤) هي من آيات الصفات ، وكذلك آخر سورة الحشر ، هي من أعظم^(٥) آيات الصفات ، بل جميع أسماء الله الحسنى هي مما وصف الله بها^(٦) نفسه ، كقوله : الغفور ، الرحيم ، العزيز ، الحكيم ، العليم ، القدير ، العلي ، العظيم ، الكبير ، المتعال ، القوي ، العزيز ، الرزاق^(٧) ، ذو القوة المتين ، الغفور ، الودود ، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد ،

(١) سورة الإخلاص ، الآية : ١ .

(٢) الحديث ورد في صحيح البخاري بهذا اللفظ عدا كلمة « رسول » في المواضع الثلاثة فإنها وردت بلفظ « النبي » . راجع : صحيح البخاري ١٦٤/٨ - ١٦٥ كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله .

وكذا ورد في صحيح مسلم بهذا اللفظ ، عدا كلمة « ذكروا » فإنها وردت بلفظ « ذكر » . راجع : صحيح مسلم ٥٥٧/١ حديث رقم ٢٦٣ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

(٣) في الأصل ، س : « أول الحديد وآخر الحشر » . والمثبت من : ط .

(٤) سورة الحديد ، الآيات : ١ ، ٤ .

(٥) في الأصل : « هي أعظم » . والمثبت من : س ، ط .

(٦) في س ، ط : « به » .

(٧) في الأصل : « الرزاق » ولم ترد في القرآن الكريم بهذا اللفظ والمثبت من س ، ط .

وما أخبر الله بعلمه ، وقدرته ، ومشيتته ، ورحمته ، وعفوه ، ومغفرته ، ورضاه ، وسخطه ، ومحبه ، وبغضه ، وسمعه ، وبصره ، وعلوه^(١) ، وكبريائه ، وعظمته ، وغير ذلك ، كل ذلك من آيات الصفات ، فهل يؤمر من آمن بالله ورسوله بأن يعرض عن هذا كله ، وأن لا يبلغ المؤمنين من أمة محمد ﷺ هذه الآيات ونحوها من^(٢) الأحاديث وأن لا يكتب بكلام الله وكلام رسوله الذي هو آيات الصفات وأحاديثها إلى البلاد ولا يفتى من ذلك ولا به ، وقد قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾^(٣) وأسوأ أحوال العامة أن يكونوا أميين ، فهل يجوز أن ينهى عن^(٤) أن يتلى على الأميين آيات الله أو عن [أن] يعلموا الكتاب والحكمة .

ومعلوم أن جميع من أرسل إليه الرسول من العرب كانوا قبل معرفة الرسالة أجهل من عامة المؤمنين اليوم ، فهل كان النبي ﷺ ممنوعاً من تلاوة ذلك عليهم وتعليمهم إياه أو مأموراً به ؟ أو ليس هذا من أعظم الصد عن سبيل الله ؟ وقد قال^(٦) تعالى : ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ ﴾^(٧) . . . الآية ، وقال : ﴿ فِظْمِرٍ مِّنَ الذِّبْتِ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَبَّيْتِ أَجَلْتُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾^(٨) أو ليس هذا نوعاً من الأمر بهجر القرآن والحديث وترك استماعه ، وقد قال تعالى :

(١) في س : « وعلو » .

(٢) في الأصل : « في » . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .

(٤) « عن » : ساقطة من : س ، ط .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٦) في س ، ط : « قال الله » .

(٧) سورة آل عمران ، الآية : ٩٩ .

(٨) سورة النساء ، الآية : ١٦٠ .

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿ (١) . . . الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٤) ، فهل (٥) قال : فاستمعوا له إلا لأعظم ما فيه وهو ما وصفت به نفسي فلا تستمعوه (٦) ، أو لا تستمعوه لعامتكم ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (٧) ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٩) . . . الآية ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفْسُهُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١٠) . . . الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ (١١) ، وقال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ

(١) سورة الفرقان ، الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٢٦ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٤ .

(٥) في س ، ط : « فهلا » .

(٦) في الأصل ، س : « فلا تستمعه » . والمثبت من : ط . ولعله المناسب .

(٧) سورة الأنفال ، الآية : ٢ .

(٨) سورة الزمر ، الآية : ١٨ .

(٩) سورة المائدة ، الآية : ٨٣ .

(١٠) سورة الزمر ، الآية : ٢٣ .

(١١) سورة الكهف ، الآية : ٥٧ .

عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّتٍ ﴿١﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ ﴿١﴾ .

الوجه الثالث :

إن أعظم ما يحذره المنازعون^(٢) من آيات الصفات ما يزعم^(٣) أن ظاهرها كفر وتجسيم ، كقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ﴿٥﴾ ، وقوله^(٦) : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْكَ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ ﴿٧﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ﴿٨﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِيُضْنَعَ عَلَى عَيْتِي ﴾ ﴿٩﴾ ، وقوله^(١٠) تعالى : ﴿ وَنَدْبَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ

(١) سورة الإسراء ، الآيات : ١٠٦ ، ١٠٩ .

(٢) في س ، ط : « المنازع » .

(٣) يشير الشيخ - رحمه الله - إلى رأي الجهمية والمعتزلة وكثير من الفلاسفة والباطنية الذين يقولون : إن إثبات الصفات يوجب أن يكون الله جسماً وليس بجسم ، فلا تثبت له الصفات لأن المعقول من الصفات أعراض قائمة بجسم ، لا تعقل صفته إلا كذلك . انظر : مجموع فتاوى الشيخ ٢٩٩/١٧ .

(٤) سورة الزمر ، الآية : ٦٧ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .

(٦) في س ، ط : زيادة « تعالى » .

(٧) سورة ص ، الآية : ٧٥ .

(٨) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .

(٩) سورة طه ، الآية : ٣٩ .

(١٠) في س ، ط : « وقال » .

وَقَرَّبْتَهُ بَحِيًّا ﴿١﴾ ، ﴿ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾ ﴿٢﴾ . . .
 الآية ، فهل سمع أن أحداً ممن يؤمن بالله ورسوله منع أن يقرأ هذه وتتلى
 على العامة ؟ وهل ذلك إلا بمنزلة من منع من سائر الآيات التي يزعم أن
 ظاهرها كفر وتجسيم وخبر يخالف رأيه؟ كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو
 الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ﴿٣﴾ وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ ﴿٤﴾ ،
 وقوله : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ ﴿٥﴾ ، وقوله :
 ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ ﴿٦﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَعَالٌ لِّمَا
 يُرِيدُ ﴾ ﴿٧﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ ﴿٨﴾ ، وقوله :
 ﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلَّا هَادِيَ لَمْ يَدْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿٩﴾ ، وقوله :
 ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِالْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ
 ضَبْحًا حَرْجًا ﴾ ﴿١٠﴾ ، وكذلك آيات الوعد والوعيد ، وأحاديث الوعد
 والوعيد ، هل يترك تبليغها لمخالفتها لرأي الوعيدية ﴿١١﴾ ،

(١) سورة مريم ، الآية : ٥٢ .

الواو : من قوله : « وقربناه » ساقطة من : ط . وهو خطأ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٥٨ .

(٤) سورة غافر ، الآية : ٧ .

(٥) سورة النساء ، الآية : ١٦٦ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٧) سورة البروج ، الآية : ١٦ .

(٨) سورة السجدة ، الآية : ١٣ .

(٩) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٦ .

(١٠) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ .

(١١) الوعيدية : كتب الفرق لم تذكر تعريفاً لها على أنها فرقة مستقلة لها آراؤها
 ومبادئها ، وإنما يطلق لفظ « الوعيدية » غالباً على من قال بنفاذ وعد الله
 ووعيده ، ومن قال : إن مرتكب الكبيرة كافر ، أو في منزلة بين المنزلتين هذا في
 الدنيا ، أما في الآخرة فهو خالد مخلد في النار ، ولا يخفى أن مثل هذا القول =

والمرجئة^(١) ، أو آيات التنزيه والتقدّيس كقوله : ﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ ﴾ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾ ، وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُمُ سَمِيًّا ﴾ ﴿٤﴾ ، وقوله : ﴿ فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِذْ تُسَوِّىكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ، وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ﴿٦﴾ ، وقوله : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ ﴿٧﴾ ، ونحو ذلك ، هل يترك تلاوتها وتبليغها لمخالفتها لرأي أهل التشبيه والتمثيل^(٧) ؟ !

= الذي حمل لواءه الخوارج والمعتزلة باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة .
راجع : أصول الدين - للبغدادي ٢٤٢ - ٢٤٣ (بتصرف) ، والإرشاد - للجويني ص ٣٨٦ .

(١) المرجئة : طائفة من أهل الكلام . والإرجاء على معنيين : أحدهما : بمعنى التأخير ، لأنهم يؤخرون الأعمال عن الإيمان . والثاني : إعطاء الرجاء ، فهم يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وهم أربعة أصناف : المرجئة الخالصة ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الخوارج ومرجئة الجبرية .

راجع : الفرق بين الفرق - للبغدادي ص ٢٠٢ وما بعدها ، والتبصير في الدين - للإسفراييني ص ٩٧ ، والملل والنحل - للشهرستاني ١/١٣٩ .

(٢) سورة الإخلاص ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

(٣) سورة مريم ، الآية : ٦٥ .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات : ٩٤ - ٩٨ .

(٥) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٢ .

(٧) المشبهة صنفان :

صنف شبهوا ذات الباري - سبحانه وتعالى - بذات غيره ، وهم أصناف مختلفة .

وصنف شبهوا صفاته - سبحانه وتعالى - بصفات المخلوقين ، وهم أصناف - أيضاً - منهم الذين شبهوا كلام الله - عز وجل - بكلام خلقه ، فزعموا أن كلام =

الوجه الرابع :

إن كتب الصحاح والسنن والمسانيد هي المشتملة على أحاديث الصفات ، بل قد بوب فيها أبواب ، مثل كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ، الذي هو آخر كتاب صحيح البخاري^(١) ، ومثل كتاب الرد على الجهمية في سنن أبي داود^(٢) ، وكتاب النعوت في سنن

= الله - سبحانه وتعالى - حروف وأصوات من جنس الأصوات والحروف المنسوبة للعباد ، وقالوا بحدوث كلامه إلى غير ذلك مما يقتضي تشبيه الله بخلقه .
وأول من أفرط في التشبيه « السبئية » من الروافض الذين قالوا بإلهية « علي » - رضي الله عنه - .

راجع : الفرق بين الفرق - للبغدادي ص ٢٢٥ - ٢٣٠ ، والتبصير في الدين - للإسفرائيني ص ١١٩ - ٢٢١ .

(١) هو : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي مولاهم البخاري شيخ الإسلام وإمام الحفاظ ، أبو عبد الله . ولد سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ هـ ، له تصانيف ، منها : الصحيح الذي جمع فيه أحاديث صحيحة موثقة برواتها انتقاها من ستمائة ألف حديث ، وكتابه هذا أوثق الكتب الستة المعول عليها ، وشرحه عدد من العلماء كابن حجر والعيني ، وغيرهما .

وقد ختم هذا الصحيح بكتاب أسماء كتاب التوحيد ١٦٢/٨ - ٢١٩ ، ويشتمل على ٥٨ باباً ، رد فيه على الطوائف المنحرفة عن النهج الصحيح كالجهمية والمعتزلة ، وقد سلك فيه طريقاً واضحاً في الرد عليهم إذ اقتصر على ذكر النصوص من الكتاب والسنة التي فيها بيان بطلان مذهب هؤلاء كما ذكر فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان في مقدمة شرحه لهذا الكتاب الذي صدر منه الجزء الأول عام ١٤٠٥ هـ ، نرجو من الله تعالى أن يعينه على إكماله .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٥٥٥/٢ - ٥٥٧ .

وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٤٧/٩ - ٥٥ .

وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٤/٢ - ٣٤ .

وتهذيب الأسماء واللغات - للنووي - ٦٧/١ - ٧٦ .

(٢) هو : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ، أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله ، ولد سنة ٢٠٢ وتوفي سنة =

النسائي^(١) ، فإن هذه مفردة لجميع^(٢) أحاديث الصفات ، وكذلك قد تضمن^(٣) كتاب السنة من سنن ابن ماجة^(٤) ما تضمنه ، وكذلك تضمن

= ٢٧٥ هـ ، له تصانيف منها السنن جمع فيها ٤٨٠٠ حديث انتخبها من خمسمائة ألف حديث ، وقد رد على الجهمية بأحاديث تنقض مذهبهم أوردها في باب أفرده لذلك ضمن « كتاب السنة » في آخر سننه وقد شرح هذه السنن واختصرها وهذبها عدد من العلماء كالخطابي والمنذري وابن القيم وغيرهم .
انظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين - علوم القرآن والحديث ٢٩٠/١/١ ، ٢٩٢ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٥٩١/٢ - ٥٩٣ .

وتاريخ بغداد - للبغدادى - ٥٥/٩ - ٥٩ .

وفيات الأعيان - لابن خلكان - ٤٠٤/٢ - ٤٠٥ .

التهذيب - لابن عساكر - ٢٤٦/٦ - ٢٤٨ .

(١) هو : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائي ولد سنة ٢١٥ ، وتوفي سنة ٣٠٣ هـ ، له تصانيف منها كتاب السنن الكبرى وكتاب النعوت ، الذي أشار إليه الشيخ - رحمه الله - ضمن هذه السنن ويشتمل على ٥٦ باباً في أسماء الله وصفاته ، وكتاب السنن - مخطوط - يحقق في قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين .

انظر : الكشاف عن أبواب مراجع تحفة الأشراف ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، علوم القرآن والحديث ٣٢٧/١/١ -

٣٣٠ . للاطلاع على معلومات حول هذا الكتاب وكيفية تأليفه ونسخه وشرحه .

وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان ١٩٦/٣ ، ١٩٧ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٦٩٨/٢ - ٧٠١ .

وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣٦/١ - ٣٩ .

(٢) في س ، ط : لجمع .

(٣) في الأصل : تضمنت . والمثبت من : س ، ط .

(٤) هو : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة الربيعي ، الحافظ الكبير

صاحب السنن والتفسير والتاريخ . ولد سنة ٢٠٩ وتوفي سنة ٢٧٣ هـ .

وجملة ما في السنن أربعة آلاف حديث ، وكتاب « السنة » المشار إليه في

أولها وقد سمي بالنسبة للمطبوعة بالمقدمة ، رد فيه على بعض الطوائف =

صحيح مسلم^(١) ، وجامع الترمذي^(٢) ، وموطأ

= كالخوارج والجهمية انظر : بعض أحاديث الصفات الواردة في المقدمة من سنن ابن ماجه - باب فيما أنكرت الجهمية ١/٦٣ - ٧٣ الأحاديث ١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ .

وقد شرحت السنن عدة شروح استوفاهها فؤاد سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي علوم القرآن والحديث ١/١/٢٨٦ - ٢٨٨ .
وراجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢/٦٣٦ ، ٦٣٧ .
وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٩/٥٣٠ - ٥٣٢ .
وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢/١٦٤ .
والأعلام - للزركلي - ٨/١٥ .

(١) هو : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أحد الأئمة ومن حفاظ الحديث رحل في طلبه إلى الأمصار . ولد سنة ٢٠٢ وتوفي سنة ٢٦١ واشتهر - رحمه الله - بكتابه « الجامع الصحيح » وقد ضمنه أحاديث في الصفات . انظر مثلاً : كتاب الإيمان - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم - سبحانه - ١/١٦٣ : الأحاديث ٢٩٦ - ٢٩٨ ، باب معرفة طريق الرؤية ١/١٦٣ - ١٧١ الأحاديث : ٢٩٩ - ٣٠٣ . وكتاب الإمارة - باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر ٣/١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، الحديثان ١٢٨ ، ١٢٩ .

وصحيح مسلم شرحه أكثر من إمام واختصره آخرون كالقاضي عياض والنوي والمنذري وغيرهم . وانظر عن صحيح مسلم وشروحه :
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/١٧٩ - ١٨٥ .
وتاريخ التراث العربي لسزكين ١/١/٢٦٣ - ٢٧٦ .
وللترجمة راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي ١٣/١٠٠ - ١٠٤ .
ووفيات الأعيان - لابن خلكان ٥/١٩٤ - ١٩٥ .
وتذكرة الحفاظ - للذهبي ٢/٥٨٨ - ٥٩٠ .
وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى ١/٣٣٧ - ٣٣٩ .

(٢) هو : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي ، من أهل ترمذ على نهر جيحون ، وهو من أئمة علماء الحديث وحفاظه . ولد سنة ٢٠٩ وتوفي سنة ٢٧٩ هـ .

من مؤلفاته « الجامع الصحيح » ضمنه - رحمه الله - أحاديث في الصفات ترد على الجهمية والمعتزلة . انظر مثلاً : أبواب الصلاة - باب ما جاء في نزول الرب =

مالك^(١) ، ومسند الشافعي^(٢) ، ومسند أحمد بن

= عز وجل - إلى السماء الدنيا كل ليلة . الحديث رقم ٤٤٦ ، كتاب الدعوات الباب رقم ٧٩ ، الحديث رقم ٣٤٩٨ .

وهذا الجامع شرح واختصر من قبل عدد من العلماء كابن العربي والسيوطي وغيرهما . يقول فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي - علوم القرآن والحديث ٢٩٩/١/١ : « . . . عد من كتب الأصول المعتمدة ، وقد امتاز في المقام الأول بملاحظاته النقدية حول الأسانيد . . . » راجع : تاريخ التراث العربي لسزكين ٣٠٢/١/١ - ٣٠٣ .

وانظر : تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٨٩/٣ - ١٩٢ .
راجع للترجمة : وفيات الأعيان - لابن خلكان - ٢٧٨/٤ .
وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٦٣٣/٢ ، ٦٣٥ .
والوفاي بالوفيات - للصفدي - ٢٩٤/٤ - ٢٩٦ .
وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣٨٧/٩ - ٣٨٩ .
والأعلام - للزركلي - ٢١٣/٧ .

(١) هو : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أحد أعلام الإسلام وإمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية . ولد سنة ٩٣ وتوفي سنة ١٧٩ هـ . من مؤلفاته « الموطأ » اختصره - رحمه الله - مراراً ، ويضم إلى جانب الحديث والفقه فتاوى العلماء الثقات كما أنه لم يخل من الأحاديث في الصفات التي تنقض رأي الجهمية والمعتزلة .
انظر مثلاً : الموطأ - كتاب القرآن - باب ماجاء في الدعاء الحديث رقم ٣٠ ، ٣١ .
وكتاب الجهاد - باب الشهداء في سبيل الله - الحديث ٢٨ ، وغير ذلك .
وكتاب الموطأ اهتم فيه العلماء بالدراسة والشرح . للاطلاع على ذلك :
ينظر : تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان ٢٧٥/٣ - ٢٨٠ .
وتاريخ التراث العربي - لسزكين - ١٣٠/٣/١ - ١٤٢ .
ويراجع للترجمة : وفيات الأعيان - لابن خلكان - ١٣٥/٤ - ١٣٩ .
وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢٠٧ - ٢١٣ .
وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٥/١٠ - ٩ .
وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢٨٩/١ - ٢٩٢ .
والأعلام - للزركلي - ١٢٨/٦ .

(٢) هو : الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي ، أحد الأئمة =

حنبل^(١) ، ومسند موسى أبي قرة الزبيدي^(٢) ، ومسند أبي داود

= الأربعة ، وإليه ينسب المذهب الشافعي ، ولد سنة ١٥٠ ، وتوفي سنة ٢٠٤ ، له مؤلفات كثيرة منها : « الأم » ، وله في الحديث « المسند » وقد ضمنه - رحمه الله - أحاديث في الصفات . انظر مثلاً : المسند ص ٧١ ، ٢٣٤ . وقد طبع المسند عدة طبعات وشرح عدة شروحات للسيوطي وغيره .

يقول فؤاد سزكين في « تاريخ التراث العربي » ١٨٧/٣/١ : « يضم الأحاديث التي جمعها أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم من مؤلفات مختلفة للشافعي » . ولمزيد من التفصيل عن هذا الكتاب يراجع : المصدر السابق ١٨٧/٣/١ ، ١٨٨ .

وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ٢٩٦/٣ ، ٢٩٧ .

وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٨٣/٢ .

راجع للترجمة : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢٠١/٢/٣ - ٢٠٤ .

وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٥٦/٢ - ٧٣ .

وفيات الأعيان - لابن خلكان - ١٦٣/٤ - ١٦٩ .

والأعلام - للزركلي - ٢٤٩/٦ ، ٢٥٠ .

(١) هو : أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال ، أصله من بني شيبان ، إمام المحدثين

والمناضل عن السنة ، والصابر في المحنة ، أحد الأئمة الأربعة ، وإليه ينسب

المذهب الحنبلي . ولد سنة ١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١ هـ . له تصانيف منها :

« المسند - ط » يحتوي على ثلاثين ألف حديث ، وقد ضمنه - رحمه الله -

أحاديث الصفات . راجع مثلاً : ٢٦٩/٢ ، ٧٠٥ ، ١٣/٣ ، ١٦ ، ١٣/٤ .

ولمزيد من المعلومات عن « المسند » وشروحه ومختصراته وأماكن وجوده

يراجع : تاريخ التراث العربي - لفؤاد سزكين - ٢١٨/٣/١ - ٢٢٢ .

وكشف الظنون لحاجي خليفة - ١٦٨٠/٢ .

وللترجمة : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم ٢٩٢/١ .

وحلية الأولياء - لأبي نعيم - ١٦١/٩ .

وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٤١٢/٤ .

وفيات الأعيان - لابن خلكان - ٦٣/١ .

وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى ٤/١ .

وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٤٣١/٢ .

(٢) ورد في جميع النسخ « ابن قرة » ولم أجده بهذا الاسم فيما وقع تحت يدي من =

الطيالسي^(١) ، ومسند ابن وهب^(٢) ، ومسند أحمد بن

= مراجع ، ولعل الصواب ما أثبتته .
هو : أبو قرعة موسى بن طارق الزبيدي ، المحدث الإمام الحجة قاضي زيد ،
عالم بالسنن والآثار . توفي سنة ٢٠٣ هـ .
يقول ابن حجر - رحمه الله - صنف كتاب السنن على الأبواب في مجلد رأيته
ولعله المسند الذي أشار إليه الشيخ - رحمه الله - .
ولم يرد ذكره في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ولا في تاريخ التراث
العربي لسزكين .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٤٨/١/٤ .
وميزان الاعتدال - للذهبي - ٢٠٧/٤ .
وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣٤٩/١٠ ، ٣٥٠ .
وخلاصة تهذيب الكمال - لصفى الدين أحمد الأنصاري - ص ٣٩١ .
ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٤٠/١٣ .
والأعلام - للزركلي - ٢٧٣/٨ .

(١) هو سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ، فارسي الأصل ، ومن كبار حفاظ
الحديث ، ولد في البصرة سنة ١٣٣ ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ . له « المسند »
جمع بعض الحفاظ الخراسانيين - وهو يحقق في قسم السنة وعلومها بكلية أصول
الدين بالرياض للحصول به على درجات علمية ولم يكتمل بعد .
وقد ضمنه - رحمه الله - بعض أحاديث الصفات . انظر مثلاً : ص ٣٤ ،
الحديث ٢٥٢ ص ٦٣ ، الحديث ٤٦٧ ص ٦٦ ، الحديث ٤٩٠ ص ٦٧ ،
الحديث ٤٩١ ص ١٤٧ ، الأحاديث ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ص ٢٩٥ ،
الحديث ٢٢٣٢ .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٢٩٨/٧ .
الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١١١/١/٢ - ١١٣ .
وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٢٤/٩ - ٢٩ .
وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٣٥١/١ ، ٣٥٢ .
وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٧٩/٢ .
وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٥٥/٣ ، ١٥٦ .
وتاريخ التراث العربي - لسزكين - ١٨٢/١/١ .

(٢) هو : أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري ، جمع الفقه =

منيع^(١) ، ومسند مسدد^(٢) ، ومسند إسحاق بن

= والحديث ، وهو من أصحاب الإمام مالك . ولد سنة ١٢٥ هـ وتوفي سنة ١٩٧ هـ .

له مؤلفات منها : « الجامع في الحديث » - طبع سنة ١٩٤٢ م بالقاهرة يقول فؤاد سزكين : « ويوجد بعنوان « مسند » في الظاهرية مجموع ٤٠ (من ١٠٦ أ - ١٧١ ب . في القرن الخامس الهجري) » .

راجع : وفيات الأعيان - لابن خلكان - ٣٦/٣ ، ٣٧ .

وتذكرة الحافظ - للذهبي - ٣٠٤/٢ .

وميزان الاعتدال - للذهبي - ٥٢١/٢ .

وشذرات الذهب - لابن العماد - ٣٤٧/١ ، ٣٤٨ .

والأعلام للزركلي - ٢٨٩/٤ .

ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١٦٢/٦ .

وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٥٥/٣ .

وتاريخ التراث العربي - لسزكين - الفقه ١/٣/١٤٤ .

(١) هو : أبو جعفر أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي ثم البغدادي الأصم الحافظ

الحجة صاحب المسند ، ولد سنة ١٦٠ وتوفي سنة ٢٤٤ هـ - رحمه الله - .

لم أقف على هذا المسند ، وقد طبعت زوائده ضمن المطالب العالية بزوائد

المسانيد الثمانية لابن حجر ، ومن أحاديث الصفات فيه ٣/١٠٠ الحديث

. ٢٩٩٣

ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين في كتابيهما تاريخ الأدب العربي وتاريخ

التراث العربي .

راجع : تذكرة الحفاظ - ٤٨١/٢ .

وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٨٤/١ .

وشذرات الذهب - لابن العماد - ١٠٥/٢٠ .

وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٨٥/٢ .

والرسالة المستطرفة - للكتاني - ص ٤٩ .

والأعلام - للزركلي - ٢٤٥/١ .

ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١٨٤/٢ .

(٢) هو : أبو الحسن مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي البصري المحدث الحافظ ،

يقال : إنه أول من صنف المسند بالبصرة . توفي سنة ٢٢٨ هـ .

راهوية^(١) ، ومسند محمد بن أبي عمر

= وذكر الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٤٧ : « أنه في مجلد لطيف ، وله آخر قدره ثلاث مرات ، وفيه كثير من الموقوف والمقطوع » .
ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين ، ولم أقف عليه ، وذكر الحافظ ابن حجر في مقدمة المطالب العالية - ٤/١ - أنه وقف عليه كاملاً فأودع زوائده على الكتب الستة في الكتاب المذكور ، وقد روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه من طريقه أحاديث في الصفات - انظر مثلاً : صحيح البخاري ١٧٤/٨ كتاب التوحيد - باب قوله تعالى (لما خلقت بيدي) .

- راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٣٤١/١ - ٣٤٥ .
- وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٤٢١/٢ ، ٤٢٣ .
- وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ١٠٧/١ - ١٠٩ .
- وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٨٤/٢ .
- والأعلام - للزركلي - ١٠٨/٨ .
- ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٢٢٤/١٢ .

(١) هو : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ، المعروف بابن راهوية أحد أئمة الإسلام ، وعلم من أعلام الدين ، ولد سنة ١٦١ وتوفي سنة ٢٣٨ هـ ، له « المسند » مخطوط ، قال ابن حجر في مقدمة المطالب العالية ٤/١ : « وقع لي عدة من المسانيد غير مكتملة كمسند إسحاق بن راهوية ووقفت منه على قدر النصف فتتبع ما فيه » . ومما أورده من هذا القدر في المطالب في أحاديث الصفات ٩٩/٣ الحديث ٢٩٩٠ ، ٢٩٩١ .

يقول بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ١٥٧/٣ : « يوجد الجزء الرابع من مسنده في القاهرة ، وهو معد للطبع في حيدر آباد » .
وذكر الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٤٩ ، أنه : « أملى المسند والتفسير من حفظه وما كان يحدث إلا من حفظه ، وكان يحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلب ومسنده هذا في ست مجلدات » .

- راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢٠٩/٢ .
- وحلية الأولياء - لأبي نعيم - ٢٣٤/٩ - ٢٣٨ .
- وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٤٥/٦ - ٣٥٥ .
- وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٠٩/١ .
- ووفيات الأعيان لابن خلكان ١٩٩/١ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٦٧٨/٢ .

العدني^(١) ، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة^(٢) ، ومسند بقي^(٣) بن

= وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٥٧/٣ .

وتاريخ التراث العربي - لسزكين - ٢٠٩/١/١ .

(١) في جميع النسخ : العدني ، ولم أجد به هذا الاسم ، ولعله أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ، المحدث الحافظ قاضي عدن . توفي سنة ٢٤٣ هـ . من آثاره « المسند » الذي لم أقف عليه ، وذكر ابن حجر في مقدمة المطالب العالية ٤/١ ، أنه من المسانيد التي وقف عليها كاملة ، وقد ضمن زوائده الكتاب المذكور .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٥٠١/٢ .

وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٥١٨/٩ - ٥٢٠ .

والأعلام - للزركلي - ٣/٨ .

وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٧٨/٢ .

والرسالة المستطرفة - للكتاني - ص ٥٠ .

ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١٠٧/١٢ .

ولم يذكره سزكين ضمن آثاره .

(٢) هو : أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي المعروف

بابن أبي شيبة ، ولد سنة ١٥٩ وتوفي سنة ٢٣٥ . من مؤلفاته « المسند - ط » .

وقد ضمنه - رحمه الله - أحاديث في الصفات - انظر : المصنف ٢٠٩/١٠ كتاب

الدعاء - باب من كان يقول : يا مقلب القلوب - الأحاديث : ٩٢٤٥ - ٩٢٤٨ ،

و١٣/١٨٠ - كتاب ذكر رحمة الله - ما ذكر في سعة رحمة الله - الأحاديث

١٦٠٤٦ ، ١٦٠٥١ ، ١٦٠٥٢ .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٤١٣/٦ .

والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٦٠/٢ .

وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٦٦/١٠ .

وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٤٣٢/٢ .

وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٧٨/٢ .

والأعلام - للزركلي - ٢٦٠/٤ .

وتاريخ التراث العربي - لسزكين - ٢٠٦/١/١ . علوم القرآن والحديث .

(٣) في س : بقي . وهو خطأ .

مخلد^(١) ، ومسند الحميدي^(٢) ، ومسند الدارمي^(٣) ، ومسند

(١) هو : أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي الحافظ المفسر أحد الأئمة الأعلام . ولد سنة ٢٠١ هـ ، وتوفي سنة ٢٧٦ هـ . صنف « المسند » ورتب الأحاديث فيه على أسماء الصحابة ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه في أبواب الأحكام . وهو كتاب مفقود .

انظر : تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ٢٠١/٣ ، ٢٠٢ .
وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث ١/١/٢٩٦ .
وقد ذكر أن في الإصابة - لابن حجر - مقتبسات منه .
راجع : التهذيب - لابن عساكر - ٢٧٧/٣ .
وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٢٠/١ .
وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٦٢٩/٢ .
وشذرات الذهب - لابن العماد - ١٦٩/٢ .
وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٧٩/٢ .
والأعلام - للزركلي ٣٣/٢ .
ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٥٣/٣ .

(٢) هو : أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى ، الحميدي الأسدي ، أحد الأئمة في الحديث ، وهو شيخ البخاري . توفي سنة ٢١٩ هـ ، من آثاره « المسند » وقد طبع الكتاب بتحقيق الأستاذ : حبيب الرحمن الأعظمي ، وقد ضمن الحميدي - رحمه الله - مسنده أحاديث في الصفات ، انظر مثلاً : ٦٢/١ الحديث ١١٣ ، ٣٥٠/٢ ، الحديث ٧٩٩ ، ص ٤٧٨ ، الحديث ١١٢٦ ، ص ٤٩٦ ، الحديث ١١٧٨ .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٢٠٥/٥ .
والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٥٦/٢/٢ .
وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٤١٣/٢ ، ٤١٤ .
وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٨٢/٢ .
والأعلام - للزركلي - ٢١٩/٤ .

وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث ١/١/١٩٠ .

(٣) هو : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي ، من حفاظ الحديث ، ولد سنة ١٨١ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٥ هـ ، له المسند في الحديث ، ذكره الخطيب البغدادي ، وابن الصلاح ، والذهبي وابن =

عبد بن حميد^(١) ، ومسند أبي يعلى

= حجر ، وغيرهم ، وقد انتقده ابن الصلاح في عده له من المسانيد لأنه مرتب على الأبواب .

وقد رجح محقق سنن الدارمي ، السيد عبد الله هاشم ، أن تسميتها بالسنن أولى من تسميتها بالمسند ، فقال : « . . . واشتهرت عندهم - أي حفاظ المحدثين - بالمسند خلافاً لما اصطلحوا عليه من أن المسند يكون مرتباً على أسماء الصحابة كما فعل الإمام أحمد في مسنده ، وهذه السنن مرتبة على أبواب الفقه ، فتسميتها بالسنن أولى من تسميتها بالمسند ، وتسميتها بالمسند فيه تجوز ، وحقيق بأن تسمى بالسنن كما فعل غيرنا ، وفعلاها أيضاً » .

قال السيوطي : ومسند الدارمي ليس بمسند ، بل هو مرتب على أبواب الفقه وبعض المحدثين سموه بالصحيح . ١. هـ .

قال السخاوي : « ويحتمل على بعد أن يكون - أي : ابن الصلاح - أراد مسنده الذي ذكره الخطيب في تصانيفه « فتح المغيث » ١/ ٨٦ .

أقول : وهذا الاحتمال - مع بعده - لا يتأتى إلا إذا كان الخطيب ذكر له المسند والسنن في حين أنه لم يذكر له إلا المسند .

وقد ضمن - رحمه الله - سننه أحاديث في الصفات ، انظر : سنن الدارمي ١/ ٢٨٦ كتاب الصلاة ، - باب ينزل الله إلى السماء الدنيا ، - الأحاديث ١٤٨٦ ، ١٤٩٣ ، ٢/ ٢٣٣ ، - كتاب الرقاق ، - باب في شأن الساعة ونزول الرب ، - الحديث ٢٨٠٢ ، ٢٨٠٣ ، باب هل نرى الله تعالى ، - الحديث ٢٨٠٤ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢/ ٩٩ .

وتاريخ بغداد - للبغدادي - ١٠/ ٢٩ - ٣٢ .

وعلوم الحديث - لابن الصلاح - ص ٣٤ .

وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢/ ٥٣٤ .

وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٥/ ٢٩٤ - ٢٩٩ .

وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢/ ١٣٠ .

والأعلام - للزركلي - ٤/ ٢٣٠ .

وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ٣/ ١٩٩ .

وتاريخ التراث العربي - لسزكين - ١/ ١/ ٢١٩ - ٢٢٠ .

(١) هو : أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسبي نسبة إلى كس مدينة قرب سمرقند ، روى عنه البخاري ومسلم وغيرهما ، توفي سنة ٢٤٩ هـ . من كتبه =

« المسند الكبير » يقول فؤاد سزكين : من المرجح أنه وصلت إلينا منه مختارات في مخطوطات . ذكرها في كتابه : تاريخ التراث العربي - علوم القرآن والحديث . ٢١٦/١/١ .

ولم أقف على المسند ، وما وقفت عليه « المنتخب من مسند عبد بن حميد » الذي حققه فضيلة الشيخ : سالم بن عبد الله الدخيل للحصول على درجة الدكتوراه من قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بالرياض .

وقد ضمنه - ابن حميد - رحمه الله - أحاديث في الصفات ، انظر : المنتخب ٢١٧/١ ، الحديث ١٨٤ ، ص ٣٤٦ ، الحديث ٣٤٨ ، ص ٥٦٢ ، الحديث ٥٦١ ، ٩٢٠/٢ ، الحديث ٩٠٩ ، ص ٩٣٧ ، الحديث ٩٢٦ ، ص ٩٥٩ ، الحديث ٩٤٧ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٥٣٤/٢ .

وتهديب التهذيب - لابن حجر - ٤٥٥/٦ ، ٤٥٧ .

وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٧٩/٢ .

والأعلام - للزركلي - ٤١/٤ .

ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٦٦/٥ .

وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٥٧/٣ ، ١٥٨ .

(١) هو : أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الموصللي ، من علماء الحديث ، وأحد الثقات ، توفي سنة ٣٠٧ هـ . له المسند .

قال فيه إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الحافظ ، كما نقل ذلك الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٥٤ : « قرأت المسانيد كمسند العدلي ، ومسند ابن منيع ، وهي كالأنهار ، ومسند أبي يعلى كالبحر فيكون مجمع النهار » .

طبع منه مجموعة من الأجزاء بتحقيق حسين سليم أسد ، وهو يحقق في قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بالرياض تحقيقاً علمياً للحصول به على درجات علمية من قبل مجموعة من الأخوة الأفاضل ، ولم يكتمل بعد .

وقد ضمنه الموصللي - رحمه الله - أحاديث في الصفات ، انظر مثلاً : ٢٠٩/١ ، الحديث ٢٤٣ ، ٢٨٥/٢ ، الحديث ١٠٠٤ ، ١٠٠٦ .

وللاطلاع على نسخة المخطوطة وأماكن وجودها يراجع :

تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٦٠/٣ .

وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث - ٣٣٥/١/١ .

سفيان^(١) ، ومسند أبي بكر البزار^(٢) ، ومعجم

- =
وللترجمة يراجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٧٠٧/٢ - ٧٠٩ .
والوافي بالوفيات - للصفدي - ٢٤١/٧ .
وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٧٩/٢ .
وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢٥٠/٢ .
والأعلام - للزركلي - ١٦٤/١ .

(١) هو : أبو العباس الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز الشيباني النسوي - نسبة إلى نسا مدينة بخراسان - محدث حافظ - ولد سنة ٢١٣ ، وتوفي سنة ٣٠٣ هـ ، له « المسند » في الحديث ، وذكر سزكين أن ابن حجر اقتبس منه في « الإصابة » في عدة صفحات ذكرها في كتابه تاريخ التراث العربي . علوم القرآن والحديث ١/١/٣٣٢ ، ولم يذكر شيئاً عن الكتاب سوى ذلك ، علماً أن ابن حجر ذكر في كتابه : « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤/١ : أنه وقف على قطع منه ولم يكتب منها شيئاً ، وباليته فعل .

- راجع : تهذيب ابن عساكر ٤/١٨١ - ١٨٥ .
وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٧٠٣/٢ - ٧٠٥ .
وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢٤١/٢ .
وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٨٢/٢ .
والأعلام - للزركلي - ٢٠٦/٢ .

(٢) هو : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار ، أصله من البصرة ، حافظ ، من العلماء بالحديث ، توفي في الرملة سنة ٢٩٢ هـ ، ألف المسند المسمى « البحر الزخار » كما في مقدمة كشف الأستار عن زوائد البزار للهيتمي ٥/١ ، يقول بروكلمان : هذب ابن حجر .

والكتاب مخطوط حقق الجزء الأول منه الشيخ : محفوظ الرحمن زين الدين الهندي - أعانه الله على إتمامه .

وقد ضمنه - رحمه الله - أحاديث في الصفات ، انظر مثلاً : كشف الأستار ٥١/١ ، - كتاب الإيمان - باب حب قريش والأنصار والعرب - الحديث ٦٥ ، ١٠٥/٣ - كتاب علامات النبوة - باب ذكر نبي الله موسى - الحديث ٢٣٥٣ ، ٦٧/٣ - كتاب التفسير - سورة يس - الحديث ٢٢٥٣ .

وللاطلاع على نسخته وأماكنها يراجع :

تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٥٨/٣ ، ١٥٩ .

البغوي^(١) ، والطبراني^(٢) ، وصحيح أبي حاتم بن

- =
- وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث - ٣١٦/١/١ .
وراجع للترجمة : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٣٤ - ٤٣٥ .
الفهرسة - لابن خير - ص ١٣٨ .
تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٦٥٣/٢ ، ٦٥٤ .
لسان الميزان - لابن حجر - ٢٣٧/١ ، ٢٣٩ .
كشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٨٢/٢ .
الأعلام - للزركلي - ١٨٢/١ .
- (١) هو : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، كان محدث العراق في عصره ، سمع يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهما . توفي سنة ٣١٧ . له « معجم الصحابة » وهو برواية أبي القاسم عيسى بن الجراح الوزير ، ويوجد مخطوطاً في الظاهرية بدمشق ، ذكر ذلك فؤاد سزكين في كتابه : تاريخ التراث العربي - علوم القرآن والحديث - ٣٤٥/١/١ .
وانظر : تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ٢٢٢/٣ .
راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١١١/١٠ - ١١٧ .
وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٩٠/١ - ١٩٢ ، وقال فيه : « صنف المعجمين الكبير والصغير » .
وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٧٣٦/٢ .
والأعلام - للزركلي - ٢٦٣/٤ .
ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١٢٦/٦ .
- (٢) هو : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني - نسبة إلى طبرية من كبار المحدثين ، ولد بعكا سنة ٢٦٠ ، وتوفي في أصفهان سنة ٣٦٠ هـ . من تصانيفه « المعجم الكبير » . يقول بروكلمان : « وهو مجموع يشتمل على أحاديث جميع الصحابة عدا أبي هريرة ، مرتبة حسب الشيوخ ، أما حديث أبي هريرة فقد أفرد له كتاباً خاصاً » .
والكتاب تولت طبعه ونشره وزارة الأوقاف العراقية ، وقد صدر منه - فيما أعلم - حتى الآن ٢٠ جزءاً بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي أعانه الله على إتمامه .
والمعجم الأوسط : في غرائب شيوخه ، والكتاب يشتمل على ١٢٠٠٠ حديث وقد صدر عن مكتبة المعارف بالرياض - وذلك في عشرة أجزاء بتحقيق الدكتور محمود الطحان .

= والمعجم الصغير : في أسماء شيوخه ، طبع لأول مرة سنة ١٣١١ هـ باهتمام محمد عبد المجيد في مطبعة الأنصار - دهلي - ثم توالى طباعته .
وقد ضمن الحافظ الطبراني - رحمه الله - معاجمه أحاديث في الصفات ، مثلاً : المعجم الكبير : ١٣٩/٢ الحديث ١٥٦٦ ، ص ٣٣١ - ٣٣٥ ، الأحاديث ٢٢٢٤ - ٢٢٣٧ ، ٤٣/٣ ، الحديث ٢٢٥٥ .

والمعجم الأوسط : ٣٨٥/١ ، الحديث ٦٧١ ، ص ٤٣٣ ، الحديث ٧٧٧ ، ص ٥٠٧ ، الحديث ٩٣٥ ، ص ٥٢٨ ، الحديث ٩٩٤ ، ٢/٢٨٥ ، الحديث ١٥٠٠ ، ص ٣٠٧ ، الحديث ١٥٣٥ ، ص ٣٣٥ ، الحديث ١٥٨٢ ، ص ٥١٤ ، الحديث ١٨٨٤ .

والمعجم الصغير : ٣٢/١ ، ٢٣٥ ، ٢٥٧ - ٢١/٢ ، ٥٣ ، ١١٦ .

راجع : تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ٢٢٥/٣ .

وما نقله فؤاد سزكين عن هذه المعاجم ومختصراتها ومخطوطاتها في كتابه .

تاريخ التراث العربي - علوم القرآن والحديث - ١/١ - ٣٩٣ - ٣٩٥ .

راجع للترجمة : تهذيب ابن عساكر ٦/٢٤٢ - ٢٤٤ . وفيات الأعيان - لابن

خلكان - ٢/٤٠٧ . وميزان الاعتدال - للذهبي - ٢/١٩٥ . وشذرات الذهب

- لابن العماد - ٣/٣٠ . والأعلام للزركلي - ٣/١٨١ .

(١) هو : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الحنظلي البستي أحد

أوعية العلم ، ومن مشاهير حفاظ الحديث في زمانه ، ولد سنة ٢٧٠ وتوفي سنة

٣٥٤ هـ ، صاحب التصانيف الكثيرة منها « الصحيح » في الحديث ، وقد نقحه

أبو الحسن علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩) وكتب عليه تعليقات على ابن أبي

بكر بن حجر الهيثمي (ت ٨٠٥) .

وصحيح ابن حبان مطبوع ضمنه أحاديث في الصفات ، راجع مثلاً : الإحسان

بترتيب صحيح ابن حبان لأبي الحسن علي بن بلبان ١/٢٤١ - ٢٤٤ باب ما جاء

في الصفات ، الأحاديث ٢٦٥ - ٢٧٠ ، ٨/١٢٨ ، الحديث ٦٤٣٠ ، ص ١٢٩ ،

الحديث ٦٤٣١ ، ص ١٣٤ ، الحديث ٦٤٤٢ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٣/٩٢٠ - ٩٢٣ . ولسان الميزان - لابن

حجر - ٥/١١٢ - ١١٥ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٣/١٦ . وكشف

الظنون - لحاجي خليفة - ٢/١٠٧٥ . والأعلام للزركلي - ٦/٣٠٦ . وتاريخ =

الحاكم^(١) ، وصحيح الإسماعيلي^(٢) ،

= الأدب العربي - لبروكلمان - ٢٠٦/٣ . وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث ١/١/٣٨٠ ، ٣٨١ .

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدوية بن نعيم المعروف بالحاكم النيسابوري ، صاحب المكانة العالية في الحديث ، وإمام أهل عصره فيه ، ولد بنيسابور سنة ٣٢١ وتوفي فيها سنة ٤٠٥ هـ ، صنف كتباً كثيرة جداً منها : « الصحيح » في الحديث ، وهو الكتاب المعروف بالمستدرک على الصحيحين والكتاب مطبوع سنة ١٣٣٤ هـ بحيدر آباد ، وقد ضمنه - رحمه الله - أحاديث في الصفات ، انظر : ٢٦/١ - كتاب الإيمان ، ٨٩/٢ - كتاب الجهاد ، ٥٨٢/٤ كتاب الأهوال .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٧٣/٥ - ٤٧٤ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٢٨٠/٤ - ٢٨١ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ١٠٣٩/٣ - ١٠٤٥ . ولسان الميزان - لابن حجر ٢٣٢/٥ - ٢٣٣ . والرسالة المستطرفة - للكتاني ص ١٧ . وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ٢١٥/٣ ، ٢١٦ . وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث ١/١/٤٥٤ ، ٤٥٥ .

(٢) هو : أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني ، أجمع معاصروه على أنه أحد كبار المحدثين في عصره ، ولد سنة ٢٧٧ وتوفي سنة ٣٧١ .

يقول ابن الجوزي - في المنتظم ١٠٨/٧ : « وكان للإسماعيلي علم وافر بالنقل وصنف كتاباً على صحيح البخاري » .

وقال ابن كثير - في البداية والنهاية ٣٣٤/١١ : « صنف فأفاد وأجاد وأحسن الانتقاد والاعتقاد ، صنف كتاباً على صحيح البخاري فيه فوائد كثيرة وعلوم غزيرة » .

ولم يذكر بروكلمان ولا سزكين هذا الصحيح ضمن آثار الإسماعيلي ، وما ذكره « المعجم في الأسماء » الذي حققه الأخ : زياد محمد منصور ، للحصول على درجة الدكتوراه من شعبة السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد قال المحقق عن صحيح الإسماعيلي ص ١٨٧ - القسم الخاص بالدراسة : « اختلف المصنفون في تسميته على أقوال : فمنهم من سماه - الصحيح - ومنهم من سماه - المستخرج على الصحيحين - ومنهم من سماه - الصحيح على شرط البخاري - ومنهم من سماه - المستخرج على الصحيح - إلا أن أدق تسمية له وأصحها هي =

= « المستخرج على صحيح البخاري » وإليها ذهب بعض المصنفين منهم « السخاوي » وقيدها بقوله : « استخرج على البخاري فقط » .
ويقع هذا المستخرج في أربع مجلدات ... ويتضمن أحد أجزائه تعاليق البخاري بإسناد عال » .

وقال في ص ١٩٠ : « أما الكلام على طبيعة « مستخرج الإسماعيلي » وتحليله ، فإنه سوف يكون على حسب النصوص التي وفرها ابن حجر (ذكر المحقق أن ابن حجر أخذ من المستخرج للإسماعيلي ١٧٥٤ نصاً ودونها في فتح الباري) في فتح الباري لعلها تكشف عن بعض جوانب مادته العلمية وتنوعها » .
قال في التعليق رقم (١) من الصفحة السابقة : لأن أصل المستخرج مفقود .
وعن الإسماعيلي ومصنفه تراجع - بالإضافة إلى ما سبق - المصادر التالية :

تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٩٤٧/٣ - ٩٥٠ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ٢١٣/٦ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٧٣٥/٢ . والأعلام للزركلي - ٨٣/١ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١٣٥/١ . وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ٢١٠/٣ . تاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث - ٤٠٨/١/١ . وبحوث في تاريخ السنة المشرفة - لأكرم ضياء العمري - ص ٢٥٤ .

(١) هو : أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي البرقاني نسبة إلى برقان قرية بخوارزم ، شيخ بغداد ، ولد سنة ٣٣٦ وتوفي سنة ٤٢٥ هـ . من مؤلفاته « المسند » يتضمن ما اشتمل عليه صحيح البخاري ومسلم - مخطوط .

انظر : تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٦١/٣ . وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث ١/١/٤٧٤ . وبحوث في تاريخ السنة المشرفة - د . أكرم ضياء العمري ص ٢٥٤ .

والظاهر أن الصحيح الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - هو المستخرج على الصحيحين الذي ذكره ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث ص ١٧ ، والذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٤ ، والكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٢٤ ، وهو مشتمل على زيادات كثيرة في تصانيف متون الحديث .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٧٣/٤ - ٣٧٦ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢٢٨/٣ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٨٢/٢ . والأعلام =

نعيم^(١) ، والجوزقي^(٢) ، وغير ذلك من المصنفات الأمهات التي لا يحصيها إلا الله ، دع ما قبل ذلك من مصنفات حماد بن سلمة^(٣) ،

= - للزركلي - ٢٠٥/١ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٧٤/٢ .
(١) هو : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، ولد سنة ٣٣٦ وتوفي سنة ٤٣٠ هـ ، حافظ مؤرخ له تصانيف منها « المستخرج على الصحيحين » .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ١٠٩٢/٣ - ١٠٩٨ . ولسان الميزان - لابن حجر - ٢٠١/١ . والرسالة المستطرفة - للكتاني - ص ٢٣ . والأعلام للزركلي - ١٥٠/١ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٢٨٢/١ .
(٢) في الأصل : الجوزقي . وهو خطأ ، والمثبت من س ، ط .

هو : أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني الجوزقي نسبة إلى قرية جوزق من قرى نيسابور ، ولد سنة ٣٠٦ وتوفي سنة ٣٨٨ هـ ، من مؤلفاته « الصحيح » المخرج على صحيح مسلم ، اختصره الحافظ أبو عوانة يعقوب بن إسحاق .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ١٠١٣/٣ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ٣١٦/٣ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ١٢٩/٣ ، ١٣٠ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٦٨٥/٢ . والرسالة المستطرفة - للكتاني - ص ٢٢ . والأعلام للزركلي - ٩٩/٧ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٢٤٠/١٠ . وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث ٤٢٩/١/١ ، ولم يذكر له من المصنفات سوى « الجمع بين الصحيحين » - مخطوط .

(٣) هو : أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري البزاز البطائني ، الحافظ المحدث النحوي مفتي البصرة ، نقل الذهبي أن ابن المبارك قال : « ما رأيت أحداً كان أشبه بمسالك الأول من حماد » . له تصانيف منها السنن ، وسوف يذكر الشيخ - رحمه الله - في ص : ١٥٩ أن له كتاب « الصفات » . توفي سنة ١٦٧ هـ .
عن حماد ومصنفاته يراجع : ميزان الاعتدال - للذهبي ٥٩٠/١ - ٥٩٥ .
وتهذيب التهذيب لابن حجر ١١/٣ - ١٦ . والفهرست لابن النديم ص ٣١٧ .
وهدية العارفين للبغدادي ٣٣٤/١ . والأعلام - للزركلي - ٣٠٢/٢ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٧٢/٤ .

وعبد الله بن المبارك^(١) ، وجامع الثوري^(٢) ، وجامع ابن عيينة^(٣) ، ومصنفات

(١) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التيمي مولاهم - المروزي ، أحد كبار المحدثين ، ولد سنة ١١٨ ، وتوفي في « هيت » على نهر الفرات سنة ١٨١ هـ ، من مؤلفاته « كتاب الزهد والرفائق » و« المسند » و« البر والصلة » وغيرها .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - المقدمة - ٢٦٢/١ - ٢٨١ . وتاريخ بغداد - للبغدادي - ١٥٢/١٠ - ١٦٩ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢٧٤/١ - ٢٨٢ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣٨٢/٥ - ٣٨٧ . وتاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث ١/١/١٧٥ .

(٢) هو : أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، كان إماماً في علم الحديث وغيره ، ويعد أول من رتب الأحاديث ترتيباً موضوعياً في الكوفة ، توفي سنة ١٦١ هـ ، له مصنفات منها « الجامع » وهو كتاب مفقود .

يقول بروكلمان - في تاريخ الأدب العربي ١٥٢/٣ : « وضاع كثير من مصنفات القدماء في المرحلة الأولى للتدوين ، مثل كتاب « الجامع » لسفيان الثوري » .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - المقدمة ٥٥/١ - ١٢٦ . والفهرسة - لابن خير - ص ١٣٦ ، ١٣٧ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٣٨٦/٢ - ٣٩١ . والفهرست - لابن النديم - ص ٣١٤ ، ٣١٥ . والأعلام - للزركلي - ١٥٨/٣ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٢٣٤/٤ . وتاريخ التراث العربي - لسزكين - الفقه - ٢٤٧/٣/١ ، ٢٤٨ . وعلوم القرآن والحديث - ١٢٣/١/١ .

(٣) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي أبو محمد ، محدث الحرم ، ولد في الكوفة سنة ١٠٧ ونشأ في مكة وتوفي فيها سنة ١٩٨ هـ ، له « الجامع » في الحديث ، ولم يذكره سزكين ضمن آثار ابن عيينة بهذا الاسم ، بل الذي أورده ضمن آثاره « حديث » - وهو مخطوط بالظاهرية .

انظر : تاريخ التراث العربي - علوم القرآن والحديث ١/١/١٧٨ ، ١٧٩ . وراجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - المقدمة - ٣٢/١ - ٥٤ . وتاريخ بغداد - للبغدادي - ١٧٤/٩ - ١٨٤ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢٦٢/١ - ٢٦٥ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ١١٧/٤ - ١٢٢ . والأعلام - للزركلي - ١٥٩/٣ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٢٣٥/٤ .

وكيع^(١) ، وهشيم^(٢) ، وعبد الرزاق^(٣) ، وما لا يحصيه إلا الله ، فهل امتنع الأئمة من قراءة هذه الأحاديث على عامة المؤمنين ، أو منعوا من ذلك ؟ أم ما زالت هذه الكتب يحضر^(٤) قراءتها ألوف مؤلفة من عوام المؤمنين قديماً وحديثاً ؟ وأيضاً فهذه الأحاديث ، لما حدث بها الصحابة والتابعون ومن اتبعهم من المخالفين ، هل كانوا يخفونها عن عموم المؤمنين ويتكتمونها ويوصون بكتمانها ؟ أم كانوا يحدثون بها كما كانوا يحدثون بسائر سنن رسول الله ﷺ ؟ وإن نقل عن بعضهم أنه امتنع من

(١) هو : أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي - نسبة إلى رؤاس بطن من قيس عيلان ، أحد الأئمة الأعلام ، ولد في الكوفة سنة ١٢٩ وتوفي بغيد راجعاً من الحج سنة ١٩٧ هـ . له كتب منها « تفسير القرآن » و« السنن » و« المعرفة والتاريخ » .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٣٩٤/٦ . والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - المقدمة ١/٢١٩ - ٢٣٢ . وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٣٩٢ ، ٣٩١/١ . وميزان الاعتدال - للذهبي - ٣٣٥/٤ ، ٣٣٦ . والأعلام - للزركلي - ١٣٥/٩ .

(٢) هو : أبو معاوية هشيم بن بشير بن أبي حازم قاسم بن دينار السلمي ، مفسر من ثقات المحدثين من آثاره « التفسير » و« السنن » في الفقه و« المغازي » ولد سنة ١٠٤ وتوفي سنة ١٨٣ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٨٥/١٤ - ٩٤ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢٤٨/١ ، ٢٤٩ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٥٩/١١ - ٦٣ . وطبقات المفسرين - للدوادري - ٣٥٣/٢ ، ٣٥٤ . والأعلام - للزركلي - ٨٩/٩ .

(٣) هو : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري من حفاظ الحديث الثقات ، ولد سنة ١٢٦ وتوفي سنة ٢١١ هـ ، له تصانيف منها « المصنف » في الحديث ، و« التفسير » .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٥٤٨/٥ . والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٣٨/١/٣ ، ٣٩ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٢١٦/٣ - ٢١٧ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٣٦٤/١ .

(٤) في الأصل : يحضرها . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

رواية بعضها في بعض الأوقات^(١) ، فهذا كما قد كان هذا يمتنع عن رواية بعض أحاديث الفقه^(٢) والأحكام ، وبعض أحاديث القدر والأسماء والأحكام والوعيد ، وغير ذلك في بعض الأوقات ، ليس ذلك مخصوصاً عنده بهذا الباب ، وهذا كان يفعله بعضهم ويخالفه فيه غيره ، وذلك لأنه قد يرى أن روايتها تضر ببعض^(٣) الناس في بعض الأوقات ، ويرى الآخر أن ذلك لا يضر بل ينفع ، فكان هذا مما قد يتنازعون فيه في بعض الأوقات .

فأما المنع من تبليغ عموم أحاديث الصفات لعموم الأمة ، فهذا ليس^(٤) مما ذهب إليه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وإنما هذا ونحوه رأي الخارجين المارقين من شريعة الإسلام كالرافضة^(٥) والجهمية

(١) كما أثر عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وعن غيره من الصحابة ، حينما امتنعوا عن ذكر بعض ما سمعوه مراعاة لمقتضى الحال في تبليغ ما أخذوه من النبي ﷺ .

روى البخاري في صحيحه ٣٨/١ - كتاب العلم - باب حفظ العلم - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثته ، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا الحلقوم » .

قال ابن حجر في فتح الباري ٣٢٢/١ : « دل الحديث على أنه لم يحدث بجميع محفوظه ، ومع ذلك فالموجود من حديثه أكثر من الموجود من حديث غيره من المكثرين » .

وكما أثر عن بعضهم كذلك ، أنه بقي محتفظاً ببعض ما سمعه حتى ذكره قبل موته تأملاً ، وتحرراً ، أن يموت فتموت الحقيقة العلمية معه . روى مسلم في صحيحه ٢١٠٥/٤ - كتاب التوبة - باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة - الحديث ٢٧٤٨ » عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أنه قال حين حضرته الوفاة : كنت كنتم عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول « لولا أنكم تذبون لخلق الله خلقاً يذبون يغفر لهم » .

(٢) في س ، ط : في الفقه .

(٣) في س ، ط : بعض .

(٤) في س ، ط : فهذا ما ذهب .

(٥) الرافضة : سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر .

وقيل : لرفضهم زيد بن علي ، حينما توجه لقتال هشام بن عبد الملك وأنكر على =

والحرورية^(١) ، ونحوهم ، وهو عادة أهل الأهواء ، ثم الأحاديث التي يتنازع العلماء في روايتها أو العمل بها ، ليس لأحد المتنازعين أن يكره الآخر على قوله بغير حجة من الكتاب والسنة باتفاق المسلمين ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^(٢) .

الوجه الخامس :

أنه إذا قدر في ذلك نزاع ، فقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِن نَّزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

= أصحابه الطعن في أبي بكر وعمر، فرفضوه بقولهم : إنا نرفضك . فسموا بذلك . وهم يقولون : بأن الإمامة ركن من أركان الدين منصوص عليها ، والأئمة معصومون ، وأكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء بعد النبي ﷺ إلى غير ذلك من الأقوال الفاسدة التي تولى الرد عليها علماء المسلمين وتصدوا للقائلين بها أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه « منهاج السنة النبوية » والشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه « الرد على الرافضة » .
راجع في شأنهم وتعداد فرقهم : مقالات الإسلاميين - للأشعري - ٨٩/١ .
فما بعدها . الفرق بين الفرق - للبغدادي - ص ٢١ . البداية والنهاية - لابن كثير - ٣٧١/٩ . الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي / تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن ص ٦٥ - ٧٢ .

(١) الحرورية : اسم يطلق على الخوارج نسبة إلى مكان يقال له : حروراء - قرب الكوفة - نزل به الخوارج عندما اعتزلوا من جيش علي - رضي الله عنه - وأبوا أن يساكنوه في بلده فسموا بذلك ، وقد أرسل إليهم علي - رضي الله عنه - ابن عباس فناظرهم ، فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم ، وزعيمهم يومئذ : عبد الله بن الكواء الشكري ، وشبث بن ربعي .

راجع : الفرق بين الفرق - للبغدادي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص ٧٢ - ٧٣ ، ت : (٢) ص ٧٢ .

والتبصير في الدين للأسفراييني - تحقيق كمال يوسف الحوت - ص ٤٦ ،
والبداية والنهاية - لابن كثير - ٣٠٤/٧ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

فَرَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿٢﴾ ، فأمر الله الأمة عند النزاع ^(١) بالرد إليه وإلى رسوله ، وقد وصف ^(٢) المعرضين عن ذلك بالنفاق والكفر ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ وَقَدْ أُسْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٣﴾ ، إلى قوله : ﴿ بَلِيغًا ﴾ ^(٣) .

فوصف سبحانه من دعي إلى الكتاب والسنة فأعرض عن ذلك بالنفاق وإن ^(٤) زعم أنه يريد التوفيق بذلك بين الدلائل النقلية والعقلية ^(٥) ، أو نحو ذلك ، وأنه يريد إحسان العلم أو العمل ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا ﴾ ^(٦) الآية ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ ^(٧) إلى قولهم ^(٨) : ﴿ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ ^(٩) .

(١) في ط : التنازع .

(٢) في س ، ط : ووصف .

(٣) سورة النساء ، الآيات : ٦٠ - ٦٣ .

(٤) في س : وإنه .

(٥) في س ، ط : العقلية والنقلية .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ١٧٠ .

(٧) في س : في النار يقولون .

(٨) في س ، ط : إلى قوله .

والضمير في « قولهم » يرجع إلى الذين تقلب وجوههم في النار في سياق دعائهم على من أضلهم .

(٩) سورة الأحزاب ، الآيات : ٦٦ - ٦٨ .

الوجه السادس :

أن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ ﴾ (١) الآية (٢) ويقول في كتابه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ نَمْنًا قَلِيلًا أَوْلِيَّكَ مَا يَأْكُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ (٤) الآية ، فمن أمر بكتم ما وصف الله به نفسه ووصفه به (٥) رسوله فقد كتم ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه (٦) للناس في الكتاب ، وهذا مما ذم الله به علماء اليهود ، وهو من صفات الزائغين (٧) من المتسبين إلى العلم من هذه الأمة ، وقال النبي ﷺ : « من سئل عن علم يعلمه فكتمه ، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » (٨) ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٩) .

الوجه السابع :

إن من أمر بكتمان ما بعث الله به رسوله من القرآن والحديث ، كالأيات والأحاديث التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ، وأمر مع

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٩ .

(٢) في ط : زيادة « من بعد ما بيناه للناس في الكتاب » .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٧٤ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٧ .

(٥) في الأصل : وصف به . ولا يستقيم المعنى بهذا . والمثبت من : س ، ط .

(٦) في جميع النسخ : ما بيناه . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٧) في الأصل : الزائدين . وهو تحريف . والمثبت من : س ، ط .

(٨) سبق تخريج هذا الحديث ص ١١٧ .

(٩) سورة البقرة ، الآية : ١٤٠ .

ذلك بوصف الله بصفات أحدثها المبتدعون تحتل الحق والباطل ، أو تجمع حقاً وباطلاً ، وزعم أن ذلك هو الحق الذي يجب اعتقاده ، وهو أصل الدين ، وهو الإيمان الذي أمر الله به رسوله ، فهذا مضاهاة لما ذم الله به من حال أهل الكتاب ، حيث قال : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾^(١) وقال : ﴿ أَفَنَنْظِمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾^(٢) ، فإن هؤلاء كتبوا هذه المقالات التي ابتدعوها ، وقالوا للامة : هذا دين الله الذي أمركم به ، وهذا كذب وافتراء على الله ، فإذا جمعوا إلى ذلك كتمان ما أنزل الله من الكتاب والحكمة فقد ضاهوا^(٣) أهل الكتاب في لبس الحق بالباطل وكتمان الحق ، قال تعالى : ﴿ يَبَيِّنُ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَلَا تَلْسُبُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

الوجه الثامن :

إن هذا خلاف إجماع سلف الأمة وأئمتها ، فإنهم أجمعوا في هذا الباب وفي غيره على وجوب اتباع الكتاب والسنة ، وذم ما أحدثه أهل

(١) سورة البقرة ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات : ٧٥ - ٧٩ .

(٣) في الأصل : ضاهوا . والمثبت من : س ، ط .

(٤) سورة البقرة ، الآيات : ٤٠ - ٤٢ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٧٨ .

الكلام من الجهمية ونحوهم ، مثل ما رواه أبو القاسم اللالكائي^(١) في أصول السنة عن محمد بن الحسن^(٢) صاحب أبي حنيفة^(٣) ، قال^(٤) :

« اتفق الفقهاء - كلهم - من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت^(٥) بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب - عز وجل - من غير تفسير^(٦) ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ^(٧) وفارق الجماعة ، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ، ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة ، لأنه قد وصفه بصفة لا شيء » .

(١) هو : هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي ، حافظ للحديث ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، له « شرح السنة » وكتاب في « السنن » وغيرها . توفي سنة ٤١٨ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٧٠/١٤ - ٧١ . والمنتظم - لابن الجوزي - ٣٤/٨ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ١٠٨٣/٣ - ١٠٨٥ .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ، إمام في الفقه والأصول ، ألف في ذلك الكتب الكثيرة كـ « الجامع الكبير » ، ولد سنة ١٣١ ، وتوفي سنة ١٨٩ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١٧٢/٢ - ١٨٢ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ١٨٤/٤ - ١٨٥ . ولسان الميزان - لابن حجر - ١٢١/٥ ، ١٢٢ .

(٣) هو : النعمان بن ثابت التيمي ، إمام أصحاب الرأي ، وفقه أهل العراق ، وأحد الأئمة الأربعة ، وإليه ينسب المذهب الحنفي ، أريد على القضاء فامتنع ورعاً ، فحبس إلى أن مات سنة ١٥٠ هـ - رحمه الله - وكانت ولادته سنة ثمانين .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٢٣/١٣ - ٤٥٤ . والانتقاء - لابن عبد البر - ص ١٢١ - ١٧١ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٤٠٥/٥ - ٤١٤ .

(٤) راجع : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - لأبي القاسم اللالكائي - ٤٣٢/٣ - ٤٣٣ .

(٥) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : جاء .

(٦) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : تغيير .

(٧) وسلم : ساقطة من : س .

الوجه التاسع :

فقد ذكر محمد بن الحسن الإجماع [على]^(١) وجوب الإفتاء في باب الصفات بما في الكتاب أو السنة دون قول جهم المتضمن للنفي ، فمن قال : لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام ، ولا يكتب بها إلى البلاد ، ولا في الفتاوى المتعلقة بها ، بل يعتقد ما ذكره من النفي فقد خالف هذا الإجماع ، ومن أقل ما قيل فيهم قول الشافعي - رضي الله عنه - : « حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام »^(٢) .

الوجه العاشر :

إن قول القائل : لا يتعرض لأحاديث الصفات وآياتها عند العوام ، ولا يكتب بها إلى البلاد ولا في الفتاوى المتعلقة بها ؛ إما أن يريد بذلك أنه لا تتلى هذه الآيات وهذه الأحاديث عند عوام المؤمنين ، فهذا مما يعلم بطلانه بالاضطرار من دين المسلمين ، بل هذا القول إذا^(٣) أخذ على إطلاقه فهو كفر صريح ، فإن الأمة مجمعة على ما علموه^(٤) بالاضطرار من تلاوة هذه الآيات في الصلوات فرضها ونقلها ، واستماع جميع المؤمنين لذلك ، وكذلك تلاوتها وإقراءها^(٥) واستماعها خارج الصلاة هو من الدين الذي لا نزاع فيه بين المسلمين ، وكذلك تبليغ الأحاديث في

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٢) راجع : الانتقاء - لابن عبد البر - ص ٨٠ .

(٣) في س ، ط : أن .

(٤) في الأصل : عملوا . والمثبت من : س ، ط . ولعله الصواب .

(٥) كذا في جميع النسخ ، والرفع ظاهر في الإعراب .

الجملة هو مما اتفق عليه المسلمون ، وهو معلوم بالاضطرار من دين المسلمين ، إذ ما من طائفة من السلف والخلف إلا ولا بد أن تروي عن النبي ﷺ شيئاً من صفات الإثبات أو النفي ، فإن الله يوصف بالإثبات وهو إثبات محامده بالثناء عليه وتمجيده ، ويوصف بالنفي ، وهو نفي العيوب والنقائص عنه سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وإما أن يريد أنه لا يقال^(١) : حكمها كذا وكذا إما إقرار أو تأويل أو غير ذلك ، فإن أراد هذا فينبغي لقائل ذلك أن يلتزم ما ألزم به غيره فلا ينطق في حكم هذه الآيات والأحاديث بشيء ، ولا يقول : الظاهر مراد أو غير مراد ، ولا التأويل سائغ ، ولا هذه النصوص لها معانٍ أخرى [و]^(٢) نحو ذلك ، إذ هذا تعرض لآيات الصفات وأحاديثها على هذا التقدير ، وإذا التزم هو ذلك وقال لغيره : التزم ما التزمته ولا تزد عليها ولا تنقص منها ، فإن هذا عدل^(٣) ، بخلاف ما إذا نهى غيره [^(٤) عن الكلام عليها مع تكلمه هو عليها كما هو الواقع .

وكذلك قوله : لا^(٥) يكتب بها إلى البلاد ، ولا في الفتاوى المتعلقة [بها]^(٦) إن أراد أنها أنفسها لا تكتب ولا يفتى بها ، فهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام - كما تقدم ، وإن أراد لا يكتب بحكمها ، ولا يفتى المستفتي عن حكمها ، فيقال له : فعليك - أيضاً - أن تلتزم

(١) في الأصل : أن يراد أن يقال .

وفي س : وإما أن يراد أنه لا يقال .

والمثبت من : ط . ولعله المناسب .

(٢) ما بين المعقوفتين : زيادة من : س ، ط .

(٣) في الأصل ، س : عدلاً . والمثبت من : ط . ولعله المناسب .

(٤) ما بين المعقوفتين ونهايتها في ص ١٧١ ت (١) ساقط من : س وهو ما يقارب الورقة من : الأصل .

(٥) في ط : ولا .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط .

ذلك ، ولا تفتي^(١) أحداً فيها بشيء من الأمور النافية ، وحينئذ يكون أمرك لغيرك بمثل ما فعلته عدلاً ، أما أن يجيء الرجل إلى هذه النصوص فيتصرف فيها بأنواع التحريفات والتأويلات جملة أو تفصيلاً ، ويقول لأهل العلم والإيمان : أنتم لا تعارضوني^(٢) ولا تتكلموا^(٣) فيها ، فهذا من أعظم الجهل والظلم والإلحاد في أسماء الله وآياته .

الوجه الحادي عشر :

إن سلف الأمة وأئمتها ما زالوا يتكلمون ويفتون ويحدثون العامة والخاصة بما في الكتاب والسنة من الصفات ، وهذا في كتب التفسير والحديث والسنن أكثر من أن يحصيه إلا الله ، حتى إنه لما جمع الناس [العلم]^(٤) وبوبوه في الكتب ، فصنف ابن جريج^(٥) التفسير والسنن ،

(١) في الأصل : يفتى . والمثبت من : ط .

(٢) في ط : لا تعارضون .

(٣) في ط : ولا تكلموا .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط .

(٥) هو : أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، المحدث الحافظ الفقيه ، أول من صنف الكتب بمكة ، ولد سنة ٨٠ وتوفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ ، من آثاره « السنن » .

يقول عنه فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي - علوم القرآن والحديث ١/١/١٦٧ : « لم نعثر عليه بعد ، وتوجد من أحاديثه مجموعة بتهذيب أبي عبد الله محمد بن مخلد بن حفص العطار (ت ٣٣١) بعنوان مارواه الأكابر عن مالك بن أنس ، ويحیی الأنصاري وابن جريج » خ .

ومن آثاره « التفسير » ، يقول فؤاد سزكين - في نفس المرجع السابق - : « ويعتمد فيما يبدو على كتب تفسير : ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، واقتبسه الطبري برواية القاسم بن الحسن الهمداني (ت ٢٧٢) عن الحسين بن داود المصيص (ت ٢٢٦) عن حجاج بن محمد المصيص (ت ٢٠٦) . . . » .

راجع للترجمة : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٤٩١ - ٤٩٢ . والجرح =

وصنف معمر^(١) - أيضاً - وصنف مالك بن أنس^(٢) ، وصنف حماد بن سلمة ، وهؤلاء من أقدم من صنف [في]^(٣) العلم ، فصنف حماد بن سلمة كتابه في الصفات^(٤) ، كما صنف كتبه في سائر أبواب العلم ، وقد قيل : إن مالكا إنما صنف الموطأ تبعاً له ، وقال : جمعت هذا خوفاً من الجهمية أن يضلوا الناس لما ابتدعت الجهمية النفي والتعطيل ، [وكذلك كان يجمعها ويحدث بها غير واحد من أئمة السلف لما ابتدعت الجهمية

= والتعديل - لابن أبي حاتم - ٣٥٦/٢/٢ - ٣٥٨ . وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٠٠/١٠ - ٤٠٧ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٤٠٢/٦ - ٤٠٦ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ٤٣٧/١ .

(١) هو : أبو عروة معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي الفقيه الحافظ ، عالم اليمن ، ولد بالبصرة سنة ٩٥ هـ ، واشتهر فيها ، وسكن اليمن ، وهو أول من صنف فيها ، توفي سنة ١٥٣ هـ . من آثاره « الجامع » .

يقول عنه فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي - التدوين التاريخي ٩٣/٢/١ : « هو كتاب في الحديث مرتب وفق الموضوعات غير مبوب على أبواب الفقه الأساسية ... وقد روى هذا الكتاب تلميذه عبد الرزاق ، فأضاف إليه أحاديث أخرى وجعل الكتاب ملحقاً بكتابه « المصنف » .

ومن آثاره - أيضاً - « التفسير » ، وهو كما يقول فؤاد سزكين - في نفس المصدر السابق - « وصل إلينا بتهذيب عبد الرزاق ... » .

راجع للترجمة : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٥٤٦/٥ . وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٩٠/١ . والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢٥٥/١/٤ - ٢٥٧ .

وانظر معمر بن راشد الصنعاني : مصادره ، ومنهجه ، وأثره في رواية الحديث - للدكتور محمد رأفت سعيد .

(٢) تقدمت ترجمته ، وذكر بعض مصنفاته ص ١٣٣ .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط .

(٤) يقول الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ : « إنه أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة » . ولم أقف على كتاب له بهذا الاسم فيما وقع تحت يدي من مصادر ولعله ضمن كتاب « السنن » المتقدم ذكره في ترجمة حماد ص ١٤٧ ، والمعروف أنه كان شديداً على أهل البدع .

النفي والتعطيل] ^(١) حتى إنه لما صنفت الكتب الجامعة صنف العلماء فيها ، كما صنف نعيم بن حماد الخزاعي ^(٢) شيخ البخاري كتابه في الصفات ^(٣) والرد على الجهمية ، وصنف عبد الله بن محمد الجعفي ^(٤) ، شيخ البخاري كتابه في الصفات والرد على الجهمية ، وصنف عثمان بن سعيد الدارمي ^(٥) كتابه في الصفات والرد على الجهمية ، وكتابه في

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من : ط .

(٢) هو : أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي الإمام العلامة الفرضي ، صاحب التصانيف ، كان شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء ، له « المسند » ، ويقال : إنه أول من جمعه وصنّفه ، ويذكر أنه وضع ثلاثة عشر كتاباً في الرد على الجهمية ، توفي محبوباً لامتناعه من القول بخلق القرآن سنة ٢٢٨ هـ ببغداد في خلافة المعتصم .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٥١٩/٧ . الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٤٦٣/٨ - ٤٦٤ . تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٠٦/١٣ - ٣١٤ . سير أعلام النبلاء - للذهبي - ٥٩٥/١٠ - ٦١٢ . هدية العارفين - للبغدادي - ٤٩٧/٢ . تاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث ١/١ - ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) لعله أحد الكتب الثلاثة عشر المشار إليها في ترجمة نعيم بن حماد .

(٤) هو : أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الجعفي البخاري المعروف بـ « المسندي » لكثرة اعتنائه بالأحاديث المسندة ، أو لأنه أول من جمع « مسند الصحابة » فيما وراء النهر ، توفي سنة ٢٢٩ ولم تشر المصادر - التي رجعت إليها في ترجمته - إلى مصنفات له سوى « المسند » .

يقول فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي - علوم القرآن والحديث - ١٤٩/١/١ : « ... ولم يصل إلينا أي كتاب لعبد الله بن محمد المسندي ... » .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٦٢/٥ . وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٦٤/١٠ - ٦٥ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٦٥٨/١٠ - ٦٦٠ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٩/٦ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٦٧/٢ . والأعلام - للزركلي - ٢٦٠/٤ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١٢٧/٦ .

(٥) هو : أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني محدث هرات . قال الذهبي : « كان عثمان الدارمي جذعاً في أعين مبتدعة ، وهو الذي قام على =

النقض على المرسي^(١) ، وصنف الإمام أحمد^(٢) رسالته في إثبات الصفات والرد على الجهمية^(٣) ، وأملى في أبواب ذلك حتى جمع كلامه

= محمد بن كرام وطرده من هراة ، فيما قيل . توفي سنة ٢٨٠ هـ .
راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٥٣/٣ (ت ٨٣٧) . وطبقات
الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٢٢١/١ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٣١٩/١٣ -
٣٢٦ .

(١) كتابه « الرد على الجهمية » - ط - بتحقيق زهير الشاويش ، وكذا كتابه « النقض على بشر المرسي » - ط - بتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، وقد سماه : رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المرسي العنيد .

والكتابان أثنى عليهما الكثير من أئمة السلف رحمهم الله .
يقول ابن القيم - في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية - ص ١٤٣ ، « وكتابه : « النقض على بشر المرسي » ، و« الرد على الجهمية » من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها ، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يوصي بهما أشد الوصية ، ويعظمهما جداً ، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما » .

أقول : وذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - لهما هنا يدل على عظمهما ، ونقل منهما في ثنایا هذه الرسالة أثناء مناقشته لبعض الطوائف التي ضلت في باب الأسماء والصفات ، كما سيأتي .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٤ .

(٣) لعلة كتاب « الرد على الجهمية والزنادقة » - ط - وقد نشر بتحقيق محمد حامد الفقي - القاهرة سنة ١٣٧٤ هـ - ضمن مجموع شذرات البلاطين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين ، كما نشر أيضاً بتحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة - الرياض سنة ١٣٩٧ هـ .

وهذا الكتاب رد فيه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - على الجهمية القائلين بخلق القرآن ويجادلون في رؤية الله ويشككون في أفعال العباد .

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - في كتابه « اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٣١ ، أن القاضي أبا الحسين بن القاضي أبي يعلى قال : « قرأت في كتاب أبي جعفر محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن حنبل قال : قرأت على أبي =

أبو بكر الخلال^(١) في كتاب السنة^(٢) ، وصنف عبد العزيز الكناني^(٣)

= صالح بن أحمد هذا الكتاب فقال : هذا كتاب عمله أبي في مجلسه رداً على من احتج بظاهر القرآن ، وترك ما فسرهُ رسول الله ﷺ وما يلزم اتباعه .

(١) هو : أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المشهور بالخلال ، الفقيه العلامة المحدث ، مؤلف علم أحمد بن حنبل وجامعه ومرتبته ، صنف كتاب « السنة وألفاظ أحمد والدليل على ذلك من الأحاديث » في ثلاث مجلدات ، وصنف الجامع لعلوم الإمام أحمد في الفقه الحنبلي ، وهو كبير جداً ، قيل : لم يصنف في مذهبه مثله . ولد سنة ٢٣٤ وتوفي سنة ٣١١ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١١٢/٥ - ١١٣ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٧٨٥/٣ - ٧٨٦ . وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٢/٢ - ١٥ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ٥٧٦/١ . والأعلام - للزركلي - ١٩٦/١ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١٦٦/٢ .

(٢) يقول الشيخ - رحمه الله - عن هذا الكتاب في مجموع الفتاوى ٢٣٨/١٢ : « جمع فيه كلام الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة في أبواب الاعتقاد » .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٢٤ - ١٢٥ . « ... وقد ذكر هذا الكتاب كله - كتاب الرد على الجهمية - أبو بكر الخلال في كتاب السنة ، الذي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه ، وعلى منواله جمع البيهقي في كتابه الذي سماه « جامع النصوص من كلام الشافعي » وهما كتابان جليلان لا يستغني عنهما عالم » .

فهذا الكتاب من أهم الكتب المصنفة في عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهو مخطوط - المتحف البريطاني ، والملحق ١٦٨ ، مخطوطات شرقية ٢٦٧٥ باسم المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، رواية أبي بكر أحمد بن محمد الخلال الموجود منه سبعة أجزاء ، حقق الثلاثة الأولى منها د . عطية عتيق الزهراني للحصول على درجة الدكتوراه في العقيدة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وعنون لها بـ « تحقيق ودراسة الثلاثة الأجزاء الأولى من كتاب السنة » .

وشيخ الإسلام - رحمه الله - ينقل منه كثيراً في كتبه ، ومنها الكتاب الذي بين أيدينا ، كما سيتضح للقارئ في الصفحات القادمة .

وعن الكتاب ومخطوطاته يراجع تاريخ التراث العربي لسزكين - الفقه ٢٣٣/٣ - ٢٣٤ .

(٣) هو : أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي =

صاحب الشافعي كتابه في الرد على الجهمية^(١) ، وصنف كتب السنة في الصفات طوائف مثل : عبد الله بن أحمد^(٢) ، وحنبل^(٣) بن إسحاق^(٤) ،

= الشافعي ، قدم بغداد في أيام المأمون ، فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن ، صاحب تصانيف منها كتاب « الحيدة والاعتذار في رد من قال بخلق القرآن » ، توفي سنة ٢٤٠ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٤٩/١٠ - ٤٥٠ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣٦٣/٦ - ٣٦٤ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٩٥/٢ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ٦٩٤/٦ . والأعلام - للزركلي - ١٥٤/٤ ، ١٥٥ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٢٦٣/٥ .

(١) لعله كتاب « الحيدة » - ط - وقد نشر بتحقيق الدكتور جميل صليبا . والكتاب مناظرة عبد العزيز الكناني لبشر المريسي في مسألة خلق القرآن بين يدي المأمون .

(٢) هو : الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي ، كان إماماً خبيراً بالحديث وعلمه مقدماً فيه ، وكان من أروى الناس عن أبيه ، سمع منه « المسند » و« التفسير » و« الناسخ والمنسوخ » وغيرها من المصنفات . ولد سنة ٢١٣ هـ ، وتوفي سنة ٢٩٠ هـ .

له تصانيف منها « كتاب السنة » وهو كتاب مطبوع كانت طبعته الأولى عام ١٣٤٩ هـ بالقاهرة ، ثم طبع سنة ١٤٠٥ هـ بتحقيق محمد السعيد زغلول في مجلد ، وفي عام ١٤٠٦ هـ طبع بتحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد القحطاني في مجلدين ، وذكر في مقدمة الكتاب ١٥/١ ، أن الكتاب لأول مرة يخرج كاملاً .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٧٥/٩ - ٣٧٦ . وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٨٠/١ - ١٨٨ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ١٤١/٥ - ١٤٣ . والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعلمي ٢٩٤/١ - ٢٩٨ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ٩٥٦/٢ . وهديّة العارفين - للبغدادي - ٤٤٢/١ . والأعلام - للزركلي - ١٨٩/٤ . وتاريخ التراث العربي - لسزكين - ٢٣٢/٣/١ .

(٣) في الأصل : بن حنبل . وهو خطأ . والمثبت من : ط .
(٤) هو : أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ابن عم الإمام =

وأبي بكر الأثرم^(١) ، وخشيش بن أصرم^(٢) ، شيخ أبي داود^(٣) ،
ومحمد بن إسحاق بن خزيمة^(٤) ، وأبي بكر بن أبي

= أحمد وتلميذه ، كان ثقة ومن حفاظ الحديث ، له مصنفات منها « التاريخ » .
يقول فؤاد سزكين : « يبدو أنه ضاع مع الزمن » .
و« الفتن » - خ ، و« محنة ابن حنبل » خ . ولد سنة ١٩٣ هـ وتوفي بواسط
سنة ٢٧٣ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٣٢٠/٢/١ . وطبقات الحنابلة
- لابن أبي يعلى - ١٤٣/١ - ١٤٥ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٦٠٠/٢ - ٦٠١ .
والأعلام - للزركلي - ٣٢١ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٨٦/٤ . وتاريخ
التراث العربي - لسزكين - المجلد الأول - الجزء الثالث - الفقه ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
(١) هو : أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الطائي الإسكافي الأثرم ، صاحب الإمام
أحمد بن حنبل ، ويعتد من الثقات ، له كتاب في علل الحديث ، وله « السنن »
وهو كتاب نفيس كما يقول الذهبي ، توفي سنة ٢٦١ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١١٠/٥ - ١١٢ . وطبقات الحنابلة - لابن
أبي يعلى - ٦٦/١ - ٧٤ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٥٧٠/٢ - ٥٧٢ . والأعلام
- للزركلي - ١٩٤/١ .

(٢) هو : أبو عاصم خشيش بن أصرم بن الأسود النسائي الحافظ الحجّة ، حدث عنه
أبو داود والنسائي وغيرهما . له « كتاب الاستقامة » في الرد على أهل البدع ،
مات بمصر سنة ٢٥٣ هـ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٥٥١/٢ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر
- ١٤٢/٣ . وإيضاح المكنون لإسماعيل باشا - ٢٦٦/٢ . والأعلام - للزركلي
- ٣٥٣/٢ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٩٩/٤ - ١٠٠ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٣٠ .

(٤) هو : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السليمي
النيسابوري الحافظ الكبير ، كان من رواة البخاري ومسلم خارج صحيحهما ولد
سنة ٢٢٣ وتوفي بنيسابور سنة ٣١١ هـ . له كتاب « التوحيد وإثبات صفات
الرب » - طبع لأول مرة سنة ١٣٥٣ هـ ثم أعيدت طبعته سنة ١٣٨٨ هـ بتعليق
ومراجعة محمد خليل هراس في مجلد ، ثم قام الدكتور عبد العزيز الشهبان
بدراسة الكتاب وتحقيقه تحقيقاً علمياً للحصول على درجة الدكتوراه - قسم =

عاصم^(١) ، والحكم بن معبد الخزاعي^(٢) ، وأبي بكر الخلال^(٣) ، وأبي القاسم الطبراني^(٤) ، وأبي الشيخ الأصبهاني^(٥) ، وأبي أحمد

- = العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وطبع سنة ١٤٠٨ هـ في مجلدين .
- راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٩٦/٢/٣ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٧٢٠/٢ - ٧٣١ . وطبقات الشافعية - للسبكي - ١٠٩/٣ - ١١٩ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢٦٢/٢ - ٢٦٣ .
- (١) هو : أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الضحاك الشيباني الحافظ الكبير قاضي أصبهان له تصانيف نافعة منها « المسند » وكتاب « السنة » في أحاديث الصفات - ط - ولد سنة ٢٠٦ وتوفي سنة ٢٨٧ هـ .
- راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٦٤٠/٢ - ٦٤١ . والبداية والنهاية - لابن كثير - ٩٥/١١ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٤٢٥/٢ . وشذرات الذهب - لابن العماد ١٩٥/٢ . والأعلام - للزركلي - ١٨١/١ - ١٨٢ .
- (٢) هو : أبو عبد الله الحكم بن معبد بن أحمد بن عبيد الخزاعي الحنفي ، الفقيه المحدث من أهل أصبهان له كتاب « السنة » . توفي سنة ٢٩٥ هـ .
- راجع : كشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٤٢٥/٢ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢١٨/٢ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٧١/٤ .
- (٣) تقدمت ترجمته وذكر بعض مصنفاته ص ١٦٢ .
- (٤) تقدمت ترجمته وذكر بعض مصنفاته ص ١٤٣ .
- (٥) هو : أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري الأصبهاني أحد حفاظ الحديث وصاحب المصنفات في الأحكام والتفسير ، يعرف بأبي الشيخ صنف « التاريخ » على السنن ، وكتاب « الثواب » و« عظمة الله ومخلوقاته » و« السنة » وغيرها . ولد سنة ٢٧٤ وتوفي سنة ٣٦٩ هـ .
- راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٩٤٥/٣ - ٩٤٧ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٤٠٦/٢ - ١٤٠٧ . وهدية العارفين - للبغدادي - ٤٤٧/١ . والأعلام للزركلي ٢٦٤/٤ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١١٤/٦ .

العسال^(١) ، وأبي بكر الآجري^(٢) ، وأبي الحسن الدار قطني^(٣) ، كتاب الصفات ، وكتاب الرؤية ، وأبي عبد الله بن منده^(٤) ، وأبي عبد الله بن

(١) هو : أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان الأصبهاني المعروف بالعسال أحد الأئمة في علم الحديث ، وصاحب التصانيف . له كتاب « المعرفة » في السنة و« الرؤية » و« العظمة » و« المسند » على الأبواب وغيرها . ولي القضاء بأصبهان . ولد سنة ٢٦٩ . وتوفي سنة ٣٤٩ هـ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٨٨٦/٣ - ٨٨٨ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٣٨٠/٢ - ٣٨١ . وهداية العارفين - للبغدادي - ٤٣/٢ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٢٢٦/٨ .

(٢) هو : أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي الإمام المحدث الفقيه الشافعي . له تصانيف كثيرة منها كتاب « الشريعة » في السنة ، وكتاب « الأربعين حديثاً » و« التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة وما أعده الله لأولياته » . جاور بمكة وتوفي بها سنة ٣٦٠ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٢٤٣/٢ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٢٩٢/٤ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٩٣٦/٣ . وطبقات الشافعية - للسبكي - ١٤٩/٣ . وتاريخ التراث العربي - لفؤاد سزكين - المجلد الأول الجزء الأول علوم القرآن والحديث ص ٣٨٩ - ٣٩٢ .

(٣) هو : أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني ، الحافظ الشهير وصاحب السنن ، قام برحلات علمية كثيرة تلقى أثناءها العلم على أكبر العلماء المشهورين في عصره ، صنف إضافة إلى السنن كتباً كثيرة منها كتاب « الصفات » وكتاب فيه ما ورد من النصوص الواردة في كتاب الله والأحاديث المتعلقة برؤية الباري . وفي بغداد سنة ٣٨٥ هـ .

ولمعرفة الكثير عن هذه الكتب وغيرها لهذا الإمام وأماكن وجودها يراجع : تاريخ التراث العربي - لسزكين - علوم القرآن والحديث - ٤١٨/١/١ - ٤٢٤ . يراجع للترجمة : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٤/١٢ - ٤٠ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٢٩٧/٣ - ٢٩٩ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٩٩١/٣ - ٩٩٥ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ١١٦/٣ - ١١٧ .

(٤) هو : هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي ، من كبار الحفاظ الراحلين في طلبه ، وأحد الثقات ، صنف العديد من الكتب منها =

بطة^(١)، وأبي القاسم اللالكائي^(٢)، وأبي عمر الطلمنكي^(٣)، وغيرهم ،
وأيضاً فقد جمع العلماء من أهل الحديث والفقه والكلام والتصوف هذه
الآيات والأحاديث ، وتكلموا في إثبات معانيها ، وتقرير صفات الله التي
دلت عليها هذه النصوص ، لما ابتدع^(٤) الجهمية جحد ذلك والتكذيب

= « الرد على الجهمية » و« التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق
والتفرد » وغيرها . ولد سنة ٣١ هـ ، وتوفي سنة ٣٩٥ هـ .

راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٦٧/٢ . وتذكرة الحفاظ
- للذهبي - ١٠٣١/٣ - ١٠٣٧ . ولسان الميزان - لابن حجر - ٧٠/٥ - ٧٢ .
والأعلام - للزركلي - ٢٥٣/٦ .

(١) هو : أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن
بطة ، عالم بالحديث ، فقيه من كبار الحنابلة ، له مصنفات كثيرة منها : كتاب
« الإبانة الكبرى » ويختص هذا الكتاب بمناقشة المذاهب الكلامية فيما خالفت فيه
مذهب السلف ، وكتاب « الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة
المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين » ويسمى « الإبانة الصغرى » ، وكتاب
« السنن » إلى غير ذلك من المصنفات .

ولد سنة ٣٠٤ هـ ، وتوفي سنة ٣٨٧ هـ .

راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٤٤/٢ - ١٥٣ . والبداية والنهاية
- لابن كثير - ٣٦٠/١١ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ١٢٢/٣ - ١٢٣ .
وهدية العارفين - للبغدادى - ٦٤٧/١ . والأعلام - للزركلي - ٣٥٤/٤ .

(٢) تقدمت ترجمته وذكر بعض مصنفاته ص ١٥٥ .

(٣) هو : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري الأندلسي
الطلمنكي الحافظ الإمام المقرئ ، عالم أهل قرطبة ، كان سيفاً على أهل
الأهواء والبدع قاموا لهم ، صنف كتباً كثيرة في السنة يلوح فيها فضله وحفظه
وإمامته واتباعه للأثر مثل كتاب « الدليل إلى معرفة الجليل » وكتاب « السنة »
و« رسالة في أصول الديانات » وغيرها . ولد سنة ٣٣٩ هـ وتوفي سنة ٤٢٩ هـ .

راجع : سير أعلام النبلاء - للذهبي - ٥٦٦/١٧ - ٥٦٩ . وطبقات المفسرين
- للداودي - ٧٩/١ - ٨٠ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢٤٣/٣ - ٢٤٤ .
ومعجم المؤلفين - لكحالة - ١٢٣/٢ .

(٤) في ط : ابتدعت .

له ، كما فعل عبد العزيز الكتاني^(١) ، وأحمد بن حنبل^(٢) ، وإسحاق بن راهوية^(٣) ، وكما فعل عثمان بن سعيد الدارمي^(٤) ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة^(٥) ، وأبو عبد الله بن حامد^(٦) ، والقاضي أبو يعلى^(٧) ، وكما فعل أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب^(٨) ، وأبو

(١) تقدمت ترجمته ص ١٦٢ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٤ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٣٧ .

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٦١ .

(٥) تقدمت ترجمته ص ١٦٥ .

(٦) هو : أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي الوراق ، إمام الحنابلة في زمانه ومدرسه ومفتيهم . له المصنفات في العلوم المختلفة كـ « الجامع » في المذهب و« شرح أصول الدين » وغيرها ، توفي سنة ٤٠٣ هـ .
راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٠٣/٧ - ٣٠٤ . وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٧١/٢ - ١٧٧ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٢٠٣/١٧ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ٤١٥/١١ .

(٧) هو : أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء ، عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون من أهل بغداد ، ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين . له تصانيف كثيرة منها « الإيمان » و« أربع مقدمات في أصول الديانات » و« إبطال التأويلات لأخبار الصفات » و« الرد على الأشعرية » و« الرد على الكرامية » ، و« الرد على الباطنية » ، و« الرد على المجسمة » ، وغيرها ، ولد سنة ٣٨٠ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٢٥٦/٢ - ٢٥٧ . وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١٩٣/٢ - ٢٣٠ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢٠٦/٣ - ٢٠٧ .
والمناجح الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد - للعلمي - ١٢٨/٢ - ١٤٢ .

(٨) هو : أبو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصري ، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه ، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة وربما وافقهم ، وأصحابه هم « الكلابية » يقول الذهبي : والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة . توفي ٢٤٠ .

يقول فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي - العقائد والتصوف ٢٩/٤/١ = :

الحسن علي بن إسماعيل الأشعري^(١) ، وأبو الحسن علي بن مهدي الطبري^(٢) ، والقاضي أبو بكر الباقلائي^(٣) .

= « يبدو أن جميع كتبه قد ضاعت غير أننا نجد بقايا منها في مقالات الأشعري ... » .

راجع : سير أعلام النبلاء - للذهبي - ١١/١٧٤ - ١٧٦ . ولسان الميزان - لابن حجر - ٣/٢٩٠ - ٢٩١ . وطبقات الشافعية - للسبكي - ٢٠/٢٩٩ - ٣٠٠ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٦/٥٩ .

(١) هو : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل الأشعري . كان معتزلياً ثم رجع ، وإليه تنسب الطائفة « الأشعرية » له مصنفات كثيرة منها « اللمع » و« الإبانة » و« مقالات الإسلاميين » وغيرها مما رد فيه على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة ، ولد سنة ٢٦٠ هـ ، وتوفي سنة ٣٢٤ هـ ، على اختلاف في ذلك .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١١/٣٤٦ - ٣٤٧ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٣/٢٨٤ - ٢٨٦ . وطبقات الشافعية - للسبكي - ٣/٣٤٧ - ٤٢٤ . والبداية والنهاية - لابن كثير - ١١/٢١٠ .

(٢) هو : أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري الأشعري ، صحب أبا الحسن الأشعري بالبصرة وأخذ عنه ، صنف التصانيف ، وتبحر في علم الكلام . له كتاب « تأويل الأحاديث المشككات الواردة في الصفات » .

يقول فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي - المجلد الأول - الجزء الرابع - العقائد - ص ٤٥ : « .. وله تأويل الآيات المشككة الموضحة وبيانها بالحجة والبرهان » .

توفي في حدود سنة ٣٨٠ هـ .

راجع : تبين كذب المفتري - لابن عساكر - ص ١٩٥ - ١٩٦ . وطبقات الشافعية - للسبكي - ٣/٤٦٦ - ٤٦٨ . وطبقات المفسرين - للداودي - ١/٤٣٦ - ٤٣٧ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ٢٢/١٤٣ . ومعجم المؤلفين - لكحالة - ٧/٢٣٤ .

(٣) هو : القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلائي من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة . له مصنفات منها : « التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » ، وكتاب « الإبانة =

الوجه الثاني عشر :

إن الله تعالى بعث رسوله بالهدى ودين الحق ، وأكمل له ولأمته الدين ، وأتم عليهم^(١) النعمة وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها^(٢) ، وبين لهم جميع ما يحتاجون إليه ، وكان أعظم ما يحتاجون إليه تعريفهم ربهم بما يستحقه من أسمائه الحسنی وصفاته العلی^(٣) و[ما]^(٤) يجوز

= عن إبطال مذهب أهل الكفر والديانة « وغيرها كثير ، ولد بالبصرة سنة ٣٣٨ هـ ، وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٧٩/٥ - ٣٨٣ . وتبيين كذب المفتري - لابن عساكر - ص ٢١٧ - ٢٢٦ . والبداية والنهاية - لابن كثير - ٣٩٠/١١ - ٣٩١ . وتاريخ التراث العربي - لفؤاد سزكين - المجلد الأول - الجزء الرابع - العقائد - ص ٤٧ - ٥١ .

(١) في الأصل : عليه . والمثبت من : ط . ولعله المناسب .

(٢) كما جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجة عن العرياض بن سارية قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » . . الحديث .

المقدمة - باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١٦/١ الحديث/٤٣ .

ورواه الإمام أحمد في مسنده بهذا اللفظ ١٢٦/٤ .

قال الألباني : الحديث أخرجه الحاكم من طريقين ، وذكرهما ، ثم قال :

وسنده صحيح .

انظر : السنة لابن أبي عاصم ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني

١٩/١ ، ٢٠ .

وقد شرح هذا الحديث ابن رجب - رحمه الله - في كتابه « جامع العلوم

والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ص ٢٢٥ - ٢٣٦ .

(٣) في ط : العليا .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط .

عليه ويثبت له ، ويحمد ويثنى به عليه ويمجد به ، وما يمتنع عليه فينزه عنه ويقدس [١].

ثم حدث بعد المائة الأولى الجهم بن صفوان^(٢) وأتباعه ، الذين عطلوا حقيقة أسمائه الحسنى وصفاته العلى^(٣) ، وسلكوا مسلك إخوانهم المعطلة الجاحدين للصانع ، وصار أغلب ما يصفون به الرب هو الصفات السلبية العدمية ، ولا يقرون إلا بوجود مجمل ، ثم يقرونه بسلب ينفي الوجود .

ومن أبلغ العلوم الضرورية أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله ، وأنزل بها كتابه مشتملة على الإثبات المفصل والنفي المجمل ، كما يقرر ذلك^(٤) في كتابه : علمه وقدرته وسمعه وبصره ومشيتته ورحمته وغير ذلك ، ويقول في النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٥) ، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُمُ

(١) ما بين المعقوفتين بدايتها ص ١٥٧ ت (٤) : ساقط من : س .

(٢) هو : أبو محرز الجهم بن صفوان السمرقندي ، من موالي بني راسب رأس الجهمية الضال المبتدع ، قتل سنة ١٢٨ هـ على يد مسلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية ، وقد زرع شراً عظيماً ، فكان يقول : « إن القرآن مخلوق ، وإنه لا يقال : إن الله لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون ، وإنه لا يوصف بالصفات التي يتصف بها المخلوق ، لأن ذلك يقتضي التشبيه ، إلى غير ذلك من الضلالات المنكرة » .

راجع : مقالات الإسلاميين - للأشعري - ٣٣٨/١ . والملل والنحل - للشهرستاني - ٨٦/١ . وميزان الاعتدال - للذهبي - ٤٢٦/١٢ . ولسان الميزان - لابن حجر - ١٤٢/٢ .

وانظر : ما ذكرته عن الجهمية ص ١١٩ .

(٣) في ط : العليا .

(٤) ذلك : ساقطة من : س ، ط .

(٥) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

سَمِيًّا ﴿١﴾ ، ﴿ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ﴿٣﴾
وعلى هذا أهل العلم والإيمان أتباع المرسلين من الأولين والآخرين .

وأما طريقة هؤلاء فهي نفي مفصل ليس بكذا ولا كذا^(٣) ، وإثبات مجمل ، يقولون : هو الوجود المطلق لا يوصف إلا بسلب أو إضافة أو مركب منها ونحو ذلك ، وكل من علم ما جاءت به الرسل ، وما يقوله هؤلاء ، علم أن هؤلاء في غاية المشاقة والمحادة والمحاربة لله ورسوله^(٤) ، وانتدب هؤلاء في تقرير شبه^(٥) عقلية ينفون بها الحق ، وتأولوا كتاب الله على غير تأويله ، فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وألحدوا في أسماء الله وآياته بحيث حملوها على ما يعلم بالاضطرار أنه خلاف مراد الله ورسوله ؛ كما فعل إخوانهم القرامطة^(٦)

(١) سورة مريم ، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة الإخلاص ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

(٣) ولا كذا : ساقطة من : س ، ط .

(٤) في س ، ط : ورسله .

(٥) في الأصل : بشبه . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

(٦) القرامطة : من الباطنية ولقبوا بذلك نسبة إلى رجل من دعاتهم يقال له :

حمدان بن قرمط ، ويعود في أصله إلى خوزستان - الأهواز - أظهر التقشف والزهد في أول عهده فاستمال إليه بعض الناس فسموا « قرامطة » وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين ، وجحدوا الشرائع ، وظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر ، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم ، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها من الشبهات ، والمعصوم يطلع من جهة الله على جميع أسرار الشرائع ، ولا بد في كل زمان من إمام معصوم يرجع إليه .

إضافة إلى أقوالهم الباطلة وآرائهم الشنيعة في الإله والنبوة ، والقيامة والتكاليف الشرعية ، والتي يتضح من خلالها أنها فرقة ملحدة ضالة ، وحركة باطنية هدامة .

راجع تفاصيل أخبارهم وعقيدتهم وأهدافهم : فضائح الباطنية - للغزالي - ص ١٢ فما بعدها . القرامطة - لابن الجوزي (وهو فصل مطول عن القرامطة =

والباطنية^(١) وجدوا الحقائق العقلية ، كما فعل إخوانهم
السوفسطائية^(٢) فجمعوا بين السفسطة في العقليات ، والقرمطة في

= في المنتظم ٥/١١٠ - ١١٩ . قام بتحقيقه محمد الصباغ وإفراده بكتاب مستقل)
- ص ٢٩ - ٧٢ . الكامل لابن الأثير - ٧/٤٩٣ . فما بعدها . ٨/١٤٣ . البداية
والنهاية - لابن كثير ١١/٩١ ، ١٨٠ . القرامطة - لمحمود شاكر - ص ٥ فما بعدها .
(١) الباطنية : جماعة ترى أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن ، تجري مجرى اللب من
القشر ، وأنها توهم الأغبياء صوراً ، وتفهم الفطناء رموزاً وإشارات إلى حقائق
خفية ، وأن من تقاعد عن الغوص على الخفايا والبواطن متعثر ، ومن ارتقى إلى
علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه ، ويزعمون أنهم أصحاب
التعاليم ، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم .

وقد أسس دعوة الباطنية جماعة منهم : ميمون بن ديسان المعروف بالقداح ،
ومحمد بن حسين الملقب بدندان . ولمعرفة الكثير عن هذه الفرقة ، وبيان ضلالها
وعظم خطرها يراجع : الفرق بين الفرق - لعبد القاهر - ص ٢٨١ - ٣١٢ .
التبصير في الدين - للإسفرائيني - ص ١٤٠ - ١٤٧ . فضائح الباطنية - للغزالي
- ص ١١ فما بعدها . القرامطة - لابن الجوزي (وهو فصل مطول عن القرامطة
في المنتظم ٥/١١٠ - ١١٩ قام بتحقيقه محمد الصباغ - وإفراده بكتاب مستقل)
- ص ٣٦ - ٧٢ .

(٢) في الأصل : س : السوفسطائية . والمثبت من : ط .
السوفسطائية : هم قوم كانوا قبل دولة الإسلام في القرن الخامس قبل
الميلاد ، يقولون بنفي الحقائق . وقد قسم ابن تيمية السفسطة إلى أربعة أنواع :
الأول : السوفسطائية المتجاهلة اللاأدرية الذين يقولون : لا نعلم هل الحقائق
ثابتة أو متنتفية ، وهل يمكن العلم أو لا يمكن ؟ .
الثاني : قول أهل التكذيب والجحود والنفي الذين يجزمون بنفي الحقائق
والعلم بها .

الثالث : الذين يجعلون الحقائق تتبع العقائد ، فمن اعتقد ثبوت الشيء كان
في حقه ثابتاً ومن نفاه كان في حقه منتفياً ، ولا يجعلون للحقائق أمراً هي عليه
في أنفسها .

الرابع : قول من يقول : الحقائق موجودة لكن لا سبيل إلى العلم بها ، إما
لكون العالم في السيلان فلا يمكن العلم بحقيقته ، وإما لغير ذلك .

السمعيات^(١) ، فهذا انتدب سلف الأمة وأئمتها وغيرهم للرد عليهم وتقرير ما أثبتته الله ورسوله ورد تكذيبهم وتعطيلهم ، وذكروا دلائل الكتاب والسنة على بيان الحق ورد باطلهم ، ولما احتج أولئك بشبه عقلية بينوا لهم - أيضاً^(٢) - أن العقل يدل على فساد قولهم ، وصحة ما جاءت به الرسل كما قال تعالى : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾^(٣) ، وإذا^(٤) كان الأمر كذلك ، فمن نهى عن بيان ما بعث الله به رسوله من الإثبات ، وأمر بما أحدث من النفي الذي لا يؤثر عن الرسل ، كان قد أخذ من مشاقة الله ورسوله ومحادة الله ورسوله ، ومحاربة الله ورسوله ، بحسب ما سعى فيه من ذلك ، حيث أمر بترك ما بعث به الرسول ، وبإظهار ما يشتمل على مخالفته .

= وهذا الاسم - أعني السوفسطائية - اسم المهنة التي بها يقدر الإنسان على المغالطة والتمويه والتليس بالقول والإيهام ، وهو مركب في اليونانية من « سوفيا » وهي الحكمة ، من « أسطس » وهي المموهة ، فمعناها الحكمة المموهة .

راجع : التبصير في الدين - للإسفراييني - ص ١٤٩ . والصفدية - لشيخ الإسلام ابن تيمية - ٩٧/١ - ٩٨ ت (٢) نفس الصفحة . وص ١٧٠ - ١٧١ من هذا الكتاب . والتعريفات - للجرجاني - ص ١١٨ - باب السين . وتاريخ الفلسفة اليونانية - ليوسف كرم - ص ٥٧ .

(١) كثيراً ما يشير الشيخ - رحمه الله - إلى هذه العبارة في كتبه . راجع مثلاً : السبعينية ص ٧ .

ودرء تعارض العقل والنقل - ١٥/٢ وكلاهما لابن تيمية ، أي : يفعلون فعل القرامطة ، فيجعلون للنص ظاهراً وباطناً كي يتفق مع مذهبهم الباطل .

(٢) في س ، ط : أيضاً لهم .

(٣) سورة سبأ ، الآية : ٦ .

(٤) في س ، ط : وإن .

الوجه الثالث عشر (١) :

إن الناس عليهم أن يجعلوا كلام الله ورسوله ، هو الأصل المتبع ، والإمام المقتدى به ، سواء علموا معناه أو لم^(٢) يعلموه ، فيؤمنون بلفظ النصوص ولو لم^(٣) يعرفوا حقيقة معناها ، وأما ما سوى كلام الله ورسوله ، فلا يجوز أن يجعل أصلاً بحال ، ولا يجب التصديق بلفظ له حتى يفهم معناه ، فإن كان معناه موافقاً لما جاء به الرسول كان مقبولاً ، وإن كان مخالفاً كان مردوداً ، وإن كان مجملاً مشتملاً على حق وباطل لم يجز إثباته - أيضاً - ولا يجوز نفي جميع معانيه ، بل يجب المنع من إطلاق نفيه وإثباته أو^(٤) التفصيل والاستفسار .

وهؤلاء جعلوا هذه الألفاظ المبتدعة المجملة أصلاً أمروا بها ، وجعلوا ما جاء به الرسول من الآيات والأحاديث فرعاً يعرض عنها ولا يتكلم بها ولا فيها ، فكيف يكون تبديل الدين إلا هكذا ؟

الوجه الرابع عشر :

ليس لأحد من الناس أن يلزم الناس ويوجب عليهم إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولا يحظر عليهم إلا ما حظره الله ورسوله ، فمن أوجب ما لم يوجبه الله ورسوله ، وحرم ما لم يحرمه الله ورسوله ، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، وهو مضاه لمن ذمه الله في كتابه من حال المشركين وأهل الكتاب الذين اتخذوا ديناً لم يأمرهم الله به ، وحرّموا ما لم

(١) في س : الوجه الثاني عشر . وهو خطأ .

(٢) في س : ولم . وهو خطأ .

(٣) في س ، ط : وإن لم .

(٤) في س ، ط : والتفصيل .

يحرمه^(١) الله عليهم ، وقد بين ذلك في سورة الأنعام والأعراف وبراءة وغيرهن من السور ، ولهذا كان من شعار^(٢) أهل البدع إحداث^(٣) قول أو فعل ، وإلزام الناس به وإكراههم عليه أو^(٤) الموالاتة عليه والمعاداة على تركه ، كما ابتدعت الخوارج^(٥) رأيها وألزمت الناس به ، ووالت وعادت عليه ، وابتدعت الرافضة رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه ، وابتدعت الجهمية رأيها وألزمت الناس به ووالت وعادت عليه ، لما كانت^(٦) لهم قوة في دولة الخلفاء الثلاثة الذين امتحن في زمانهم الأئمة

(١) في ط : يحرموا . وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : إشعار . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

(٣) في الأصل : من إحداث . والكلام يستقيم بما أثبتته من : س ، ط .

(٤) في ط : .. والموالاتة .

(٥) الخوارج : اسم يطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان ، والأئمة في كل زمان .

لكن صار هذا الاسم علماً على أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في حرب صفين ، وهم عشرون فرقة يجمعها القول بتكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالحكمين ، وبتكفير من اقترب ذنباً من أمة محمد ﷺ فهو كافر في الدنيا ، مخلد في النار في الآخرة ، إلا النجيدات منهم فإنهم قالوا : إن الفاسق كافر على معنى أنه كافر بنعمة ربه ، ومما يجمعهم جميعاً تجويزهم الخروج على الإمام الجائر ، وكان من ذلك حروب كثيرة - كما هو معروف - .

راجع في شأن هذه الفرقة الضالة : مقالات الإسلاميين - للأشعري - ١٦٧ -

١٦٨ . والفرق بين الفرق - للبغدادي - ص ٧٢ - ٧٣ . والتبصير في الدين

- للإسفرابيني - ص ٤٥ . والملل والنحل - للشهرستاني - ١١٤ / ١ - ١١٥ .

والبداية والنهاية - لابن كثير - ٣٠٤ / ٧ .

وانظر : ما ذكرته عن الحرورية ص ١٥١ .

(٦) في س ، ط : كان .

ليوافقهم^(١) على رأي جهم^(٢) الذي مبدؤه أن القرآن مخلوق ، وعاقبوا من لم يوافقهم على ذلك .

ومن المعلوم أن هذا من المنكرات المحرمة بالعلم الضروري من دين المسلمين ، فإن العقاب لا يجوز أن يكون على ترك واجب أو فعل محرم ، ولا يجوز إكراه أحد على ذلك والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله ، فمن عاقب على فعل أو ترك بغير أمر الله ورسوله ، وشرع ذلك ديناً فقد جعل الله نداءً ، ولرسوله نظيراً ، بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله أنداداً^(٣) ، وبمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب^(٤) ، وهو ممن قيل فيه^(٥) : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾^(٦) ، ولهذا كان أئمة^(٧) السنة والجماعة لا يلزمون الناس بما يقولونه من موارد الاجتهاد ولا يكرهون أحداً عليه ، ولهذا لما استشار هارون الرشيد^(٨) مالك بن

(١) في ط : لتوافقهم .

(٢) سبق التعريف به وبمذهبه ص ١١٩ ، ١٧١ .

(٣) في س : أنداد . وهو خطأ .

(٤) هو : أبو ثمامة مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي متنبئ كذاب ، أكثر من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن ، أرسل إليه أبو بكر خالد بن الوليد ، فقتل عليه وعلى فتنته ، ومات مقتولاً سنة ١٢ هـ .

راجع : الكامل - لابن الأثير - ٣٦٠/٢ - فما بعدها . والبداية والنهاية - لابن كثير - ٣٦٤/٦ - فما بعدها . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢٣/١ . والأعلام - للزركلي - ١٢٥/٨ .

(٥) فيه : ساقطة من : س .

(٦) سورة الشورى ، الآية : ٢١ .

(٧) في س ، ط : أهل .

(٨) هو : أبو جعفر هارون (الرشيد) بن محمد (المهدي) بن المنصور العباسي أمير المؤمنين ، وخامس خلفاء الدولة العباسية في العراق ، ولد بالري سنة ١٤٩ هـ ، وبويح له بالخلافة سنة ١٧٠ هـ بعد وفاة أخيه الهادي وازدهرت الدولة في أيامه ، =

أنس^(١) في حمل الناس على موطنه ، قال له : (لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار فأخذ كل قوم عن من كان عندهم وإنما جمعت علم أهل بلدي) ، أو كما قال^(٢) ، وقال

= وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبخاري - ١٣ - ٥ / ١٤ . والبداية والنهاية - لابن كثير - ٢٤٢ / ١٠ - فما بعدها . والأعلام - للزركلي - ٤٣ / ٩ - ٤٤ .

(١) في الأصل ، س : لمالك ، والمثبت من : ط . ولعله المناسب . تقدمت ترجمته ص ١٣٣ .

(٢) أخرج أبو نعيم في الحلية ٦ / ٣٣٢ : « عن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت مالك بن أنس يقول : شاورني هارون الرشيد في ثلاث ، في أن يعلق الموطأ في الكعبة ، ويحمل الناس على ما فيه . . . ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أما تعليق الموطأ في الكعبة ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق ، وكل عند نفسه مصيب . . . » .

وفي الانتقاء لابن عبد البر ص ٤١ : « . . أن مالك بن أنس قال : لما حج أبو جعفر المنصور دعاني ، فدخلت عليه ، فحدثته ، وسألني فأجبت ، فقال : إني عزمت أن أمر بكتبك هذه التي قد وضعت - يعني « الموطأ » - فتنسخ نسخاً ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وأمرهم أن يعملوا بما فيها ، ولا يتعدوها إلى غيرها ، ويدعوا ما سوى ذلك . . . قال : فقلت يا أمير المؤمنين : لا تفعل هذا ، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا به . . . وإن ردهم عما اعتقدوه شديد ، فدع الناس وما هم عليه .
وورد نحو هذا في :

ترتيب المدارك - للقاضي عياض - ٧٢ / ٢ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٧٨ / ٨ .

وفي تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢٠٩ / ١ : « أن إسماعيل القاضي قال : حدثنا أبو مصعب قال : سمعت مالكا يقول : دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين وهو على فراشه . . . قال : ثم سألتني عن أشياء منها حلال ومنها حرام ، ثم قال لي : أنت والله أعقل الناس ، وأعلم الناس ، قلت : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : بلى ولكنك تكتم ، لئن بقيت لأكتبن قولك كما يكتب المصاحف ، =

مالك أيضاً : (إنما أنا بشر أصيب وأخطيء ، فاعرضوا قولتي على الكتاب والسنة) .

وقال أبو حنيفة^(١) : (هذا رأيي فمن جاءنا برأي أحسن منه قبلناه) .

وقال الشافعي^(٢) : (إذا صح الحديث فاضربوا بقولتي الحائط) ،
وقال : (إذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فإني أقول بها) .

وقال المزني^(٣) في أول

= ولا يبعثن به إلى الآفاق فأحملهم عليه .

وانظر نحو هذا في : ترتيب المدارك - للقاضي عياض - ٧١/٢ .
ومهما اختلفت الرواية في هذا فإن المعنى واحد ، وهو أن الإمام مالك بن أنس طلب من أمير المؤمنين - في أي رواية - أن لا يحمل الناس على موطنه .
ولئن تضاربت الروايات حول من عزم على حمل الناس على موطأ مالك ، هل هو أبو جعفر أم هارون الرشيد ؟ فيمكن أن نجتمع بين هاتين الروايتين بأن أصل الفكرة انبجست في ذهن أبي جعفر ، إلا أنها اتضحت وتأكدت عند هارون الرشيد فخر الخلفاء العباسيين ، فأراد تنفيذها طلباً لتوحيد الأمة على كتاب واحد في السنة ، إلا أن مالكا أبقى ذلك تورعاً وخوفاً من ضياع أحاديث كثيرة حملها الجرم الغفير من صحابة الرسول عليه السلام ، الذين تفرقوا في الآفاق يحملون كلمة التوحيد وينشرون الإسلام .

(١) تقدمت ترجمته ص ١٥٥ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٤ .

(٣) هو : أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم المزني - نسبة إلى مزينة بنت كلب قبيلة مشهورة - صاحب الشافعي ، كان عالماً فقيهاً ، راجع المعرفة ، جليل القدر ، عارفاً بوجوه الكلام والجدل ، له تصانيف كثيرة منها « المختصر » ، وقد شرحه قوم منهم : أبو إسحاق المروزي ، وأبو العباس بن سريج وغيرهما كثير ، ذكرهم فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي - المجلد الأول - الجزء الثالث - ٣/١ - الفقه - ص ١٥٩ .

ولد المزني سنة ١٧٥ ، وتوفي سنة ٢٦٤ هـ .

راجع : الانتقاء - لابن عبد البر - ص ١١٠ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان =

مختصره^(١) : (هذا كتاب اختصرته من علم أبي عبد الله الشافعي^(٢) لمن أراد معرفة مذهبه ، مع إعلامه نهيه^(٣) عن تقليده وتقليد غيره من العلماء) .

وقال الإمام أحمد^(٤) : (ما ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم) . [قال]^(٥) : (ولا تقلد دينك الرجال ، فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا) .

فإذا كان هذا قولهم في الأمور العملية^(٦) وفروع الدين ، لا يستجيزون إلزام الناس بمذاهبهم^(٧) ، مع استدلالهم عليها بالأدلة الشرعية ، فكيف بإلزام الناس وإكراههم على أقوال لا توجد في كتاب الله ، ولا في حديث عن رسول الله ﷺ ، ولا تؤثر عن الصحابة والتابعين ولا عن أحد من أئمة المسلمين ؟ ولهذا قال الإمام أحمد^(٨) [لابن]^(٩) أبي داود^(١٠) الجهمي ، الذي كان قاضي القضاة في عهد

= ٢١٧/١ - ٢١٩ . وطبقات الشافعية - للسبكي - ٩٣/٢ - ١٠٩ .

(١) مختصر المزني - ص ١ - مطبوع ضمن كتاب « الأم » للشافعي .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٣٤ .

(٣) في جميع النسخ ، والمختصر : إعلامية نهية . ولعله المناسب .

(٤) تقدمت ترجمته ص ١٣٤ .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٦) في س ، ط : الأصول العلمية .

والعملية مفرد عمليات .

ولعل العمليات ما يسميها البعض الفروع والشرع والفقهاء .

راجع : معارج الوصول إلى معرفة أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول

- لابن تيمية - ص ٢١ .

(٧) في الأصل : بمذاهبهم . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

(٨) تقدمت ترجمته ص ١٣٤ .

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(١٠) في س ، ط : داود . وهو خطأ .

=

المعتصم^(١) لما دعا الناس إلى التجهم ، وأن يقولوا القرآن مخلوق ، وإكراههم^(٢) عليه بالعقوبة وأمر بعزل من لم يجبه ، وقطع رزقه إلى غير ذلك مما فعله في محنته المشهورة^(٣) ، فقال له في مناظرته لما طلب منه الخليفة أن يوافق على أن القرآن مخلوق : « اتنوني بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله [حتى أجيبكم به ، فقال له ابن أبي دؤاد : وأنت لا تقول إلاّ بما في كتاب الله أو سنة رسوله]^(٤) ، فقال له : هب أنك تأولت تأويلاً فأنت أعلم وما تأولت ، فكيف تستجيز أن تكره الناس عليه بالحبس والضرب^(٥) ؟ » .

فبين أن العقوبة لا تجوز إلاّ على ترك ما أوجبه الله أو فعل ما حرمه

= هو : أبو عبد الله أحمد بن دؤاد فرج بن جرير بن مالك الإيادي أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ، ورأس فتنة القول بخلق القرآن ، ولي القضاء للمعتصم والوائق ، وحمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن . قال عنه الذهبي : جهمي بغیض ، ولد سنة ١٦٠ هـ ، وتوفي مصاباً بالفالج سنة ٢٤٠ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١٤١/٤ - ١٥٦ . ووفيات الأعيان - لابن خلکان - ٨١/١ - ٩١ . وباب ذكر المعتزلة من كتاب : مقالات الإسلاميين - لأبي القاسم البلخي - ص ١٠١ .

(١) هو : أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي أحد خلفاء الدولة العباسية ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ ، ولد سنة ١٧٩ هـ ، وتوفي سنة ٢٢٧ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٤٢/٣ - ٣٤٧ . الكامل لابن الأثير - ٥٢٣/٦ - ٥٢٤ . والبداية والنهاية - لابن كثير - ٣٣٤/١ .

(٢) في س ، ط : وأكرههم .

(٣) مناقب الإمام أحمد - لابن الجوزي - ص ٣٩٧ - فما بعدها .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٥) مناقب الإمام أحمد - لابن الجوزي - ص ٤٠١ .

الله ، فإذا كان القول ليس في كتاب الله وسنة رسوله لم يجب على الناس أن يقولوه ، لأن الإيجاب إنما يتلقى من الشارع ، وإن كان القول في نفسه حقاً ، أو اعتقد قائله أنه حق ، فليس له أن يلزم الناس أن يقولوا ما لم يلزمهم الرسول أن يقولوه - لا نصاً ولا استنباطاً . وإذا^(١) كان كذلك فقول القائل : المطلوب من فلان أن يعتقد كذا وكذا ، وأن لا يتعرض لكذا وكذا إيجاب عليه لهذا الاعتقاد وتحريم عليه لهذا الفعل ، وإذا كانوا لا يرون خروجه من السجن إلا بالموافقة على ذلك فقد استحلوا عقوبته وحبسه حتى يطيعهم في ذلك ، فإذا لم يكن ما أمروا به قد أمر الله به ورسوله ، وما نهوا عنه قد نهى الله عنه ورسوله ، كانوا بمنزلة من ذكر من الخوارج^(٢) والروافض^(٣) والجهمية^(٤) المشابهين للمشركين والمرتدين ، ومعلوم أن هذا الذي قالوه لا يوجد في كلام الله ورسوله بحال ، وهم - أيضاً - لم يبينوا أنه يوجد في كلام الله ورسوله ، فلو كان هذا موجوداً في كلام الله ورسوله لكان عليهم بيان ذلك ، لأن العقوبات لا تجوز إلا بعد إقامة الحجة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(٥) ، فإذا لم يقيموا حجة الله^(٦) التي يعاقب من خالفها ، بل لا يوجد ما ذكره في حجة الله ، وقد نهوا عن تبليغ حجة الله ورسوله ، كان هذا من أعظم الأمور مماثلة لما ذكر من حال الخوارج^(٧) المارقين المضاهين للمشركين والمرتدين والمنافقين .

(١) في س ، ط : وإن .

(٢) سبق التعريف بهم وبمذهبهم ص ١٧٦ .

(٣) سبق التعريف بهم وبمذهبهم ص ١٥١ .

(٤) سبق التعريف بهم وبمذهبهم ص ١١٩، ١٧١ .

(٥) سورة الإسراء ، الآية : ١٥ .

(٦) في س : لله .

(٧) سبق التعريف بهم وبمذهبهم ص ١٧٦ .

الوجه الخامس عشر :

إن القول الذي قالوه إن لم يكن حقاً يجب اعتقاده لم يجز الإلزام به ، وإن كان حقاً^(١) يجب اعتقاده ، فلا بد من بيان دلالته ، فإن العقوبة لا تجوز قبل إقامة الحجة باتفاق المسلمين ، فإن [كان]^(٢) القول مما أظهره الرسول وبينه ، فقد قامت الحجة ببيان رسوله ، وإن لم يكن ذلك فلا بد من بيان حجته وإظهارها ، التي يجب موافقتها ويحرم مخالفتها . ولهذا قال الفقهاء^(٣) في أهل البغي المتأولين : إن^(٤) ذكروا مظلمة أزالها الإمام ، وإن ذكروا شبهة بينها^(٥) لهم ، فإذا لم يبينوا صواب القول أصلاً ، بل ادعوه دعوى مجردة فكيف يجب التزام^(٦) مثل ذلك القول من غير الرسول ؟ وهل يفعل هذا^(٧) من له عقل أو دين ؟ .

الوجه السادس عشر :

إنهم لو بينوا صواب ما ذكروه من القول لم يكن ذلك موجباً لعقوبة تاركه^(٨) ، فليس كل مسألة فيها نزاع إذا أقام أحد الفريقين الحجة على صواب قوله مما يسيغ له عقوبة مخالفه ، بل عامة المسائل التي تنازعت

(١) حقاً : ساقطة من : س .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٣) كما ذكر ذلك ابن قدامة في المغني ١٠٨/٨ .

(٤) إن : ساقطة من : س .

(٥) في ط : بينوها . وهو تصحيف .

(٦) في الأصل : الالتزام . وأثبت ما يستقيم به الكلام من : س ، ط .

(٧) في س : بهذا .

(٨) في الأصل أنهم لم يبينوا صواب ما ذكروه من القول لم يكون موجباً ... في

(س) أنهم إن لم يبينوا صواب ما ذكروه من القول لم يكن موجباً والمثبت من

(ط) ولعله المناسب للسياق .

فيها الأمة لا يجوز لأحد الفريقين المتنازعين أن يعاقب الآخر على ترك اتباع قوله ، فكيف إذا لم يذكروا حجة أصلاً ولم يظهروا صواب قولهم ؟

الوجه السابع عشر :

إنه لو فرض أن هذا القول الذي أُلزموا به حق و صواب ، قد ظهرت حجته ووجبت عقوبة تارك التزامه ، فهذا لم يذكروه إلا في هذا الوقت ، بعد هذا الطلب والحبس والنداء على الشخص المعين بالمنع من موافقته ، ونسبته إلى البدعة والضلالة ومخالفة جميع العلماء والحكام ، وخروجه عما كان عليه الصحابة والتابعون إلى أنواع أخر مما قالوه وفعلوه في حقه من الإيذاء ، والعقوبة والضرر ، زاعمين أن ما صدر عنه من الفتاوى والكتب يتضمن ذلك ، فإذا أعرضوا عن ذلك بالكلية ، ولم يبينوا في كلامه المتقدم شيئاً من الخطأ والضلال الموجب للعقوبة ، لم يكن ابتداءؤهم بالدعاء^(١) إلى مقالة أنشؤوها مبيحاً لما فعلوه قبل ذلك من الظلم والعدوان^(٢) والكذب والبهتان والصد عن سبيل الله والتبديل لدين الله ، إنما هذا انتقال من ظلم إلى ظلم ليقروا^(٣) بالظلم المتأخر حسن الظلم المتقدم ، كمن يستجير من الرمضاء بالنار^(٤) ، وهذا يزيدهم ظلماً^(٥) وعذاباً ، فهب أن هذا الشخص وافقهم الآن على [ما]^(٦) أنشؤوه من

(١) في الأصل : بالد . وهو من سهو الناسخ .

(٢) العدوان : ساقطة من : س ، ط .

(٣) في س ، ط : ليقروا .

(٤) هذا اقتباس من قول الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
ويقال : إن أول من قاله التكلام الضبعي . انظر : فصل المقال للبكري

ص ٣٧٧ .

(٥) في س ، ط : إثماً .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

القول ، أي شيء في ذلك مما يدل على خطئه وضلاله في أقواله المتقدمة ، إذا لم تناف هذا القول ، دع استحقاق العقوبة والكذب والبهتان ، فما لم يبينوا أن فيما^(١) صدر عنه [قبل طلبه وحبسه وإعلام ما ذكره من أمره ما يوجب ذلك ، لم ينفعهم هذا ، وهم قد عجزوا عن إبداء خطأ أو ضلال فيما صدر عنه]^(٢) من المقال ، وهم دائماً يمتنعون من المحاجة^(٣) والمناظرة بلفظ أو خط ، وقد قيل لهم مرات متعددة^(٤) : من أنكر شيئاً فليكتب ما ينكره بخط يده ، ويذكر حجته ويكتب جوابه ، ويعرض الأمران على علماء المشرق والمغرب ، فأبلسوا وبهتوا وطلب منهم غير مرة^(٥) المخاطبة في المحاضرة والمحاجة^(٦) والمناظرة ، فظهر^(٧) منهم من العي في الخطاب والنكوص على الأعقاب والعجز عن الجواب ما قد اشتهر واستفاض بين أهل المدائن والأعراب ، ومن قضاتهم الفضلاء من كتب اعتراضاً على الفتيا الحموية^(٨) وضمنه أنواعاً

(١) في س : إذا لم يبينوا فيما . . .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٣) في الأصل : يسحنون من المحافة . وفي س ، ط : يستعفون من المحافة .

ولعل ما أثبت يستقيم به الكلام .

(٤) في س : بتعده .

(٥) في الأصل : غيره . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

(٦) في جميع النسخ : المحافة . ولعل ما أثبت يستقيم به الكلام .

(٧) في الأصل : فنظر . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

(٨) ألفها - رحمه الله - بين الظهر والعصر ، وهي جواب عن سؤال ورد من حماة سنة ٦٩٨ هـ عن آيات الصفات وأحاديثها ، وجرى بسبب تأليفها أمور ومحن وقد اعترض عليها بكتاب « الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية » وأجاب الشيخ - رحمه الله - على هذه الاعتراضات بكتابه « جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية » في أربع مجلدات ، عده ابن القيم من كتب الأصول ، وسوف نتحدث عن هذا الكتاب فيما بعد .

راجع : العقود الدرية - لابن عبد الهادي - ص ٢٩ ، ٦٧ ، ١٩٥ ، ١٩٨ . =

من الكذب وأموراً لا تتعلق بكلام المعترض عليه ، وقد كتبت جوابه في مجلدات ، ومنهم من كتب شيئاً ثم خبأه وطواه عن الأبصار ، وخاف من نشره ظهور العار وخزي أهل الجهل والصغار ، إذ مدار القوم على أحد أمرين : (إما)^(١) الكذب الصريح ، وإما الاعتقاد القبيح ، فهم لن يخلوا من كذب كذبه بعضهم وافتراه ، وظن باطل خاب من تقلده وتلقاه ، وهذه حال سائر المبطلين من المشركين ، وأهل الكتاب الكفار والمنافقين .

☆ ☆ ☆

= ومؤلفات ابن تيمية - لابن القيم - ص ١٩ .
(١) في الأصل : أحدها .

فصل

وأما قولهم : الذي نطلب منه أن يعتقد أنه ينفي الجهة عن الله والتحيز^(١) .

فالجواب من وجوه :

أحدها :

أن هذا اللفظ ومعناه الذي أرادوه ، ليس هو في شيء من كتب الله المنزلة من عنده ، ولا هو مأثوراً عن أحد من أنبياء الله ورسله ، لا خاتم المرسلين ، ولا غيره ، ولا هو - أيضاً - محفوظاً عن سلف^(٢) الأمة وأئمتها أصلاً ، وإذا كان بهذه المثابة ، وقد [علم أن الله]^(٣) أكمل لهذه الأمة دينها ، وأن الله بين لهذه الأمة^(٤) ما تنقيه^(٥) ، كما قال : ﴿ أَيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾^(٦) . . . الآية ، وقال : ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ بُيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾^(٧) ، وأن النبي ﷺ بين للأمة الإيمان الذي أمرهم الله به ، وكذلك سلف الأمة وأئمتها ، علم بمجموع^(٨) هذين الأمرين ، أن هذا الكلام ليس من دين الله ، ولا من

(١) في س : « والتحيز به » .

(٢) في س ، ط : « عن أحد من سلف . . . » .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من س ، ط .

(٤) « الأمة » : ساقطة من ط .

(٥) في الأصل « تنفيه » والمثبت من : س ، ط .

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٧) سورة التوبة ، الآية : ١١٥ .

(٨) في الأصل ، س : « لمجموع » ، والمثبت من : ط .

الإيمان ، ولا من سبيل المؤمنين ، ولا من طاعة الله ورسوله .
 وإذا كان كذلك ، فمن ألزم^(١) اعتقاده فقد جعله من الإيمان والدين
 وذلك تبديل^(٢) للدين ، كما بدل من بدل من مبتدعة اليهود والنصارى
 ومبتدعة هذه الأمة دين المرسلين . يوضح ذلك :

الوجه الثاني :

أن الله نزه نفسه في كتابه عن النقائص ، تارة بنفيها ، وتارة بإثبات
 أضدادها ، كقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ﴾^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُواً
 أَحَدٌ^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكاً
 فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ ﴾^(٥) وقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ
 لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾^(٦) . . . الآية ، وقوله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
 الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
 وَخَرَفُوا لَهُمْ بَيْنَ وَبَيْنَ ﴾^(٨) إلى قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
 الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٩) وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ
 مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٩) وقوله :

-
- (١) في ط : « التزم » .
 (٢) في س : « بتبديل » .
 (٣) سورة الإخلاص ، الآيات : ٣ ، ٤ .
 (٤) سورة الإسراء ، الآية : ١١١ .
 (٥) سورة الفرقان ، الآية : ١ .
 (٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .
 (٧) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٠ .
 في س ، ط : « بغير علم » .
 (٨) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .
 (٩) سورة المؤمنون ، الآيات : ٩١ - ٩٢ .
 وفي الأصل : « فتعالى الله عما يشركون » .
 وفي ط : « وتعالى عما يشركون » وهو خطأ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)
إلى قوله : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبَكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٣) . . .
الآية ، وقوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ (٤) .
. . الآية ، وما في القرآن من خبره عن نفسه أنه بكل شيء عليم ، وأنه
لا يعزب عنه مثقال ذرة من الأرض ولا في السماء ، وأنه على كل شيء
قدير ، وأنه ما شاء الله (٥) لا قوة إلا بالله ، وأن رحمته وسعت كل شيء ،
وأنه العلي العظيم الأعلى المتعال العظيم الكبير ، وكذلك الأحاديث عن
النبي ﷺ موافقة لكتاب الله ، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح : « إن الله
لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط (٦) ويرفعه ، يرفع إليه عمل
الليل قبل عمل النهار (٧) ، وعمل النهار قبل عمل الليل (٨) ، حجاب النور
أو النار (٩) ، لو (١٠) كشفه لأحرقت سبحات وجهه (١١) ما انتهى إليه

(١) سورة فصلت ، الآية : ٢٠ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٢٣ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .

في س ، ط : لم تذكر « غلت أيديهم » .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٨١ .

(٥) في ط : « ما شاء الله كان » .

(٦) القسط : هو الميزان .

انظر : لسان العرب ٣٧٧/٧ (قسط) .

(٧) في الأصل : « قبل النهار » ، والمثبت من : س ، ط ، وصحيح مسلم .

(٨) في الأصل : « قبل الليل » ، والمثبت من : س ، ط ، وصحيح مسلم .

(٩) صحيح مسلم ١/١٦٢ - كتاب الإيمان - باب ٧٩ ، وفي رواية أبي بكر :
النار .

(١٠) في س ، ط : « ولو » .

(١١) سبحات وجهه : أي : نوره وجلاله وعظمته .

انظر : لسان العرب ٤٧٣/٢ (سبح) .

بصره^(١) من خلقه^(٢) ، وقوله ﷺ - أيضاً - فيما يروي عن ربه « شتمني^(٣) ابن آدم وما ينبغي له ذلك ، وكذبني ابن آدم ، وما ينبغي له ذلك ، فأما شتمه إياي فقله : إني اتخذت ولداً ، وأنا الأحد الصمد ، الذي لم ألد ولم أولد ، وأما تكذيبه إياي فقله : لن يعيدني كما بدأتي ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته^(٤) » ، وقوله في حديث السنن للأعرابي : « ويحك إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، إن عرشه على سمواته و^(٥) قال بيده : مثل القبة ، وإنه ليئط به أطيط^(٦) الرجل الجديد

(١) في الأصل ، س : « ما أدركه بصره » والمثبت من : ط ، وصحيح مسلم ، وابن ماجه ٧٠/١ - المقدمة - الباب رقم ١٣ ، ومسنند الإمام أحمد ٤٠٥/٤ .

وقد ورد في سنن ابن ماجه ٧١/١ ، حديث ١٩٦ ، ومسنند الإمام أحمد ٤٠١/٤ : « ... لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » .

(٢) الحديث في صحيح مسلم ١٦١/١ - ١٦٢ - كتاب الإيمان - باب في قوله - عليه السلام - إن الله لا ينال . عن أبي موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « ... » .

وسنن ابن ماجه ٧٠/١ - ٧١ - المقدمة - الباب رقم ١٣ - الحديث ١٩٥ ، ومسنند الإمام أحمد ٤٠٥/٤ .

(٣) الشتم : هو السب والوصف بما يقتضي النقص .
انظر : لسان العرب ٣١٨/١٢ . (شتم) . وفتح الباري ٩/١٣ - كتاب بدء الخلق .

(٤) الحديث مع اختلاف في الألفاظ رواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب بدء الخلق ٧٣/٤ الباب الأول . وكتاب التفسير - تفسير سورة البقرة ١٤٩/٥ - باب (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه) رقم ٨ . وكتاب التفسير - أيضاً - باب تفسير (قل هو الله أحد) ٩٥/٦ . وانظره في سنن النسائي ٩١/٤ ، كتاب الجنائز - باب أرواح المؤمنين . ومسنند الإمام أحمد ٣١٧/٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٥) في ط : « أو » .

(٦) في س : « أطيل » وهو خطأ .

براكبه»^(١) وقوله في الحديث الصحيح : « أنت الأول فليس^(٢) قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس^(٣) بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء »^(٤) . إلى أمثال ذلك .

- = وأطيط الرجل : هو صوتها من ثقل أحمالها ، وهو كلام تقريب ، أريد به تقرير عظمة الله عز وجل (لسان العرب ٢٥٦/٧ - « أظط ») .
- (١) الحديث مع اختلاف في اللفظ رواه أبو داود في كتاب السنة - باب الرد على الجهمية ٩٤/٥ ، ٩٥ - الحديث رقم ٤٧٢٦ .
- ورواه الدارمي في سننه - كتاب الرقائق - باب في شأن الساعة ، ونزول الرب تبارك وتعالى ٢٣٣/٢ - الحديث رقم ٢٨٠٣ .
- كما أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٩٣ .
- والحديث سنده ضعيف فيه محمد بن إسحاق مدلس (تهذيب التهذيب ٣٨/٩) . يقول محمد ناصر الدين الألباني - عند تخريجه لهذا الحديث في شرح الطحاوية ص ٣١٠ ، ٣١٧ - المكتب الإسلامي : « إنه ضعيف الإسناد ، ولا يصح في أطيط العرش حديث » .
- وقال في تعليقه على هذا الحديث في كتاب السنة لابن أبي عاصم ٢٥٢/١ ، الحديث رقم ٥٧٥ : « وإسناده ضعيف ، ورجاله ثقات لكن ابن إسحاق مدلس ، ومثله لا يحتج به إلا إذا صرح بالتحديث ، وهذا ما لم يفعله فيما وقفت عليه من الطرق إليه .
- (٢) في الأصل : « فلا شيء » والمثبت من س ، ط ، وصحيح مسلم .
- (٣) في الأصل : « فلا شيء » ، والمثبت من س ، ط ، وصحيح مسلم .
- (٤) صحيح مسلم ٢٠٨٤/٤ كتاب الذكر والدعاء .. باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع - الحديث رقم ٢٧١٣ .
- والحديث يروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه : « اللهم رب السموات ورب الأرض ، ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم . . . » .
- وراجعه في سنن الترمذي ٥١٨/٥ - كتاب الدعوات - باب ٦٨ - الحديث رقم ٣٤٨١ .

[وليس في شيء]^(١) من ذلك نفي الجهة والتحيز^(٢) عن الله ،
 ولا وصفه بما يستلزم لزوماً بيناً نفي^(٣) ذلك ، فكيف يصح مع كمال الدين
 وتمامه ، ومع كون الرسول قد بلغ البلاغ المبين أن يكون هذا من الدين
 والإيمان ثم لا يذكره الله ورسوله قط ؟ وكيف يجوز أن يدعى الناس
 ويؤمنون باعتقاد في أصول الدين ليس له أصل عن من^(٤) جاء بالدين ؟
 هل هذا إلا صريح تبديل الدين ؟
 الوجه الثالث^(٥) :

أني^(٦) قد قلت لهم : قائل هذا القول : إن أراد به أن ليس في
 السموات رب ، ولا فوق العرش إله ، وأن محمداً لم يعرج به إلى ربه ،
 وما فوق العالم إلا العدم المحض ، فهذا باطل مخالف لإجماع سلف
 الأمة وأئمتها ، وهذا المعنى هو الذي يعنيه جمهور الجهمية^(٧) من مشايخ
 الممتحنين ونحوهم ، يصرحون به في كلامهم وكتابهم .
 وإن أراد به أن الله لا يحيط به مخلوقاته ، ولا يكون في جوف
 الموجودات فهذا مذكور مصرح به في كلامي ، وإثبات هذا المعنى ، وهو

= وسنن ابن ماجة ١٢٧٤/٢ كتاب الدعاء - باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه
 - الحديث رقم ٣٨٧٣ .

- (١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
- (٢) في الأصل : « الحيز » وهو تصحيف ، والمثبت من : س ، ط .
- (٣) في س : « ينفي » .
- (٤) في س : « غير من » ، وفي ط : « عن » .
- (٥) في هذا الوجه يناقشهم شيخ الإسلام - رحمه الله - باصطلاحهم ، إذ أن مخاطبة
 أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم ليس بمكروه ، إذا احتيج إلى ذلك وكانت
 المعاني صحيحة .
- راجع : درء تعارض العقل والنقل ٤٣/١ .
- (٦) « إنني » : ساقطة من س ، ط .
- (٧) الجهمية : سبق التعريف بهم ص ١٠ ، ٥٦ .

أنه بذاته في الموجودات ليس خارجاً عنها ، هو قول كثير من الجهمية - أيضاً - الذين ينفون أنه على العرش أيضاً ، سواء قالوا^(١) : إنه بذاته في كل مكان ، أو قالوا : إنه هو في^(٢) الموجودات ، كما يقوله الاتحادية^(٣) منهم ، وذلك أن الجهمية الذين ينفون أن يكون الله فوق عرشه ، بائناً من خلقه ، منهم من يقول : [إنه^(٤)] لا داخل العالم ولا خارجه ، ومنهم من يقول : إنه داخل العالم ، ومنهم من يقول : إنه داخله وخارجه ،

- (١) في الأصل : « سواء أن قالوا ... » والكلام يستقيم بالمثبت من : س ، ط .
(٢) « في » : ساقطة من س ، ط .
(٣) الاتحادية : هم القائلون بأن الله متحد بمخلوقاته كاتحاد الماء باللبن ، والنار بالحديد ، فوجود الخالق عين وجود المخلوق .
وحقيقة قولهم : تعطيل الصانع بالكلية ، والقول بقول الدهرية الطبيعية دون الإلهية .
والقائل بهذا غلاة الصوفية والفلاسفة ، كابن عربي ، وابن سبعين ، والتلمساني ، وغيرهم .
انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣/٧٥ ، ٦/١٥٢ - ١٥٤ .
يقول ابن القيم - رحمه الله - : « الاتحادية هم القائلون بوحدة الوجود ، فالله - سبحانه - عندهم هو عين هذا الوجود ، فصفاته هي صفات الله ، وكلامه هو كلام الله ، وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو » .
انظر : مختصر الصواعق المرسله ٢/٢٨٦ ، ٢٨٧ .
يقول محب الدين الخطيب : « ... وهي في الأصل عقيدة برهمية تقوم عليها مؤلفات تاغور ، أحد البراهمة المعاصرين ، ويدعو إليها جميع المنافقين من ملاحدة الشرق والغرب » .
انظر : مختصر منهاج السنة النبوية لابن تيمية - للذهبي . تحقيق محب الدين الخطيب ص ٥٥ ، الحاشية رقم ١ . وسوف يتكلم عليهم الشيخ بشيء من التفصيل في ص ٥٧٣ - ٥٧٥ .
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

متناهيًا أو غير متناه ، جسمًا أو غير جسم ، كما بينا مقالاتهم في غير هذا الموضوع^(١) .

فصارت الجهمية^(٢) الذين ينفون عن الله الجهة والحيز ، مقصودهم أنه ليس فوق العرش رب ، ولا فوق السموات إله ، والجهمية الذين يقولون : إنه في الموجودات يثبتون له الجهة والحيز ، فبينت في الجواب بطلان قول فريق الجهمية النفاة والمثبتة ، فإن نفاة الجهمية لا يعبدون شيئاً ومثبتهم يعبدون كل شيء ، وذكرت هذين القسمين^(٣) ، لأنها هي التي جرت عادة المتكلمين بنفي الجهة والحيز عن الله أنهم يعنونها ، فإن كانوا عنوا معنى آخر كان عليهم بيانه ، إذ اللفظ لا يدل عليه ، وليس لأحد أن يمتحن الناس بلفظ مجمل ، ابتدعه هو من غير بيان لمعناه .

الوجه الرابع :

أنهم طلبوا اعتقاد نفي الجهة والحيز عن الله ، ومعلوم أن الأمر بالاعتقاد لقول من الأقوال إما أن يكون تقليدًا^(٤) للأمر ، أو لأجل الحجة

(١) أشار الشيخ - رحمه الله - إلى رأي الجهمية هذا في كثير من كتبه ، منها كتابه : « بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » ٣١٤/١ ، ٦٠٠ ، تعليق محمد بن قاسم .

(٢) الجهمية : سبق التعريف بهم ص ١١٩ ، ١٧١ .

(٣) أشار الشيخ - رحمه الله - إلى هذين القسمين في مجموع الفتاوى ٣٨/٦ - ٣٩ ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم .

(٤) التقليد في اللغة : وضع الشيء في العنق مع الإحاطة به ، ويسمى ذلك قلادة والجمع قلائد .

وفي عرف الفقهاء : قبول قول الغير من غير حجة ... فلا يسمى الأخذ بقول الرسول ﷺ والإجماع تقليدًا ، لأن ذلك هو الحجة في نفسه .
قال ابن قدامة : قال أبو الخطاب : العلوم على ضربين : منها ما لا يسوغ التقليد فيه ، وهو معرفة الله ووجدانيته وصحة الرسالة ونحو ذلك .. وأما التقليد في الفروع فجائز إجماعاً .

والدليل ، فإن كانوا أمروا بأن يعتقد هذا تقليداً لهم ، ولمن قال ذلك ، فهذا باطل بإجماع المسلمين منهم ومن غيرهم ، وهم يسلمون أنه لا يجب التقليد في مثل ذلك لغير الرسول ، لا سيما وعندهم هذا القول لم يعلم بأدلة الكتاب والسنة والإجماع ، وإنما علم بالأدلة العقلية ، والعقليات لا يجب التقليد فيها بالإجماع^(١) ، وإن كان الأمر بهذا الاعتقاد لقيام الحجة عليه ، فهم لم يذكروا حجة لا مجملة ولا مفصلة ، ولا أحوالها عليها ، بل هم يفرون من المناظرة والمحاجة بخطاب أو كتاب ، فقد ثبت أن أمرهم لهذا الاعتقاد حرام باطل على التقديرين بإجماع المسلمين ، وأن فعل ذلك من أفعال الأمة المضلين ، وأنه أمر للناس^(٢) أن يقولوا على الله ما لا يعلمون .

الوجه الخامس :

أن الناس تنازعوا في جواز التقليد في مسائل أصول الدين ، لمن يجوز تقليده في الدين من أئمة المسلمين المتبعين فيما يقولونه لما ثبت عن المرسلين ، كما يقلد مثل هؤلاء في فروع الدين .

فأما التقليد في الأمور التي يقولون : إنها عقليات وإنها معلومة بالعقل يحتاج فيها إلى تأويل السمع ، وإنها من أصول الدين ، فما نعلم أحداً جوز التقليد في مثل ذلك ، بل الناس فيها قسمان : منهم من ينكرها على أصحابها ويبين أنها جهليات لا عقليات ، ومنهم من يقول بل

= انظر : « روضة الناظر ، وجنة المناظر » لابن قدامة ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .
 و« الإحكام في أصول الأحكام » للآمدي ٢٢١/٤ .
 (١) التقليد الباطل المذموم الذي حرمه الله ورسوله واتفق المسلمون على تحريمه أشار إليه الشيخ - رحمه الله - في مجموع الفتاوى ١٩/٢٦٠ - ٢٦٢ ، ١٥/٢٠ - ١٨ .
 (٢) في الأصل ، س : « الناس » والمثبت من ط ، وهو ما يستقيم به الكلام .

[من]^(١) نظر في أدلتها العقلية علم صحتها .

فأما أن يقول قائل : إن هذه الأمور التي تنازعت فيها الأمة ، وادعى كل فريق أن الحق معهم ، إني أقلد من يدعي أن قوله معلوم بالعقل قبل أن أعلم صحة ما يقوله بالعقل ، فهذا لا يقوله عاقل ، فإن العقل لا يرجح في موارد النزاع قولاً على قول ، وقائلاً على قائل إلا بموجب .

أما مجرد التقليد لأحد القائلين بغير حجة ، فلا يسوغ في عقل ولا دين ، وإذا كان كذلك لم يكن لهم أن يسوغوا لأحد أن يقول هذا القول حتى يعلمه بأدلتها العقلية ، فكيف وقد أوجبوا اعتقاده إيجاباً مجرداً لم يذكروا عليه دليلاً أصلاً ؟ وهل هذا إلا في غاية المناقضة والتبديل للعقل والدين ؟ فإن من أباح المحرمات من الأفعال كان خارجاً عن الشريعة ، فكيف بمن أوجبها وعاقب عليها ؟ وكيف^(٢) إذا كان ذلك من الاعتقادات التي هي أعظم من الأفعال ؟

الوجه السادس :

أنه لو فرض جواز التقليد أو وجوبه في مثل هذا ، لكان لمن يسوغ تقليده في الدين كالأئمة المشهورين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، وهذا القول لم يقله أحد ممن يسوغ للمسلمين تقليده في فروع دينهم ، فكيف يقلدونه [في]^(٣) أصول دينهم التي هي أعظم من فروع الدين ، فإن هذا القول^(٤) وإن قاله طائفة من المنتسبين إلى مذاهب الأئمة الأربعة ، فليس من قائله من هو من أئمة ذلك المذهب الذين لهم قول متبوع بين أئمة ذلك المذهب ، فإن أصحاب الوجوه من أصحاب

(١) « من » : زيادة من : س ، ط .

(٢) في جميع النسخ : « فكيف » ، ولعل ما أثبت هو المناسب .

(٣) « في » : زيادة أثبتتها لاقتضاء السياق لها .

(٤) في الأصل : « لا القول » ، وهو تصحيف ، والمثبت من : س ، ط .

الشافعي^(١) ، كأبي العباس بن سريج^(٢) ، وأبي علي بن أبي هريرة^(٣) ،
وأبي سعيد الإصطخري^(٤) ، وأبي علي بن خيران^(٥) ، والشيخ أبي حامد
الإسفراييني^(٦) ونحو هؤلاء ليس فيهم من يقول هذا القول ، بل المحفوظ

- (١) الشافعي : تقدمت ترجمته ص ١٣٤ .
(٢) في الأصل ، س : « سريج » وهو خطأ .
وهو : أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي ، الإمام
المشهور أحد أصحاب الشافعي ، وناشر مذهبه ومبسطه ، له مؤلفات منها :
« الأقسام والخصال في فروع الفقه الشافعي » ، ولد سنة ٢٢٩ هـ ، وتوفي سنة
٣٠٦ .
راجع : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ٢٨٧/٤ . وتهذيب الأسماء
واللغات - للنووي ٢/٢٥١ - ٢٥٢ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان ١/٦٦ -
٦٧ .
(٣) هو : أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي ، شرح مختصر
المزني ، وله مسائل في الفروع ، كان أحد شيوخ الشافعيين ، توفي سنة ٣٤٥
راجع : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي ٧/٢٩٨ - ٢٩٩ . ووفيات الأعيان
- لابن خلكان ٢/٧٥ .
(٤) هو : الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى الإصطخري الشافعي ، فقيه ، تولى
القضاء بقم ، وتولى الحسبة ببغداد ، له كتاب الأفضية ، ولد سنة ٢٤٤ وتوفي
سنة ٣٢٨ هـ .
راجع : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي ٧/٢٦٨ - ٢٧٠ . وتهذيب الأسماء
واللغات للنووي ٢/٢٣٧ - ٢٣٩ . ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٧٤ - ٧٥ .
(٥) هو : أبو علي الحسين بن صالح بن خيران ، الفقيه الشافعي ، كان من جلة
الفقهاء المتورعين وأفاضل الشيوخ ، عرض عليه القضاء ببغداد في خلافة المقتدر
فلم يفعل ، توفي سنة ٣٢٠ هـ .
راجع : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ٨/٥٣ - ٥٤ . ووفيات الأعيان
- لابن خلكان ٢/١٣٣ - ١٣٤ . وطبقات الشافعية - للسبكي ٣/٢٧١ - ٢٧٤ .
(٦) هو : أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني ، الفقيه
الشافعي ، انتهت إليه الرئاسة ببغداد ، علق على مختصر المزني ، وله في
المذهب الشافعي : « التعليقة الكبرى » ولد سنة ٣٤٤ ، وتوفي سنة ٤٠٦ هـ .

عمن حفظ عنه كلام في هذا ضد هذا القول ، وغايته^(١) أن يحكي عن مثل أبي المعالي الجويني^(٢) ، وهو أجل من يحكي عنه ذلك من المتأخرين ، وأبو المعالي ليس له وجه في المذهب ، ولا يجوز تقليده في شيء من فروع الدين عند أصحاب الشافعي^(٣) ، فكيف يجوز أو يجب تقليده في أصول الدين ؟ وهذا هو الذكي اللوذعي^(٤) ، وكتابه^(٥) في المذهب هو

= راجع : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ٣٦٨/٤ - ٣٧٠ . وتهذيب الأسماء واللغات - للنووي ٢٠٨/٢ - ٢١٠ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان ٧٢/١ - ٧٤ . وطبقات الشافعية - للسبكي ٦١/٤ - ٧٤ .

(١) في الأصل : « وعينه » ، والمثبت من : س ، ط .

(٢) في الأصل : « أبو المعالي الجويني » . وهو خطأ .

هو : أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني - نسبة إلى « جوين » قرية من قرى نيسابور - الشافعي الأشعري ، الملقب بإمام الحرمين ، لمجاورته بمكة أربع سنين ، رحل إلى بغداد ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك « المدرسة النظامية » وتولى بها الخطابة والتدريس ، ولد سنة ٤١٩ هـ ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ ، وله مؤلفات منها : « العقيدة النظامية » ط ، و« الشامل في أصول الدين » ط ، و« الإرشاد » .

راجع : تبیین كذب المفتري - لابن عساكر ٢٧٨ - ٢٨٥ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان ١٦٧/٣ - ١٧٠ . وطبقات الشافعية - للسبكي ١٦٥/٥ . فما بعدها . والبدایة والنهاية - لابن كثير ١٣٨/١٢ .

(٣) الشافعي : تقدمت ترجمته ص ١٣٤ .

(٤) هو : الخفيف الذكي ، الظريف الذهن ، الحديد الفؤاد ، واللسان الفصيح ، كأنه يلذع بالنار من ذكائه .

راجع : تاج العروس - للزبيدي - ٤٩٩/٥ (لذع) .

(٥) لعله « نهاية المطلب في دراية - أو رواية - المذهب » .

وهو كتاب ما صنف مثله في المذهب في رأي ابن خلكان (وفیات الأعيان ١٦٨/٣) وابن العماد الحنبلي (شذرات الذهب ٣/٣٥٩) ، وهو اثنا عشر مجلداً في الفقه الشافعي - خ - جمعه بمكة وأتمه بنيسابور ، واختصره أبو سعد عبد الله بن محمد اليميني ، المعروف بابن أبي عصرون - المتوفى سنة ٥٨٥ هـ ، وسماه « صفوة المذهب من نهاية المطلب » وهو سبع مجلدات .

الذي رفع قدره ، وفخم أمره ، فإذا لم يجز تقليده فيما ارتفع به قدره ، وعظم به أمره عند الأصحاب ، فكيف يقلد في الأمر الذي كثر فيه الاضطراب ، وأقر عند موته بالرجوع عنه وتاب^(١) ؟ وهجره على بعض مسأله^(٢) ، مثل أبي القاسم

= راجع : الأعلام - للزركلي ٣٠٦/٤ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة ١٩٩٠/٢ .

(١) ذكر ابن الجوزي : أن الحافظ أبا جعفر قال : سمعت أبا المعالي يقول : « ركبت البحر الخضم ، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنه ، كل ذلك في طلب الحق ، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد ، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز ، فإن لم يدركني الحق بلطف بره ، وإلا فالويل لابن الجويني » . راجع : المنتظم ١٩/٩ .
وقد ذكر هذا الخبر : الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٧٠/١٨ - ٤٧١ . والسبكي في طبقاته ١٨٥/٥ .

وإقرار الجويني بهذا عند موته ، يدل على أن المنهج الحق هو ما استمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان من أهل العلم والعرفان ، وأن الاشتغال بالكلام تكون نهايته الضياع .
(٢) كمسألة : « إن الله يعلم الكلليات لا الجزئيات » .

وقد أشار إلى هذه المسألة ابن الجوزي ، وتعجب من هذه المقالة ، ونقل عن ابن عقيل أنها في غاية الضلالة .
راجع : المنتظم ١٩/٩ .

وقال المازري : « وددت لو محوتها بدمي » وقيل : لم يقل بهذه المسألة تصريحاً ، بل ألزم بها ، لأنه قال بمسألة الاسترسال فيما ليس بمتناه من نعيم أهل الجنة ، فالله أعلم .
راجع : شرح البرهان .

يقول الذهبي - بعد ذكره لما تقدم : « هذه هفوة اعتزال هجر أبو المعالي عليها ، وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه ، ونفي بسببها فجاور وتعبد وتاب - والله الحمد - منها كما أنه في الآخر رجح مذهب السلف في الصفات وأقره .
راجع : سير أعلام النبلاء ٤٧٢/١٨ .

وذكر هذه المسألة : السبكي ، لكن في معرض الإنكار والتكذيب .

القشيري^(١) ، وغيره من الأصحاب ، وإذا كان هذا حال من يقلد إمام الحرمين الأستاذ^(٢) المطاع ، فكيف بمن يقلد من هو دونه بلا نزاع ، وذلك لأن التقليد في الفروع ، دع^(٣) الأصول ، إنما يكون لمن كان عالماً بمدارك الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع ، وأبو المعالي^(٤) لم يكن من هذا الصنف ، فإنه كان قليل^(٥) المعرفة بالكتاب والسنة ، وعامة ما يعتمد عليه في الشريعة الإجماع في المسائل القطعية والقياس ، والتقليد^(٦) في المسائل الظنية ، وكذلك هو في مسائل أصول الدين ،

= راجع : طبقات الشافعية ١٨٨/٥ - فما بعدها .

(١) هو : أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري النيسابوري ، الفقيه الشافعي ، والإمام القدوة ، صاحب « الرسالة القشيرية » في الكلام على رجال الطريقة ، له « التفسير الكبير » الذي قال عنه الذهبي : « هو من أجود التفاسير » ولد سنة ٣٧٥ وتوفي سنة ٤٦٥ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ٨٣/١١ . وتبين كذب المفتري - لابن عساكر - ص ٢٧١ - ٢٧٦ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان ٢٠٥/٣ - ٢٠٨ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي ٢٢٧/١٨ - ٢٣٣ .

(٢) في الأصل ، س : « للأستاذ » ، والمثبت من : س ، ط .

(٣) في ط : « دون » .

(٤) في الأصل : « أبو العالي » وهو خطأ ، والمثبت من : س ، ط .

أبو المعالي : تقدمت ترجمته ص ١٩٨ .

(٥) يقول ياقوت الحموي ، بعد ذكره لأبي المعالي : « ... وكان قليل الرواية معرضاً عن الحديث ... » .

راجع : معجم البلدان ١٩٣/٢ .

وقال الذهبي : « كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته ، لا يدري الحديث كما يليق به ، لا متناً ولا سنداً ... » .

راجع : سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٨ .

(٦) في س ، ط : « أو التقليد » .

غالب أمره ، الدوران بين الإجماع السمعي القطعي والقياس العقلي الذي يعتمد^(١) أنه قطعي .

[فإنه في الفروع على]^(٢) مذهب الشافعي^(٣) ، وبالاخلاف المنسوب مع أبي حنيفة^(٤) ، وأما بالأصول فبالدلائل والمسائل المذكورة في كتب المعتزلة^(٥)

- (١) في س : « يعتقد » .
- (٢) ما بين المعقوفتين بياض في جميع النسخ ، ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .
- (٣) الشافعي : سبقت ترجمته ص ١٣٤ .
- (٤) أبو حنيفة : سبقت ترجمته ص ١٥٥ .
- (٥) المعتزلة : فرقة من أشهر الفرق الإسلامية ، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية .

وقد اختلف في سبب تسميتهم بالمعتزلة ، لكن أشهر ما قيل : إن الحسن البصري سئل عن مرتكب الكبيرة - وكان في مجلسه واصل بن عطاء - ففكر الحسن ، وقبل أن يجيب قال واصل : أنا لا أقول : إن صاحب الكبيرة مؤمن ولا كافر ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن :

« اعتزل عنا واصل » فسمي هو وأصحابه معتزلة .
والمعتزلة فرق متعددة يجمعها القول بخمسة أصول هي :
التوحيد ، والعدل ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذه الأصول هي ملجؤهم ، وأصل مذهبهم ، يوالون عليها ويعادون . وقد ظهر الاعتزال في البصرة ثم امتد من هناك إلى بغداد ، ولذا فهم فرعان : فرع البصرة ، وفرع بغداد ، وبينهما اختلاف كثير في عدد من المسائل .
انظر عن المعتزلة وفرقها ، وما اتفقت عليه من أصول ، وما اختلفت فيه من فروع : - طبقات المعتزلة - باب ذكر المعتزلة من مقالات الإسلاميين لأبي القاسم البلخي ص ٥٩ - ١١٥ . - طبقات المعتزلة - فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ص ١٢٥ - ١٩٩ . - شرح الأصول الخمسة ، والمغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار . - مقالات الإسلاميين للأشعري =

والأشعرية^(١) . هذا وهو أجل من يقرون به من المناظرين ، وعمدة من يسلك سبيله من المتأخرين^(٢) ، فكيف بمن لم يبلغ شأوه^(٣) في العلم والذكاء ومقاومة الخصوم الفضلاء .

وأما من تكلم في ذلك من فقهاء المالكية المتأخرين كالباجي^(٤) ،

= ٢٣٥/١ - ٢٤٩ ، ٢٩٨/٢ - ٣٣٨ . التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص ٣٥ - ٤٣ . الملل والنحل للشهرستاني ١/٤٣ - ٨٥ . التبصير في الدين للإسفرائيني ص ٦٣ - ٩٥ . مذاهب الإسلاميين - لعبد الرحمن بدوي ١/٣٧ فما بعدها . - ضحى الإسلام - لأحمد أمين ٣/٢١ فما بعدها .

(١) الأشعرية : هم أتباع أبو الحسن الأشعري ، وقد تقدمت ترجمته ص ١٦٩ الواردة في إثباتها - أبي الحسن الأشعري صرح في كتابه (الإبانة) - آخر مصنف له - رجوعه عن معتقده واتباعه للإمام أحمد - رحمه الله - إلا أن أتباعه - على معتقده السابق - يحاولون - عبثاً - التشكيك في نسبة هذا الكتاب إليه ، لما يتضمنه من أصول العقيدة السلفية التي كان عليها - رحمه الله - .

يقول الدكتور صالح الفوزان - في تقديمه لهذا الكتاب ، وإشارته إلى أنه كتاب نفيس يتضمن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة : « وفي ذلك رد على الذين ينتسبون إلى هذا الإمام ، وهم يخالفونه في هذه العقيدة ، ويستمرون مع الفرق المخالفة ، فتبين بذلك أن انتسابهم إليه غير صحيح - بل هو ظلم له وكذب عليه » .

الإبانة - لأبي الحسن الأشعري - تحقيق د . صالح الفوزان ص ٣ ، ١٥ . وانظر : تبين كذب المفتري - لابن عساكر - ص ١٥٢ . مذاهب الإسلاميين - تأليف : د . عبد الرحمن بدوي - ١/٤٨٧ - ٥٦٤ ، ٥٩٢ - ٦٣٢ ، ٦٧٥ - ٦٧٨ ، ٦٩٩ - ٧٤٨ . والأشعري : د . حمودة غرابية - ص ٦٠ - ٢٠٠ . ونشأة الأشعرية وتطورها - د . جلال موسى - ص ١٦٣ فما بعدها .

(٢) في ط : « المتأخرين » .

(٣) في الأصل : « ثناؤه » ، وأثبت ما رأيت الصواب من : س ، ط . والشأو : الغاية والأمل .

(٤) في الأصل : « الناجي » وهو خطأ .

هو : أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد التجيبي القرطبي الباجي الفقيه المالكي من رجال الحديث ، له تصانيف كثيرة منها : « المنتقى » في الفقه ، =

وأبي بكر بن العربي^(١) ، ونحوهما ، فإنهم في ذلك يقلدون لمن أخذوا ذلك عنه من أهل المشرق المتكلمين معترفين^(٢) بأنهم لهم من التلامذة المتبعين ، ليس في كلام أحد من هؤلاء استيفاء الحجة في هذا الباب من الطرفين ، ولا النهوض بأعباء هذا الحمل الذي يحتاج إلى فصل الخطاب في القولين المتعارضين^(٣) .

وأما أئمة المالكية الذين إليهم المرجع في الدين ، كابن القاسم^(٤) ، وابن وهب^(٥) ، وأشهب^(٦) ،

= وكتاب « التسديد إلى معرفة التوحيد » وغيرهما ، ولد سنة ٤٠٣ هـ وتوفي سنة ٤٧٤ هـ .

راجع : تبين كذب المفتري - لابن عساكر ٦/٢٥٠ - ٢٥٢ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي ٣/١١٧٨ - ١١٨٣ . والوافي بالوفيات - للصفدي ١٥/٣٧٢ - ٣٧٤ .
(١) في الأصل : « ابن الفرس » وهو خطأ .

هو : أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي المالكي المعروف بابن العربي ، الفقيه الحافظ القاضي ، صنف كتباً في مختلف الفنون منها : « عارضة الأحوذ في شرح الترمذي » و« العواصم من القواصم » مطبوعان وغيرهما ، ولد سنة ٤٦٨ هـ وتوفي سنة ٥٤٣ هـ .

راجع : وفيات الأعيان - لابن خلكان ٤/٢٩٦ - ٢٩٧ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي ٤/١٢٩٤ - ١٢٩٨ . والوافي بالوفيات - للصفدي ٣/٣٣٠ .
(٢) في س : « معترفون » . وفي ط : « ومعترفون » .

(٣) في الأصل : « المتفاوضين » وأثبت ما رأته الصواب من : س ، ط .
(٤) هو : أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة ، مولى زبيد بن الحارث العتقي ، روى الموطأ عن مالك رواية صحيحة قليلة الخطأ ، وكان فقيهاً ورجلاً صالحاً ، انتقل إلى المدينة وسمع بها دروس الإمام مالك عشرين عاماً ، وهو شيخ لسحنون . ولد بمصر سنة ١٢٨ هـ وتوفي فيها سنة ١٩١ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢/٢٧٩ . والانتقاء - لابن عبد البر ص ٥٠ - ٥١ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي ٣٥٦ - ٣٥٧ .
(٥) ابن وهب : تقدمت ترجمته ص ١٣٦ .

(٦) هو : أبو عمر أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي ثم الجعدي ، من =

وسحنون^(١) ، وابنه^(٢) ، وعبد الملك بن حبيب^(٣) ، وابن وضاح^(٤) ،

= أصحاب مالك ، وكان ثقة فيما يروى عنه ، كان تلميذاً لابن وهب ، ولد سنة ١٤٥ هـ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ .

راجع : الانتقاء - لابن عبد البر ص ٥١ - ٥٢ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان ٢٣٨/١ - ٢٣٩ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ٣٥٩/١ - ٣٦٢ .

(١) هو : أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون الفقيه المالكي ، لايهاب سلطاناً في حق يقوله ، انتهت الرئاسة في العلم إليه في المغرب ، صنف كتاب « المدونة » في مذهب الإمام مالك ، ولد بالقيروان سنة ١٦٠ هـ ، وتوفي بها سنة ٢٤٠ هـ .

راجع : وفيات الأعيان - لابن خلكان ١٨٠/٣ - ١٨٢ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي ٦٣/١٢ - ٦٩ . وشذرات الذهب - لابن العماد ٩٤/٢ .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي ، فقيه المغرب تفقه على والده سحنون ، كان محدثاً بصيراً بالأثار ، وخبيراً بمذهب الإمام مالك ، له مصنفات منها : « السير » و« التاريخ » ، ولد سنة ٢٠٢ هـ بالقيروان ، وتوفي سنة ٢٦٥ هـ .

راجع : سير أعلام النبلاء - للذهبي ٦٠/١٣ - ٦٣ . والوافي بالوفيات - للصفدي ٨٦/٣ . ولسان الميزان - لابن حجر ٢٥٩/٥ . وشذرات الذهب - لابن العماد ١٥٠/٢ .

(٣) هو : أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي القرطبي ، الفقيه المالكي عالم الأندلس ، كان رأساً في المذهب المالكي . له تصانيف كثيرة منها : « تفسير موطأ مالك » و« الواضحة » في السنن والفقهاء ، ولد سنة ١٧٤ هـ وتوفي سنة ٢٣٨ هـ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي ٥٣٧/٢ - ٥٣٨ . ولسان الميزان - لابن حجر ٥٩/٤ - ٦٠ . وشذرات الذهب - لابن العماد ٩٠/٢ .

(٤) هو : أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع القرطبي ، محدث الأندلس مع بقي بن مخلد ، وأخذ عن أصحاب مالك والليث ، رحل إلى المشرق مرتين طلباً للمعرفة . له كتاب فيه « ما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى » - خ . ولد بقرطبة سنة ١٩٩ هـ ، وتوفي سنة ٢٨٦ هـ .

راجع : ميزان الاعتدال - للذهبي ٥٩/٤ . ولسان الميزان - لابن حجر ٤١٦/٥ - ٤١٧ . وشذرات الذهب - لابن العماد ١٩٤/٢ . والأعلام - للزركلي =

وغيرهم ، فهم براء من هذا النفي والتكذيب ، ولهم في الإثبات من الأقوال ما يعرفها العالم اللبيب .

الوجه السابع :

أن هذا القول لو فرض أنه حق معلوم بالعقل لم يجب اعتقاده بمجرد ذلك ، إذ وجوب اعتقاد شيء معين لا يثبت إلا بالشرع بلا نزاع .

وأما^(١) المنازعون فهم يسلمون أن الوجوب كله لا يثبت إلا بالشرع ، وأن العقل لا يوجب شيئاً ، وإن عرفه .

وأما من يقول : إن الوجوب قد^(٢) يعلم بالعقل ، فهو يقول ذلك فيما يعلم وجوبه بضرورة العقل أو نظره ، واعتقاد كلام معين من تفاصيل مسائل الصفات لا يعلم وجوبه^(٣) بضرورة العقل ولا بنظره ، ولهذا اتفق عامة أئمة الإسلام على أن من مات مؤمناً بما جاء به الرسول ، [و]^(٤) لم يخطر على قلبه^(٥) هذا النفي المعين ، لم يكن مستحقاً للعذاب ، ولو كان واجباً لكان تركه سبباً لاستحقاق العذاب ، وإن فرض أن بعض غالية الجهمية من المعتزلة ونحوهم ، يزعم أن معرفة هذا النفي من الواجبات أو من أجلها ، وأن من لم يعتقد من الخاصة والعامة كان مستحقاً للعذاب ، أو فرض أن بعض الناس يقول : إن هذا الاعتقاد يجب على الخاصة دون العامة ، فنحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساد القول بإيجاب هذا ، لأننا نعلم بالاضطرار أن النبي ﷺ ، والصحابة والتابعين ، وسائر

= ٣٥٨/٧ .

- (١) في س ، ط : « أما » .
- (٢) في الأصل : « إذا » . وأثبت ما رأيته مناسباً للكلام من : س ، ط .
- (٣) في الأصل : « بوجوبه » ولعل ما أثبت من : س ، ط ، هو المناسب للسياق .
- (٤) ما بين المعقوفتين زيادة أثبتها لتوضح المعنى .
- (٥) في س ، ط : « بقلبه » .

أئمة المسلمين ، لم يوجبوا اعتقاد هذا النفي لا على الخاصة ، ولا على العامة ، وليس وجوب هذا من الحوادث التي تجددت ، فإن وجوب هذا الاعتقاد على الأولين والآخرين سواء [لوجوب]^(١) اعتقاد أنه^(٢) لا إله إلا الله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور^(٣) .

وإذا كان معلوماً^(٤) بالاضطرار عدم إيجاب الشارع لهذا الاعتقاد ، كان دعوى وجوبه بالعقل مردوداً ، فإن الشارع أقر الواجبات العقلية ، وأوجبها ، كما أوجب الصدق والعدل ، وحرّم الكذب والظلم ، وإذا كان وجوب هذا القول منتفياً ، لم يكن لأحد أن يوجهه على الناس ، فضلاً عن أن يعاقب تاركه ، ويجعل^(٥) محنة ، من وافقه عليه والاه ، و [من]^(٦) خالفه فيه عاداه^(٧) ، وهذا المسلك هو أحد ما سلكه العلماء^(٨) في الرد

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٢) « أنه » ساقطة من : س .

(٣) بعد كلمة « القبور » بياض في : س ، ط ، بقدر كلمة ، ولعله نهاية كلام وبداية آخر .

(٤) في الأصل ، س : « معلوم » . وأثبت ما رأيت الصواب من : ط .

(٥) في س ، ط : « يجعله » .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٧) في الأصل : « وعاداه » ، وأثبت ما رأيت الصواب من : س ، ط .

(٨) مثل الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - عندما امتحن بالقول بخلق القرآن في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ، وما أصابه من الحبس الطويل ، والضرب الشديد ، والتهديد بالقتل وسوء العذاب وأليم العقاب ، بإيعاز من جلساء السوء كابن أبي دؤاد وإسحاق بن إبراهيم نائب بغداد وغيرهما ، وقد صبر - رحمه الله - على ذلك وأصر على القول « بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق » المستمد من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، كما أوضحت ذلك مفصلاً أثناء الدراسة لهذه المسألة عند الكلام على فتنة القول بخلق القرآن . وكالإمام أحمد بن نصر الخزاعي ، والذي امتحن بالقول بخلق القرآن في خلافة الواثق ، وأصر على القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، فقتله =

على الجهمية الممتحنين للناس ، كابن أبي دؤاد^(١) وأمثاله ، لما^(٢) ناظرهم من ناظرهم قدام الخلفاء ، كالمعتصم^(٣) ، والواثق^(٤) ، فإنهم بينوا لهم أن القول الذي أوجبه على الناس ، وعاقبوا تاركه ، وهو القول بخلق القرآن لم يقله النبي ﷺ ولا أحد من خلفائه ، وأصحابه ، ولا أئمة المسلمين وعامتهم ، ولا أمروا به ، ولا عاقبوا عليه ، ولو كان من الدين الذي يجب دعاء الخلق إليه وعقوبة تاركه ، لم يجز إهمالهم لذلك ، وإن القائل^(٥) لهذا القول ، لو فرض أنه مصيب ، لم يكن له أن يوجب على

= ضرباً بالسيف - رحمه الله - بعد تحريض من القاضي أحمد بن دؤاد الجهمي سنة ٢٣١ هـ ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، ولقد ذكره الإمام أحمد - رحمه الله - يوماً فقال : « ما كان أسخاه بنفسه لله ، لقد جاد بنفسه له » .

راجع : تاريخ الطبري ٦٣٧/٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٤ ، ١٣٥/٩ - ١٣٩ . ومناقب الإمام أحمد - لابن الجوزي ص ٣٨٥ فما بعدها . والبداية والنهاية - لابن كثير ١٠/٣٤٤ - ٣٤٦ ، ٣٧٤ - ٣٨١ . وتاريخ بغداد - للخطيب البغدادي ١٧٦/٥ - ١٨٠ .

(١) في جميع النسخ : « ابن أبي داود » . وما أثبت هو الصواب ، وقد تقدمت ترجمته ص ١٨١

(٢) في الأصل : « بما » وأثبت من : س ، ط ، المناسب لفهم المعنى .

(٣) المعتصم : تقدمت ترجمته ص ١٨١ .

(٤) هو : أبو جعفر الخليفة هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي ، هلك بعلّة الاستسقاء سنة ٢٣٢ هـ وكان ممن أساء إلى أهل السنة - هو وأبوه المعتصم وعمه المأمون - وقرب أهل البدعة والضلال من المعتزلة وغيرهم ، وامتحن الناس في خلق القرآن وكانت ولادته ببغداد سنة ١٩٦ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ١٥/١٤ - ٢١ . والكامل لابن الأثير ٧/٢٩ - ٣١ . والبداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢٤٧ ، ٢٤٩ . وشذرات الذهب - لابن العماد ٢/٧٥ - ٧٧ .

(٥) في الأصل : « القول » وقد أثبت ما يستقيم به المعنى من : س ، ط .

الناس ويعاقبهم على ترك كل قول يعتقد أنه صواب ، وهذا ما اتفق عليه المسلمون ، وذلك يتضح بـ :

الوجه الثامن :

وهو أن الاعتقاد الذي يجب على المؤمنين خاصتهم وعامتهم ويعاقب تاركوه ، هو ما بينه النبي ﷺ ، فأخبر به وأمر بالإيمان به ، إذ أصول الإيمان التي يجب اعتقادها على المكلفين ، وتكون فارقة بين أهل الجنة والنار ، والسعداء والأشقياء ، هي من أعظم ما يجب على الرسول بيانه وتبليغه ، ليس حكم هذه كحكم الآحاد^(١) الحوادث التي لم تحدث في زمانه ، حتى شاع الكلام فيها باجتهاد الرأي ، إذ الاعتقاد في أصول الدين للأمر الخبرية الثابتة التي (لا تتجدد)^(٢) أحكامها مثل أسماء الله وصفاته نفيًا وإثباتًا ليست مما يحدث سبب العلم به ، أو سبب وجوبه ، بل^(٣) العلم بها ووجوب ذلك مما يشترك فيه الأولون والآخرون ، والأولون أحق بذلك من الآخرين ، لقربهم من ينبوع الهدى ومشكاة النور الإلهي ، فإن أحق الناس بالهدى هم الذين باشرهم الرسول بالخطاب من خواص أصحابه وعامتهم ، وهذه العقائد الأصولية من أعظم الهدى ، فهم بها أحق .

فإذا كان وجوب ذلك منتفياً فيما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وفيما اتفق عليه سلف الأمة ، كان عدم وجوبه معلوماً^(٤) علماً يقينياً^(٥) ، وكان غايته أن يكون مما يقال باجتهاد الرأي ، وحينئذ فنقول : إن هذه

(١) في الأصل أحاديث والمثبت من س ، ط .

(٢) في الأصل : « لم تتجدد » ، وقد أثبت ما رأيته مناسباً للمعنى من : س ، ط .

(٣) في س : « هل » .

(٤) في ط : « معلوم » .

(٥) في ط : « يقينياً » .

الأقوال التي تسمى العقليات غايتها أن (يجهد) ^(١) فيها ^(٢) أصحابها عقولهم وآراءهم ^(٣) .

والقول باجتهاد الرأي ، وإن اعتقد صاحبه أنه عقلي ، مقطوع به لا يحتمل النقيض ، فإنه قد يكون غير مقطوع به ، وإن اعتقد هو أنه مقطوع به ، فإن هذا من أكثر ما يوجد بينهم من أقوال يقول أصحابها : إنه مقطوع بها في العقل ، وتكون بخلاف ذلك ، حتى إن الواحد منهم هو الذي يقول في القول : إنه مقطوع به ، ويقول فيه تارة أخرى : إنه باطل . وإذا لم يكن مقطوعاً به ، فقد يكون مزنوناً غير معلوم الصحة والفساد ، وقد يكون خطأ معلوم الفساد أو مزنونه ، وقد يكون مشكوكاً فيه .

فعامة هذه الأقوال المتنازع فيها التي يقول قائلها : إنها مقطوع بها تعتورها ^(٤) هذه الاحتمالات : عدم ^(٥) القطع بها ، بل ظنها والشك فيها وظن نقيضها ، والقطع بنقيضها ، ثم غاية ما يقدر أن يكون ^(٦) صواباً معلوماً أنها صواب عند صاحبها ، فليس كل ما كان كذلك يجب على جميع المسلمين ^(٧) اعتقاده ، إذ ^(٨) طرق العلم بذلك قد تكون خفية مشتبهة ، فلا يجب التكليف بموجبها لجميع المؤمنين ، ولو كانت عقلية ^(٩) ظاهرة معلومة بأدنى نظر ، لم يجب في كل ما كان كذلك أن

(١) في الأصل ، س : « يجتهد » ، وقد أثبت ما رأيت الصواب من : ط .

(٢) في س : « منها » .

(٣) في ط : « وآرائهم » .

(٤) في الأصل : « تواترها » ، وأثبت ما رأيت الصواب من : س ، ط . والمعنى : تتداولها .

(٥) في ط : « وعدم » .

(٦) في س ، ط : « أن يكون » .

(٧) في س ، ط : « المؤمنين » .

(٨) في الأصل : « إذا » ، وأثبت المناسب من : س ، ط .

(٩) في س : « عقيله » وهو خطأ .

يكون اعتقاده واجباً على كل المؤمنين ، مثل كثير من مسائل الطب^(١) والهيئة وغير ذلك ، فهذه ثلاث مقدمات عظيمة :

أحدها : أنه ليس ما اعتقد قائله : أنه حق مقطوع به معلوم بالعقل أو بالشرع يكون كذلك .

والثانية : أنه ليس ما علم الواحد أنه حق مقطوع به عنده ، يجب اعتقاده على جميع الناس .

الثالثة^(٢) : أنه ليس ما كان معلوماً مقطوعاً به بأدنى نظر يجب اعتقاده ، وإذا كان كذلك فغاية ما يبين من يوجب هذه المقالات أنها حق مقطوع به عقلي معلوم بأدنى نظر ، وإذا كان مع هذا لا يجب اعتقاد ذلك على المكلفين حتى يعلم وجوب ذلك بالأدلة الشرعية التي يعلم بها الوجوب ، لم يكن له أن يوجب على الناس هذا الاعتقاد ، ويعاقب تاركه حتى يبين أن الشارع أوجب ذلك على الناس على هذا الوجه ، وهذا مما لم يذكره ولا سبيل إليه ، فكيف والأمر بالعكس عند من يبين أن ما قالوه خطأ ، مخالف للعقل الصريح وللنقل الصحيح معلوم الفساد بضرورة العقل ، ونظره مخالف للكتاب ولل سنة^(٣) وإجماع سلف الأمة ، وإن الشارع أخبر بنقيضه وأوجب اعتقاد ضده .

الوجه التاسع :

أنه لا ريب أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول مجملاً مقرأً بما بلغه من تفصيل الجملة ، غير جاحد لشيء من تفاصيلها ، أنه يكون بذلك من المؤمنين ، إذ الإيمان بكل فرد من تفصيل ما أخبر به الرسول وأمر به غير مقدور للعباد ، إذ لا يوجد أحد إلا وقد خفي عليه

(١) في س : « الطلب » .

(٢) في س ، ط : « الثالث » .

(٣) في ط : « الكتاب والسنة » .

بعض ما قاله الرسول ، ولهذا يسع الإنسان في مقالات كثيرة ألا^(١) يقر فيها بأحد النقيضين ، لا^(٢) ينفيها ولا يثبتها إذا لم يبلغه أن الرسول نفاها ، أو أثبتها ، ويسع الإنسان^(٣) السكوت عن النقيضين في أقوال كثيرة ، إذا لم يقيم دليل شرعي بوجوب قول أحدهما .

أما إذا كان أحد القولين هو الذي قاله الرسول دون الآخر ، فهنا يكون السكوت عن هذا^(٤) وكتمانه من باب كتمان ما أنزل الله من البيئات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب ، ومن باب كتمان شهادة عند^(٥) العبد من الله ، وفي كتمان العلم النبوي من الذم واللعنة لكاتمته ما يضيق عنه هذا الموضع^(٦) .

وكذلك إذا كان أحد القولين متضمناً لنقيض ما أخبر به الرسول ﷺ ، والآخر لا يتضمن مناقضة الرسول ، لم يجز السكوت عنهما جميعاً ، بل يجب نفي القول المتضمن لمناقضة الرسول ﷺ ، ولهذا أنكر الأئمة على الواقعة^(٧) في مواضع كثيرة حين تنازع الناس ، فقال قوم بموجب السنة ،

-
- (١) في س ، ط : « لا » .
(٢) في الأصل : « إلا » ، وقد أثبت الأقرب لفهم المعنى من : س ، ط .
(٣) « الإنسان » ساقطة من : س .
(٤) في س ، ط : « ذلك » .
(٥) « عند » : ساقطة من : س ، ط .
(٦) تقدم في ص ١٥٣ ، ١٥٤ ذكر بعض الآيات والأحاديث التي تدل على ما ذكره الشيخ - رحمه الله - فليرجع إليه .
(٧) الواقعة : أطلق أبو سعيد الدارمي ، هذا الاسم على ناس - ممن كتبوا العلم بزعمهم ، وادعوا معرفته - وقفوا في القرآن ، فقالوا : لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق ، ونسبوا إلى البدعة من خالفهم . وقد رد عليهم - رحمه الله - قولهم هذا ، وبين بطلانه وبعده عن الصواب في باب Afrده ذلك ، فقال : « باب الاحتجاج على الواقعة » .

راجع : الرد على الجهمية ص ١٠٢ .
وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يطلق هذا الاسم على من توقف في =

وقال قوم بخلاف السنة ، وتوقف قوم فأنكروا على الواقفة ، كالواقفة الذين قالوا : لا نقول القرآن مخلوق ، ولا نقول : إنه غير مخلوق ، هذا مع أن كثيراً من الواقفة يكون في الباطن مضمراً للقول المخالف للسنة ، ولكن يظهر الوقف نفاقاً ومصانعة ، فمثل هذا موجود .

أما القول الذي لا يوجد في كلام الله ورسوله ، لا منصوصاً ولا مستنبطاً ، بل يوجد في الكتاب والسنة مما يناقضه ما لا يحصيه إلا الله ، فكيف يجب على المؤمنين - عامة أو خاصة - اعتقاده ، ويجعل ذلك محنة لهم ؟

ومن المعلوم أنه ليس في الكتاب والسنة ولا في كلام أحد من سلف الأمة ما يدل - نصاً ولا استنباطاً - على أن الله ليس فوق العرش ، وأنه ليس فوق^(١) المخلوقات ، وأنه ما فوق العالم رب يعبد ، ولا على العرش إله يدعى ويقصد ، وما هناك إلاّ العدم المحض ، وسواء سمي ثبوت هذا المعنى قولاً بالجهة والتحيز^(٢) أو لم يسم ، فتنوع العبارات لا يضر إذا عرف المعنى المقصود ، وإذا كان هذا المعنى ليس مما جاء به

= الحكم على الشيء ، لا نفيّاً ولا إثباتاً ، وقد أشار إليهم ، فذكر أنهم الذين يجوزون إثبات صفات زائدة ، لكنهم يقولون : لم يقم الدليل عندنا على نفي ذلك ولا إثباته ، ثم بين - رحمه الله - أن هذه طريقة محققي من لم يثبت الصفات الخيرية ، وهذا اختيار الرازي والآمدي وغيرهما .

راجع : درء تعارض العقل والنقل - ٣/ ٣٨٣ .

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل ، أن أباه سئل عن الواقفة فقال : « من كان منهم يخاصم ويعرف بالكلام ، فهو جهمي ، ومن لم يكن يعرف بالكلام ، يجانب حتى يرجع ، ومن لم يكن له علم يسأل يتعلم » .

راجع : كتاب السنة - لعبد الله بن أحمد بن حنبل - ص ٤٣ .

(١) في الأصل : « في » وهو خطأ ، والمثبت من : س ، ط .

(٢) تقدم أن الشيخ - رحمه الله - بين أن إطلاق هذا اللفظ نفيّاً وإثباتاً بدعة ، وأنه ليس في كلامه إثباته .

الرسول ، كان الإعراض عنه - ولو كان حقاً - جائزاً ، بحيث لو لم يعتقد الرجل فيه نفيًا ولا إثباتاً ، لم يؤمر بأحدهما .

وقد بسطنا الكلام فيما يذكر لهذا القول من الدلائل السمعية والعقلية في مواضع منها الكلام على ما ذكره أبو عبد الله الرازي^(١) ، في كتابه الذي سماه : « تأسيس التقديس »^(٢) ، وكتابه « نهاية العقول في دراية الأصول »^(٣) ، وغير ذلك ، إذا كان قد جمع في ذلك غاية ما يقوله

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي المعروف بابن الخطيب الشافعي ، فيه تجمه قوي ، لكن يقال : إنه رجع في آخر عمره ، له تصانيف كثيرة في فنون مختلفة منها في علم الكلام « المطالب العالية » و« الأربعين » و« المحصل » وغيرها ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ .

راجع : وفیات الأعيان - لابن خلكان ٢٤٨/٤ - ٢٥٢ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي ٥٠٠/٢١ - ٥٠١ . والوافي بالوفيات - للصفدي ٢٤٨/٤ - ٢٥٩ . وشذرات الذهب - لابن العماد ٢١/٥ - ٢٢ .

(٢) ألفه الرازي للملك العادل سيف الدين أبي بكر أيوب ، وأرسله إليه هدية . راجع : أساس التقديس - للرازي ص ٣ . وكشف الظنون - لحاجي خليفة ٣٣٣/١ . وبيان تلبيس الجهمية - لابن تيمية ٣/١ .

والكتاب جمع فيه مؤلفه عامة حجج الجهمية ، وتكلم فيه على تأسيس أصولهم ، يقول عنهم شيخ الإسلام : « لم أر لهم مثله . . . » . وقد نقض الشيخ - رحمه الله - هذه الحجج ، ودحض شبههم العقلية ، وأبطل تأويلاتهم للأدلة السمعية راجع : مجموع الفتاوى ٢٨٩/٦ .

ونقض تأسيس الجهمية ، أو بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية / ط - مطبعة الحكومة ١٣٩١ هـ في مجلدين كبيرين بتعليق : محمد بن عبد الرحمن القاسم .

(٣) ذكره حاجي خليفة ، فقال : « نهاية العقول في الكلام في دراية الأصول » يعني أصول الدين . . . ورتبه على عشرين أصلاً .

راجع : كشف الظنون - لحاجي خليفة - ١٩٨٨/٢ .
والكتاب لا زال مخطوطاً - في دار الكتب بمصر - تحت رقم ٧٤٨ - توحيد - =

الأولون والآخرون من حجج النفاة،^(١) الذين يقولون : إن الله ليس في جهة ولا حيز ، فليس هو^(٢) على العرش ولا فوق العالم .

الوجه العاشر :

أن قولهم : الذي نطلب^(٣) منه أن يعتقد أنه ينفي الجهة عن الله والتحيز ، لا يخلو : إما أن يتضمن هذا نفي كون الله على العرش ، وكونه فوق العالم ، بحيث يقال : إنه ما فوق العالم رب ولا إله ، أو ما هناك^(٤) شيء موجود ، وما هناك^(٥) إلاّ العدم الذي ليس بشيء ، أو لا يتضمن هذا الكلام نفي ذلك ، فإن كان هذا الكلام لم يتضمن نفي ذلك كان النزاع لفظياً ، وأنا ليس في شيء من كلامي - قط - إثبات الجهة والتحيز لله مطلقاً حتى يقال : نطلب منه نفي ما قاله أو أطلقه من اللفظ ، بل كلامي فيه ألفاظ القرآن والحديث وألفاظ سلف الأمة ، ومن نقل مذاهبهم ، أو التعبير عن ذلك تارة بالمعنى المطابق الذي يعلم المستمع أنه موافق لمعناهم

= ولم يطبع فيما أعلم ، ولم يذكره سزكين في تاريخ التراث العربي .
وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذا الكتاب من أجل كتب الرازي الكلامية ، وأن مؤلفه ذكر أنه أورد فيه من الحقائق والدقائق ما لا يكاد يوجد في شيء من كتب الأولين والآخرين ، والسابقين واللاحقين ، من الموافقين والمخالفين ووصفه بصفات تطول .

ثم بين الشيخ - رحمه الله - أن الرازي غالب مادته في كلام المعتزلة والفلاسفة والأشاعرة ما يجده في كتبهم ، فكتبه تدل على أنه لم يكن يعرف ما فيها .

راجع : درء تعارض العقل والنقل ١٥٧/٢ - ١٥٩ .

(١) في ط : « الثقات » وهو خطأ .

(٢) في س ، ط : « هذا » .

(٣) في س : « يطلب » .

(٤) في س ، ط : « هنالك » .

(٥) في س : « هنالك » .

وما يذكرون^(١) من الألفاظ المجملة ، فإنني أبينه وأفصله ، لأن أهل الأهواء ، كما قال الإمام أحمد^(٢) فيما خرج في الرد على الزنادقة والجهمية^(٣) فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولت غير تأويله ، قال :

« الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل ، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويصرون بنور الله أهل العمى ، فكم قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح^(٤) أثر الناس عليهم .

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان^(٥) الفتنة ، فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون في الكتاب^(٦) ، مجتمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من^(٧) الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين^(٨) .

فقد أخبر أن أهل البدع والأهواء يتكلمون بالمتشابه من الكلام ،

-
- (١) في الأصل ، ط : « بذكر » والمثبت من : س .
 - (٢) راجع : الرد على الجهمية والزنادقة - للإمام أحمد ص ٨٥ .
 - (٣) تقدم الكلام على هذا الكتاب الجليل للإمام أحمد الذي يرد فيه على القائلين بخلق القرآن ، ويجادلون في رؤية الله ، ويشككون في أفعال العباد .
 - (٤) في الرد على الجهمية والزنادقة : « وأقبح » .
 - (٥) في الرد على الجهمية : « عقال » .
 - (٦) في الرد على الجهمية : « فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجتمعون .. » .
 - (٧) في الأصل : « في » ، والمثبت من : س ، ط ، والرد على الجهمية .
 - (٨) في الرد على الجهمية : « الضالين » .
- وهو نهاية كلام الإمام أحمد - رضي الله عنه - .

ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، وذلك مثل قولهم : ليس بمتحيز ولا في جهة ، ولا كذا ولا كذا ، فإن هذه ألفاظ مجملة متشابهة يمكن تفسيرها بوجه حق ، ويمكن تفسيرها بوجه باطل ، فالمطلقون لها يوهمون عامة المسلمين أن مقصودهم تنزيه الله عن أن يكون محصوراً في بعض المخلوقات ، ويفترون الكذب على أهل الإثبات ، إنهم يقولون ذلك كقول بعض قضاتهم^(١) لبعض الأمراء : إنهم يقولون : إن الله في هذه الزاوية . وقول آخر من طواغيتهم : إنهم يقولون : إن الله في حشو السموات ، ولهذا سماوا حشوية^(٢) ، إلى أمثال هذه الأكاذيب التي

(١) لعل الشيخ - رحمه الله - يشير إلى القاضي ابن دؤاد .

يقول الشيخ - رحمه الله - مشيراً إلى هذا المعنى : « فإن كثيراً من النفاة وإن كان مشهوراً عند الناس بعلم أو مشيخة أو قضاء أو تصنيف ، قد يظن أن قول من قال : إنه في السماء أو في جهة ، معناه أن السموات تحيط به وتحوزه ، وكذلك إذا قال : متحيز . يظن أن معناه التحيز اللغوي ، وهو كونه تحيز في بعض مخلوقاته ، حتى ينقلون ذلك عن منازعهم ، إما عمداً ، أو خطأ ، وربما صغروا الحيز حتى يقولوا : إن الله في هذه البقعة ، أو هذا الموضع ، أو نحو ذلك من الأكاذيب » .

راجع :

بيان تلبيس الجهمية ١٣/٢ .

(٢) الحشو من الكلام : الفضل الذي لا يعتمد عليه ، وكذلك هو من الناس ، وحشوة الناس : رُدَّالْتَّهْم .

انظر : لسان العرب - لابن منظور - ١٨٠/١٤ (حشا) .

وهذه التسمية أول من ابتدئها المعتزلة ، فإنهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم : الحشو ، كما تسميهم الرافضة : الجمهور ، ولفظ « حشوية » - كما يقول شيخ الإسلام - ليس له مسمى معروف لافي الشرع ، ولا في اللغة ، ولا في العرف العام ، ولكن يذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ : عمرو بن عبيد - رئيس المعتزلة - فإنه ذكر له عن ابن عمر شيء يخالف قوله ، فقال : كان ابن عمر حشويًا ، نسبة إلى الحشو ، وهم العامة والجمهور ، وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولاً تخالف به الجمهور والعامة ينسب إلى أنه قول « الحشوية » =

يفترونها على أهل الإثبات ، ثم يأتون بلفظ مجمل متشابه يصلح لنفي هذا المعنى الباطل ، ولنفي ما هو حق ، فيطلقونه فيخدعون بذلك جهال الناس ، فإذا وقع الاستفصال والاستفسار ، انكشفت الأسرار ، وتبين الليل من النهار ، وتميز أهل الإيمان واليقين من أهل النفاق المدلسين ، الذين لبسوا الحق بالباطل ، وكتموا الحق وهم يعلمون .

فالمقصود أن قائل هذا القول إن لم يرد به نفي علو الله على عرشه وأنه فوق خلقه^(١) ، لم يناع من المعنى الذي أراده ، ولكن لفظه ليس بدال على ذلك ، بل هو مفهم أو موهم لنفي ذلك ، فعليه أن يقول : لست أقصد بنفي الجهة والتحيز نفي^(٢) أن يكون الله فوق عرشه ، وفوق خلقه ، وحينئذ فيوافقه أهل الإثبات على نفي الجهة والتحيز بهذا التفسير بعد استفصاله وتقييد كلامه بما يزيل الالتباس .

أما إن تضمن هذا الكلام أن الله ليس على العرش ولا فوق العالم ، فليصرح بذلك تصريحاً بيناً حتى يفهم المؤمنون قوله وكلامه ، ويعلموا مقصوده ومرامه ، فإذا كشف للمسلمين حقيقة هذا القول ، وأن مضمونه : أنه ليس فوق السماوات^(٣) رب ، ولا على العرش إله ، وأن

= أي : الذين هم حشو في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم .
فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشويًا ، والجهمية تسمي مثبتة الصفات حشوية والقرامطة الباطنية تسمي من أوجب الصلاة والزكاة والصيام والحج حشويًا ، والفلاسفة تسمي من أقر بالمعاد الجسمي والتعيم الحسي حشويًا ، فعند هذه الطوائف الإمام أحمد - رحمه الله - وأتباعه من أهل السنة حشوية .
راجع : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧٦/١٢ . وبيان تلبس الجهمية - لابن تيمية ١/٢٤٠ - ٢٤٤ . والعقود الدرية - لابن عبد الهادي ص ٢٣٨ . ومختصر منهاج السنة النبوية - للذهبي ص ٩٣ .

(١) في الأصل : « عرشه » وقد أثبت ما رأته مناسباً من : س ، ط .

(٢) في س : « والتحيز بهذا نفي » .

(٣) في الأصل : « العرش » ، والمثبت من : س ، ط .

الملائكة لا تعرج إلى الله ، ولا تصعد إليه ، ولا تنزل من عنده ، وأن عيسى لم يرفع إليه ومحمد لم يعرج^(١) به إليه ، وأن العباد لا يتوجهون بقلوبهم إلى إله هناك يدعونه ويقصدونه ، ولا يرفعون أيديهم من دعائهم إليه ، فحينئذ ينكشف للناس حقيقة هذا الكلام، ويظهر الضوء من الظلام .

ومن المعلوم أن قائل ذلك لا يجترىء أن يقوله في ملأ من المؤمنين ، وإنما يقوله بين إخوانه من المنافقين^(٢) ، الذين إذا اجتمعوا يتناجون ، وإذا افترقوا يتهاجون ، وهم وإن زعموا أنهم أهل المعرفة المحققين ، فقد شابها من سبق من إخوانهم المنافقين ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴿٣﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ وَيَسْتَدْهِمُ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْهَوْنَ ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّلْعِوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ .

(١) الكلام عن الإسراء والمعراج وتعريفهما وحقيقتهما: تقدم الكلام عليهما ص ١١٥ .
(٢) المنافقون : جمع منافق ، وفعله : نفاق .

والنفاق لغة : مصدر نفق ، وهو مشتق من نافقاء اليربوع ، موضع يرققه من جحره ، فإذا أودى من قبل القاصعاء وضرب النافقاء برأسه فخرج ، فهو يظهر أحدهما ويخفي الآخر .

وعلى هذا عرف النفاق بأنه : إظهار الإيمان وكتمان الكفر ، أو الدخول في الإسلام من وجه ، والخروج عنه من وجه آخر .

راجع : لسان العرب - لابن منظور - ٣٥٨/١٠ ، ٣٥٩ (نفق) . وتاج العروس - للزبيدي - ٧٩/٧ (نفق) . والتعريفات - للجرجاني - ص ٢٤٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآيات : ١٣ - ١٥ .

(٤) في : س ، ط : (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) .

(٥) سورة النساء ، الآيات : ٦٠ - ٦٢ .

ولا ريب أن كثيراً من هؤلاء قد لا يعلم أنه منافق ، بل يكون معه أصل الإيمان ، لكن يلتبس عليه أمر المنافقين ، حتى يصير لهم من السماعين ، قال تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعًا خَلَلَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْأَفْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ (١) ، ومن المعلوم أن كلام أهل الإفك (٢) في عائشة (٣) ، كان مبدؤه من المنافقين ، وتلطخ به طائفة

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٧ .

(٢) المنافقون لم تسترح نفوسهم من الكيد للإسلام والمسلمين ، حتى استهدفوا صاحب الرسالة محمداً - عليه السلام - فرموه في عرضه في عائشة أم المؤمنين بنت الصديق ، وروجوا ارتكابها فاحشة الزنى التي هي من أقيح الجرائم وأشنعها ، وكان الذي تولى كبر هذه التهمة وزعامتها ، وأشاع الإفك المفترى ، رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، والذي ما فتىء يكيده للإسلام وأهله حتى أهلكه الله .

وقد أنزل الله تعالى في شأن هذا المنافق وغيره من المنافقين قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ، ليكون ذلك درساً وعبرة للأمة الإسلامية لتعرف من خلاله خطر النفاق والمنافقين وضررهم عليها ، كما أنزل الله براءة أم المؤمنين مما رميت به . والآيات الكريمة تبديء من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ... ﴾ وتنتهي بقوله تعالى : ﴿ .. أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ « سورة النور ، الآيات : ١١ - ٢٦ » .
والقصة وتفاصيلها معروفة ، رواها البخاري ومسلم في صحيحهما مطولة ، ولذا أكتفي هنا بالإحالة عليهما :

البخاري : ٥/٦ - تفسير سورة النور - باب قوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً .. ﴾ إلى قوله : ﴿ ... لكاذبون ﴾ .

مسلم : ٢١٢٩/٤ - كتاب التوبة - باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف .
(٣) هي : أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - أفضه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين والأدب ، روي عنها (٢٢١٠) حديثاً فهي أكثر نساء النبي - عليه السلام - رواية للحديث عنه ، توفيت بالمدينة سنة ٥٨ هـ ، رضي الله عنها .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد ٥٨/٨ - ٨١ . والإصابة في تمييز الصحابة =

من المؤمنين ، وهكذا كثير من البدع ، كالرفض والتجهم مبدؤها من المنافقين ، وتلوث ببعضها كثير من المؤمنين ، لكن كان فيهم من نقص^(١) الإيمان بقدر ما شاركوا فيه أهل النفاق والبهتان^(٢) .

الوجه الحادي عشر :

أنهم^(٣) إذا بينوا مقصودهم - كما يصرح به أئمتهم وطواغيتهم - من أنه ليس فوق العرش رب ، ولا فوق العالم موجود ، فضلاً عن أن يكون فوقه واجب الوجود .

فيقال لهم : هذا معلوم الفساد بالضرورة ، بالفطرة^(٤) العقلية ، وبالأدلة النظرية العقلية ، وبالضرورة الإيمانية السمعية الشرعية ، وبالنقول المتواترة المعنوية عن خير البرية ، وبدلالة القرآن على ذلك من آيات تبلغ « مئين »^(٥) ، وبالأحاديث المتلقاة بالقبول من علماء الأئمة في جميع القرون وبما اتفق عليه سلف الأمة ، وأهل الهدى من أئمتها ، وبما اتفق عليه الأمم بجبلتها وفطرتها ، وما يذكر في خلاف ذلك من الشبه ،

= لابن حجر ٤/٣٥٩ - ٣٦١ . وأعلام النساء - عمر رضا كحالة ٩/٣ - ١٣١ .
(١) في ط : « نقض » وهو خطأ .

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، هذا هو مذهب السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وسوف نتحدث عن هذه المسألة ، ونبين الرأي المخالف عند الكلام على حقيقة الإيمان .

(٢) في س : « والبهتان أنهم » وهو تصحيف .

(٣) في الأصل : « أنه » ، والمثبت من : س ، ط ، ولعله المناسب .

(٤) في جميع النسخ : « الفطرة » ، ولعل ما أثبت يكون مناسباً للكلام .

(٥) في الأصل : س « مائتين » ولعل الصواب ما أثبتته من (ط) .

يقول شيخ الإسلام : « قال بعض كبار أصحاب الشافعي : في القرآن ألف دليل أو أزيد ، تدل على أن الله عال على الخلق ، وأنه فوق عباده » .

وقال غيره : فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك ..

راجع : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٢٢٦ .

التي يقال : إنها براهين عقلية ، أو دلائل سمعية ، فقد تكلمنا عليها بالاستقصاء حتى تبين أنها من القول الهراء^(١) ، فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

ولولا أن المقصود هنا التنبيه على مجامع الضلال فيما أوجبوا اعتقاده ، لبسطنا القول هنا وبيننا سداً ، لكن قد أحلنا على ما هو موجود مكتوب - أيضاً - قد كتبناه في هذا الزمان^(٢) ، والحمد لله ولي الإحسان .

الوجه الثاني عشر :

أن لفظ الجهة عند من قاله ، إما أن يكون معناه وجودياً أو عدمياً ، فإن كان معناه وجودياً ، فنفي^(٣) الجهة عن الله نفي عن أن يكون الله في شيء موجود ، وليس [شيء]^(٤) موجوداً سوى الله إلا العالم ، فهذا أحد القسمين الذين ذكرناهما من جوابهم ، وهو أن يراد أنه [ليس]^(٥) محصوراً في المخلوقات ، داخلاً في المصنوعات ، هذا أحد أقوال الجهمية الذين يقولون : إنه ليس على العرش ، ونفيه مصرح به في كلامنا .

وإن كان معناه عدمياً ، كان المعنى أن الله لا يكون حيث لا موجود غيره ، وهو ما فوق العالم ، فإن كون الموجود في العدم ليس معناه أن

(١) في ط : « الهزا » .

(٢) لعل الشيخ - رحمه الله - يشير إلى كتابه القيم « تلبيس الجهمية في تأسيس بعدهم الكلامية » ، كما سيتضح من كلامه من الصفحات التالية .

(٣) في الأصل : « فني » وهو تصحيف . والمثبت من : س ، ط .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

العدم يحويه أو يحيط به ، إذ^(١) العدم ليس بشيء أصلاً حتى يوصف بأنه يحيط أو يحاط به ، بل المعنى^(٢) بذلك أن يكون الموجود بحيث لا موجود غيره ، أو أن^(٣) يكون القائم بنفسه بحيث لا قائم بنفسه غيره ، فإن الموجود نوعان : قائم بنفسه ، وقائم بغيره .

فالقائم بغيره من الصفات والأعراض يكون بحيث يكون غيره ، فإن الصفات والأعراض تقوم بالمحل الواحد .

وأما القائم بنفسه ، فلا يكون حيث يكون آخر قائم بنفسه ، [بل يجب أن يكون مابيناً لغيره ، فيكون حيث لا موجود غيره]^(٤) ، أو حيث لا قائم بنفسه غيره ، وهو المعنى بكون الله على العرش ، وفوق العالم ، وإذا كان هذا المعقول من الجهة العدمية ، فأكثر عقلاء بني آدم من المسلمين واليهود والنصارى والمشركين والمجوس^(٥) والصابئين^(٦) ،

(١) في س : « إذا » .

(٢) في س : « بالمعنى » .

(٣) في س ، ط : « وأن » .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٥) المجوس هم : عبدة النار ، ويقولون : إن للعالم أصليين مدبرين هما : النور والظلمة ، ويزعمون أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة ، وقد نشأت هذه النحلة في بلاد فارس .

والمجوسية دين قديم يقال له : - كذباً - الدين الأكبر ، والملة العظمى ، وهي فرق ذكرها أصحاب المقالات .

راجع : تاج العروس - للزبيدي ٢٤٥/٤ . والتبصير في الدين - للإسفرائيني ص ١٥٠ . والملل والنحل - للشهرستاني ٢٣٠/١ - ٢٤٤ . واعتقادات فرق المسلمين والمشركين - للرازي ، مع ذيله كتاب « المرشد الأمين » لكل من طه عبد الرؤوف ، ومصطفى الهواري ص ١٣٤ - ١٣٧ .

(٦) جمع صابيء ، وهو من خرج ومال من دين إلى دين ، يقال : صبأ فلان يصبأ إذا خرج من دينه . والصابئون : هم عبدة الكواكب والنجوم ، ولما كانت هذه تغيب وتختفي ، لم يكن بد من أن يصورها ويسموا هذه الصور بأسماء الكواكب ، =

على أن نفيه هذا عن الوجود ، واجبه وممكنه^(١) معلوم الفساد بالضرورة العقلية ، وهو أن يعلم بالضرورة العقلية أنه يمتنع وجود قائم بنفسه ، حيث يكون موجود آخر قائم بنفسه ، أو لا يكون إلا حيث يكون موجوداً^(٢) آخر قائماً بنفسه^(٣) ، وأن كل موجود إما أن يكون مبايناً لغيره منفصلاً عنه فيكون في الجهة العدمية ، وإما أن يكون محايثاً له داخلياً فيه ، فيكون في الجهة الوجودية ، ووجود موجود لا في جهة وجودية ولا جهة عدمية ممتنع عندهم في صريح العقل ، ثم إن قول هؤلاء موافق لما عليه بنو آدم من الفطرة ، موافق لما جاء به^(٤) الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها .

وبالجملة فالنزاع في ذلك ظاهر مشهور ، وإذا كان كذلك لم يكن نفي ذلك بالهين حتى يدعي دعوى مجردة^(٥) ، بلا دليل سمعي ولا عقلي ، ثم يوجب اعتقاد ذلك ويعاقب تاركة .

ومن الناس من قد يعني بالجهة [ما ليس مغايراً لذي الجهة]^(٦)

= واشتغلوا بعبادتها .

وقيل : هم قوم يشبه دينهم دين النصارى ، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ويزعمون أنهم على دين نوح ، وهم كاذبون .

وقيل : هم قوم باقون على فطرتهم ، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ، وجعل ابن كثير - رحمه الله - هذا القول من أظهر الأقوال .

راجع : لسان العرب - لابن منظور ١٠٧/١ - ١٠٨ (صبا) . والملل والنحل - للشهرستاني ٥/٢ . واعتقادات فرق المسلمين والمشركين - للرازي - مع ذيله

كتاب المرشد الأمين ص ١٤٣ - ١٤٤ . وتفسير ابن كثير ١٠٤/١ .

(١) في الأصل : « واجبة وممكنة » .

(٢) في ط : « حيث لا يكون موجود » .

(٣) من قوله : « أو أن يكون . . . » إلى قوله : « قائماً بنفسه » : ساقطة من س .

(٤) « به » : ساقطة من س .

(٥) في الأصل : « حجره » وهو تصحيف ، والمثبت من : س ، ط .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

فيكون كونه في جهة بحيث يتوجه إليه أو يشار إليه ، ولا يعني بالجهة موجوداً منفصلاً عنه ، ولا يعني عدمياً ، وهؤلاء قد يقولون : الجهة من الأمور الإضافية ، فكون الشيء من الجهة معناه أنه مباين^(١) لغيره ، وكل موجود قائم بنفسه فإنه مباين لغيره .

وقد يقولون كونه في الجهة معناه : أنه متميز بذاته محقق الوجود ، وإن لم يقدر موجود سواه ، وهؤلاء يقولون : هو في الجهة قبل وجود العالم ، والأولون يقولون : لا نعقل الجهة إلا بعد وجود العالم .
وأصل ذلك^(٢) أن هؤلاء يقولون : إن مسمى الجهة نوعان : إضافي متنقل ، وثابت لازم .

فأما الأول فهي الجهات الست للحيوان - أمامه وهو ما يؤمه ، وخلفه وهو ما يخلفه ، ويمينه ، ويساره ، وفوقه ، وتحتة ، وهو ما يحاذي ذلك ، وهذه الجهات ليست جهات لمعنى يقوم بها^(٣) ، ولا ذلك صفة لازمة لها ، بل تصير^(٤) اليمين يساراً ، واليسار يميناً ، والعلو سفلاً ، والسفل علواً بتحريك^(٥) الحيوان من غير تغير في الجهات .
وأما الثاني : فهو جهتها^(٦) [العالم وهي]^(٧)

(١) في س : « مبايناً » .

(٢) أي : منشأ غلطهم .

وقد أشار إلى هذين النوعين الشيخ - رحمه الله - في كتابه بيان تلبيس الجهمية

. ١٢١ / ٢ .

وانظر كلام الشيخ - رحمه الله - عن الجهة وتنازع الناس فيه ، في الرسالة

التدمرية ص ٢٦ ، ومجموع الفتاوى ٥ / ٢٦٢ .

(٣) بل هي جهات تتغير وتبديل بحسب حركته .

(٤) في الأصل : « نظير » ، وأثبت ما يناسب المعنى من : س ، ط .

(٥) في س ، ط : « يتحرك » .

(٦) في س : « جهة » .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

العلو والسفل ، فليس للعالم إلا جهتان :

أحدهما : العلو ، وهو جهة السموات وما فوقها .

[والأخرى] ^(١) : السفلى ، وهو جهة الأرض وما تحتها وفي جوفها ، وعلى هذا المعنى فكل ما كان خارج العالم مبايناً للعالم فهو فوقه ، وهو في الجهة العليا ، فالباري - تعالى - إما أن يكون مبايناً للعالم منفصلاً عنه ، أو لا يكون مبايناً له منفصلاً عنه ، فإن كان الأول ^(٢) كان خارجاً عنه عالياً عليه بالجهة العليا ، وإن كان الثاني كان حالاً في العالم قائماً به محمولاً فيه .

قال هؤلاء : وهذا كله معلوم بالفطرة العقلية ، فالباري قبل أن يخلق العالم كان هو وحده سبحانه لا شريك له ، ولما خلق الخلق فإنه لم يخلقه في ذاته ، فيكون هو محلاً للمخلوقات ، ولا جعل ذاته فيه فيكون مفتقراً محمولاً قائماً بالمصنوعات ، بل خلقه بائناً عنه فيكون فوقه وهو بجهة ^(٣) العلو .

وقد بسطنا كلام هؤلاء وخصومهم في الحكومة العادلة ، فيما ذكره الرازي في تأسيسه من المجادلة ^(٤) .

وإذا كان كذلك ، فالداعي للناس إلى اعتقاد نفي الجهة ، إما أن يدخل معهم في هذه الدقائق ويكشف هذه الحقائق ، وإما أن يعرض عن هذه ويقف عند الجمل التي وقف عليها ^(٥) المؤمنون ، فأما أن يدعو ^(٦) إلى قول لا يبين حقيقته وأقسامه ، ولا يبين حجته التي تصحح مرامه

(١) ما بين المعقوفتين إضافة تناسب الكلام .

(٢) في س : « للأول » وهو تصحيف .

(٣) في س : « الجهة » . وفي ط : « جهة » .

(٤) راجع « بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية - لابن تيمية ١٢١/٢ .

(٥) في الأصل ، ط : « التي عليها » ، والمثبت من : س ، ولعله المناسب .

(٦) في الأصل ، س : « يدعو » .

و[لا] (١) يكون القول موجوداً في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أئمة الإسلام ، فهذا غاية ما يكون من الجهل والضلال والظلم في الكلام .

الوجه الثالث عشر :

أن قولهم بنفي (٢) التحيز لفظ مجمل ، فإن التحيز المعروف في اللغة (٣) : هو أن يكون الشيء بحيث يحوزه ويحيط به موجود غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَوْلٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَكذبًا بعَصَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٤) .

فإن التحيز مأخوذ من حازه يحوزه ، فهذا المعنى هو أحد المعنيين الذين ذكرناهما بقولنا : إن أراد أنه لا يحيط (٥) به المخلوقات ، ولا يكون في جوف الموجودات ، فهذا مذكور مصرح به في كلامي ، فأبي فائدة في تجديده (٦) ؟

وأما التحيز الذي يعنيه المتكلمون فأعم من هذا ، فإنهم (٧)

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط . يقتضيها السياق .

(٢) في س : « ينغي » وهو تصحيف .

(٣) ذكر ابن فارس : « أن كل من ضم شيئاً إلى نفسه فقد حاز حوزاً » .

راجع : معجم مقاييس اللغة ١١٨/٢ (حوز) .

وقد أورد ابن منظور نحو هذا .

راجع : لسان العرب ٣٤١/٥ (حوز) .

أما الزبيدي فقد ذكر ما يقرب من ذلك .

راجع : تاج العروس ٢٩/٤ (حوز) .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ١٦ .

(٥) في س ، ط : « تحيط » .

(٦) في س : « فائدة تحديده » .

في ط : « فائدة في تحديده » .

(٧) في س : « لأنهم » .

يقولون : العالم كله متحيز ، وإن لم يكن في شيء آخر موجود ، إذ كل موجود سوى الله فإنه من العالم .

وقد يفرقون بين الحيز والمكان ، فيقولون : الحيز تقدير المكان ، وكل قائم بنفسه مباين لغيره بالجهة فإنه متحيز عندهم ، وإن لم يكن في شيء موجود ، ولهذا يقول بعضهم : الحيز^(١) من لوازم الجسم ، ويقول بعضهم : هو من لوازم القياس بالنفس كالتمييز والمباينة .

وعلى هذا التفسير ، فالحيز إما وجودي ، وإما عدمي ، فإن كان عدمياً فالقول فيه كالقول في معنى الجهة العدمية ، وإن كان وجودياً ، فإما أن يراد به ما ليس خارجاً ، أو ما هو خارج^(٢) عنه^(٣) ، [فالأول مثل حدود المتحيز وجوانبه ، فلا يكون الحيز شيئاً خارجاً على المتحيز]^(٤) على هذا التفسير ، وإما أن يعنى به شيء موجود منفصل^(٥) عن المتحيز خارج^(٦) عنه ، فهذا هو التفسير الأول ، وليس غير الله إلا العالم ، فمن قال : إنه في حيز موجود منفصل فقد قال : إنه في العالم أو بعضه ، وهذا مما قد صرحنا بنفيه^(٧) ، وإذا كان كذلك ، فلا بد من تفصيل المقال ليزول هذا الإبهام^(٨) والإجمال .

(١) في س ، ط : «التحيز» .

(٢) في الأصل ، س : «خارجاً» . وقد أثبت ما لعله الصواب من : ط .

(٣) في الأصل : « عن التحيز » والكلام يستقيم بال مثبت من : س ، ط .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٥) في الأصل : « ينفصل » وأثبت المناسب للكلام من : س ، ط .

(٦) في الأصل : « خارجاً » والم مثبت من : س ، ط .

(٧) في الأصل : نفيه . وهو تصحيف . والم مثبت من : س ، ط .

وقد صرح شيخ الإسلام - رحمه الله - بنفي التحيز بمعنى أن الله تحوزه المخلوقات .

راجع : الرسالة التدمرية ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٨) في س : الإبهام .

الوجه الرابع عشر :

وأما قولهم : ولا يقول : إن كلام الله حرف وصوت قائم به ، بل هو معنى قائم بذاته .

فقد قلت في الجواب المختصر البديهي^(١) : ليس في كلامي هذا - أيضاً - ولا قلته قط ، بل قول القائل : إن القرآن حرف وصوت قائم به بدعة ، وقوله : إنه معنى قائم به بدعة ، لم يقل أحد من السلف لا هذا ولا هذا ، وأنا ليس في كلامي شيء من البدع ، بل في كلامي ما أجمع عليه السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

وذلك أنني قد أجبت^(٢) في مسألة القرآن والحرف والصوت ، وما وقع في ذلك من النزاع والاضطراب في جواب الفتيا الدمشقية^(٣) ،

(١) كذا في جميع النسخ ، ولعل الأوضح : « بدهي » .

والجواب المختصر الذي كتبه الشيخ مع استعجال الرسول - راجع ص ٥ ، ٩ .

(٢) في الأصل : « ما أجبت » . والمثبت من : س ، ط .

(٣) كتاب « الفتيا الدمشقية » لم أجده بهذا الاسم فيما وقع تحت يدي من الكتب التي تذكر مؤلفات الشيخ ، ولعله سمي بغير هذا الاسم ، فكثير من كتب الشيخ يعنون لها بأكثر من عنوان ، كما هو الحال في هذا الكتاب الذي بين أيدينا فله أكثر من اسم . أو أنه لم يشتهر ، فالشيخ - رحمه الله - كما يقول ابن عبد الهادي - في العقود الدرية ص ٦٥ - كتب في فنون كثيرة ، فإن وجد من نقله من خطه وإلا لم يشتهر ، ولم يعرف ، وربما أخذه بعض أصحابه فلا يقدر على نقله ، ولا يرده إليه فيذهب .

وقد نقل ابن عبد الهادي أن الشيخ - رحمه الله - قال : « وأحضرت جواب مسألة كنت سئلت قديماً عنها ، فيمن حلف بالطلاق في مسألة الحرف والصوت ، ومسألة الظاهر في العرش ، وقلت : هذا جوابي .

وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة ممن كان بعضهم حاضراً في المجلس . فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم .

وكانوا قد ظنوا أنني إن أجبت بما في ظنهم أن أهل السنة تقوله حصل =

وفصلت القول فيها وفي مسألة العرش وبينته ، وكذلك في جواب الفتيا المصرية^(١) قد بينته وفصلته في هذا وفي هذا ، وأزلت ما وقع فيه أكثر الناس من الاختلاف والشقاق الذي خرجوا به عن السنة والجماعة ، إلى البدعة والافتراق ، وبسطت ذلك بسطاً متوسطاً في جواب^(٢) الاستفتاء^(٣) الذي ورد به^(٤) قاضي

= مقصودهم من الشناعة ، وإن أجبته بما يقولونه هم حصل مقصودهم من الموافقة .

فلما أجيئوا بالفرقان الذي عليه أهل السنة ، وليس هو ما يقولونه ولا ما ينقلونه عن أهل السنة ، إذ يقوله بعض الجهال ، بهتوا لذلك . وفيه : « أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس القرآن اسماً لمجرد الحروف ، ولا لمجرد المعاني » . ا. هـ .

وقد علق على هذا الكلام الشيخ محمد حامد الفقي ، بنقل من هذا الكتاب « التسعينية » فيجد أن جواب هذه المسألة هي « الفتيا الدمشقية » . راجع : العقود الدرية - ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

والسؤال والإجابة عليه في الفتاوى ١٦٩/٣٣ - ١٨٩ ، وسوف يورده الشيخ - رحمه الله - في هذا الكتاب ص ٥٤٧ - ٥٧٣ .

(١) كتاب « جواب الفتيا المصرية » لم تشر الكتب التي اهتمت بذكر مؤلفات الشيخ إلى هذا الكتاب بهذا الاسم .

ولعلها المسألة المصرية في القرآن المطبوعة ضمن الفتاوى ١٦٢/١٢ - ٢٤٥ . يؤيد هذا أن الشيخ - رحمه الله - سوف يشير إلى هذه الفتيا في ص ٥٢٩ ، ويذكر أنه قد قيل فيها : المسؤول بيان ما يجب على الإنسان أن يعتقده ويصير به مسلماً بأوضح عبارة وأبينها من أن ما في المصاحف هو كلام الله القديم ؟ أم هو عبارة عنه لا نفسه . . .

وهذا السؤال والإجابة عنه المذكوران في الفتاوى ٢٣٥/١٢ - ٢٤٥ .

(٢) الغالب أنها « الرسالة الكيلانية » وهي كما يقول ابن القيم في أسماء مؤلفات الشيخ « جواب في مسألة القرآن » في مجلد لطيف ص ٢٠ ، وهي مطبوعة ضمن الفتاوى ٣٢٣/١٢ - ٥٠٢ .

(٣) في س : الاسفتتا . ولا معنى لها .

(٤) به : ساقطة من الأصل . والمثبت من : س ، ط .

جيلان^(١) لما وقع بينهم من الفتنة في كلام الآدميين ، وأظهروا من البدعة والغلو في الإثبات ونفي الخلق عن كثير من المخلوقات ما هو من أعظم الجهالات والضلالات ، وقد كتبت جملاً من الكلام [في ذلك]^(٢) في جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية^(٣) ، وفي فتاوى آخر ، ومواضع آخر .

فإن مسألة القرآن وقع فيها بين السلف والخلف من الاضطراب والنزاع ما لم يقع نظيره في مسألة العلو والارتفاع ، إذ لم يكن على عهد السلف من ييوح بإنكار ذلك ونفيه ، كما كان على عهدهم من باح^(٤) بإظهار القول بخلق القرآن ، ولا اجتراً الجهمية إذ ذاك على دعاء الناس إلى نفي علو الله على عرشه ، بل ولا أظهرت ذلك ، كما اجتروا على دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن ، وامتحانهم على ذلك ، وعقوبة من لم يجبههم بالحبس ، والضرب ، والقتل ، وقطع الرزق ، والعزل عن

- (١) جيلان : بالكسر : اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان ، وليس في جيلان مدينة كبيرة ، إنما هي قرى في مروج بين جبال ، وقد نسب إليها من لا يحصى من أهل العلم في كل فن وعلى الخصوص في الفقه .
راجع : معجم البلدان - لياقوت الحموي - ٢٠١/٢ .
- (٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط . توضح المعنى .
- (٣) كتاب « جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية » من كتب الأصول ، ومن المصنفات الكبار التي كتبها الشيخ - رحمه الله تعالى - وهو بالسجن في مصر ويقع في أربع مجلدات .
- ذكره : ابن عبد الهادي - في العقود الدرية ص ٢٩ - وقال عنه : « كتاب عزيز الفوائد سهل التناول » كما ذكره : ابن القيم في « أسماء مؤلفات ابن تيمية » ص ١٩ . وابن شاكر في « فوات الوفيات » ٧٦/١ . وابن رجب في « الذيل على طبقات الحنابلة » ٤٠٣/٢ . وغيرهم ممن كتب عن الشيخ ومؤلفاته .
- وذكر الدكتور محمد رشاد سالم - رحمه الله - محقق كتاب « الاستقامة » لشيخ الإسلام - ١٣٩/١ ت : رقم (١) ، أن هذا الكتاب مفقود .
- (٤) في ط : « ممن أباح » .

الولايات ومنع قبول الشهادة ، وترك افتدائهم من أسر العدو ، إلى غير ذلك من العقوبات التي إنما تصلح لمن خرج عن الإسلام ، وبدّلوا بذلك الدين نحو تبديل كثير من المرتدين ، فأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أدلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون^(١) لومة لائم ، فجاهدوا في الله حق جهاده ، متبعين سبيل الصديق وإخوانه الذين جاهدوا المرتدين^(٢) ، بعد موت رسول الله ﷺ حتى وسم المسلمون بالإمامة ، وبأنه الصديق الثاني ، من كان أحق بهذا التحقيق عند فتور الواني .

فإن أولئك الجهمية جعلوا المؤمنين كفاراً مرتدين ، وجعلوا ما هو من الكفر والتكذيب للرسول إيماناً وعلماً ، ولبسوا على الأئمة والأمة الحق بالباطل ، وكانت فتنهم في الدين أعظم ضرراً من فتنة الخوارج المارقين^(٣) ، فإن أولئك - وإن كفروا المؤمنين واستحلوا دماءهم

(١) في ط : « يخالفون » .

(٢) بعد وفاة النبي ﷺ سنة إحدى عشرة من الهجرة ، ارتد بعض قبائل العرب ، وامتنعوا عن دفع الزكاة ، فأشار بعض الصحابة على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه وعنهم - بتركهم وتأليفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك ، وأصر على قتالهم ، وقال : « ... والله ، لو منعوني عناقاً - وفي رواية : عقالاً - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ... » .

وقد ذكرت أحداث الردة مفصلة في : تاريخ الطبري - ٢٢٣/٣ فما بعدها .
الكامل لابن الأثير - ٣٤٢/٢ - فما بعدها . والبداية والنهاية - لابن كثير ٣٥٠/٦ - ٣٥٤ . وفي كثير من المراجع الأخرى .

(٣) الخوارج : تقدم التعريف بهم ص ١٧٦ .

المارقة : الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه .
والمروق : سرعة الخروج من الشيء ، ومنه سميت الخوارج مارقة .

وأموالهم - فلم تكن فتنتهم الجحود لكلام رب العالمين ، وأسمائه ، وصفاته ، وما هو عليه في حقيقة ذاته ، بل كانت فيما دون ذلك من الخروج عن السنة المشروعة . وإن كان أهل المقالات قد نقلوا^(١) أن قول الخوارج في التوحيد ، هو قول الجهمية المعتزلة ، فهذا^(٢) شر^(٣) للجهمية ، لكن يشبه - والله أعلم - أن يكون ذلك قد قاله من بقايا الخوارج من كان موجوداً حين حدوث مقالات^(٤) جهم في أوائل المائة الثانية ، فأما قبل^(٥) ذلك فلم يكن حدث في الإسلام قول جهم في نفي الصفات ، والقول بخلق القرآن ، وإنكار أن يكون الله على عرشه^(٦) ، ونحو ذلك ، فلا يصح إضافة هذا القول إلى أحد من المسلمين قبل المائة الثانية ، لا من الخوارج ، ولا من غيرهم ، فإنه لم يكن في الإسلام إذ ذاك من يتكلم بشيء من هذه السلوب الجهمية ، ولا نقل أحد عن الخوارج المعروفين - إذ ذاك - ولا عن غيرهم شيئاً من هذه المقالات الجهمية .

ومن أعظم أسباب بدع المتكلمين من الجهمية وغيرهم ، قصورهم في مناظرة الكفار والمشركين ، فإنهم يناظرونهم ، ويحاجونهم ، بغير الحق والعدل لينصروا الإسلام ، زعموا بذلك ، فيستطيل^(٧) عليهم أولئك ،

= راجع : لسان العرب - لابن منظور ٣٤١/١٠ (مرق) .
وفي الحديث ، عن أبي سعيد الخدري ، أن الرسول ﷺ قال : « ... يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية ... » .
راجع : صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب ما جاء في قول الرجل « ويلك »
١١١/٧ .

- (١) في س : « نلقوا » وهو تصحيف .
- (٢) في ط : « فهذ » .
- (٣) في س ، ط : « سر » .
- (٤) في س ، ط : « مقالة » .
- (٥) « قبل » ساقطة من : س .
- (٦) في س ، ط : « العرش » .
- (٧) في س ، ط : « فيسقط » .

لما فيهم من الجهل والظلم ، ويحاجونهم بممانعات ومعارضات ، فيحتاجون حينئذ إلى جحد طائفة من الحق الذي جاء به الرسول ، والظلم والعدوان لإخوانهم المؤمنين بما استظهر^(١) عليهم أولئك المشركون ، فصار قولهم مشتتلاً على إيمان وكفر ، وهدى وضلال ، ورشد وغي ، وجمع بين النقيضين ، وصاروا مخالفين للكفار والمؤمنين ، كالذين يقاتلون الكفار والمؤمنين ، ومثلهم في ذلك مثل من فرط في طاعة الله وطاعة رسوله من ملوك النواحي والأطراف ، حتى تسلط عليهم العدو ، تحقيقاً لقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾^(٢) يقاتلون العدو قتالاً مشتتلاً على معصية الله من الغدر والمثلة والغلول والعدوان ، حتى احتاجوا في مقاتلة ذلك العدو إلى العدوان على إخوانهم المؤمنين ، والاستيلاء على نفوسهم ، وأموالهم ، وبلادهم ، وصاروا يقاتلون إخوانهم المؤمنين بنوع مما كانوا يقاتلون به المشركين ، وربما رأوا قتال المسلمين أوكد^(٣) ، وبهذا وصف النبي ﷺ الخوارج حيث قال : « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان »^(٤) .

(١) في الأصل : « استظهروا » . والمثبت من : س ، ط .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٥ .

(٣) في ط : « أكد » .

(٤) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « ... إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » .

صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ وقوله جل ذكره : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ١٧٨/٨ حديث رقم ١٤٣ .

صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم - ٧٤١/٢ = .

وهذا موجود في سيرة كثير من ملوك الأعاجم وغيرهم ، وكثير من أهل البدع ، وأهل الفجور ، فحال أهل الأيدي والقتال ، يشبه حال أهل الألسنة والجدال .

وهكذا ذكر العلماء مبدأ حال جهم ، فقال الإمام أحمد - فيما أخرجه - في الرد على الزنادقة والجهمية^(١) :

قال^(٢) أحمد : « وكذلك الجهم وشيعته ، دعوا^(٣) الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث ، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً ، فكان مما بلغنا من أمر الجهم - عدو الله - أنه كان من أهل خراسان ، من أهل ترمذ^(٤) ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله

= ومعنى « ضئىء » : أي : أصله ونسله .

راجع : لسان العرب - لابن منظور - ١١٠/١ (ضأضاً) .

وهذا : إشارة إلى الرجل الذي قال للنبي ﷺ : اتق الله يا محمد ، كما في هذا الحديث ، وفي بعض الروايات أنه قال : اعدل يا محمد - عندما قسم الرسول ﷺ قسماً .

وفي بعض الروايات أن رجلاً من بني تميم يقال له : « ذو الخويصرة » قال للنبي ﷺ عندما قسم قسماً : اعدل يا رسول الله .

صحيح مسلم - كتاب الزكاة - ذكر الخوارج وصفاتهم - ٧٤٤/٢ - الحديث رقم ١٤٨ .

(١) تقدم الكلام على كتاب « الرد على الجهمية والزنادقة - للإمام أحمد .

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة - للإمام أحمد - ص ١٠١ - ١٠٥ .

(٣) في س : « ردعو » . وهو تصحيف .

(٤) في جميع النسخ : « الترمذ » . والمثبت من كتاب « الرد على الجهمية والزنادقة .

وهي : مدينة مشهورة من أمهات المدن في خراسان ، على نهر جيحون من الجانب الشرقي ، يحيط بها سور وأسواقها مفروشة بالآجر ، وإليها ينسب بعض العلماء ، كالترمذي صاحب الصحيح ، وغيره .

راجع : معجم البلدان - للحموي - ٢٦/٢ ، ٢٧ . والروض المعطار

- للحميري ص ١٣٢ .

تبارك وتعالى ، فلقني ناساً^(١) من المشركين يقال لهم : السمنية^(٢) فعرفوا
 الجهم ، فقالوا له : نكلمك ، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ،
 وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلموا به الجهم أن
 قالوا له :

أست تزعم أن لك إلهاً ؟ قال الجهم : نعم . فقالوا له : فهل
 رأيت إلهك ؟ قال : لا . فقالوا له : هل^(٣) سمعت كلامه ؟ قال : لا .
 قالوا : فشممت له رائحة ؟ قال : لا . قالوا : فوجدت له حساً ؟ قال :
 لا . قالوا : فوجدت له مجساً ؟ قال : لا . قالوا : فما يدريك أنه إله ؟
 فتحير الجهم ، فلم يدر من يعبد أربعين يوماً ، ثم إنه استدرك حجة من
 جنس [حجة]^(٤) الزنادقة من النصارى ، وذلك أن زنادقة^(٥) النصارى
 يزعمون أن الروح الذي^(٦) في عيسى هي من روح^(٧) الله من ذات الله ،
 وإذا أراد [الله]^(٨) أن يحدث أمراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان

-
- (١) في الرد على الجهمية والزنادقة : « أناساً » .
 (٢) السمنية : إحدى الفرق الضالة ، كانت قبل دولة الإسلام ، ينفون النظر
 والاستدلال ، ويقولون بقدم العالم ، ويزعمون أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس
 الخمس ، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت ، وقال فريق منهم بتناسخ
 الأرواح في الصور المختلفة . . . إلى غير ذلك من أقوالهم الباطلة .
 راجع : الفرق بين الفرق - للبغدادي - ص ٢٧٠ - ٢٧١ . والتبصير في الدين
 - للإسفرائيني - ص ١٤٩ . وكشاف اصطلاحات الفنون - للتهانوني - ٥٢ / ٤ .
 (٣) في الرد على الجهمية والزنادقة : « قالوا : هي . . . » .
 (٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
 وفي الرد على الجهمية والزنادقة : « . . . حجة مثل حجة الزنادقة . . . » .
 (٥) في الأصل : « زندقة » . والمثبت من : س ، ط ، والرد على الجهمية .
 (٦) في ط : « التي » .
 (٧) في الرد على الجهمية : « هي روح الله » .
 (٨) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، وهامش كتاب الرد على الجهمية .

خلقه^(١) ، فيأمر بما شاء ، وينهى عن ما شاء^(٢) ، وهو روح غائب^(٣) عن الأبصار .

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمني :

ألسنت تزعم أن فيك روحاً؟ فقال^(٤) : نعم . قال^(٥) : فهل رأيت روحك؟ قال : لا . قال : فتسمعت كلامه؟ قال : لا . قال : فهل^(٦) وجدت له حساً؟ قال : لا . قال : فكذلك^(٧) الله لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان قال^(٨) : ووجد ثلاث آيات^(٩) من القرآن^(١٠) من المتشابه قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(١١) ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾^(١٢) و﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾^(١٣) .
فبنى أصل كلامه كله^(١٤) على هؤلاء الآيات ، وتأول القرآن على

-
- (١) في س ، ط : « بعض خلقه » .
 - (٢) في الرد على الجهمية : « بما يشاء وينهى عما يشاء » .
 - (٣) في الرد على الجهمية : « غائب » .
 - (٤) في الرد على الجهمية : « قال » .
 - (٥) في الرد على الجهمية : « فقال » .
 - (٦) « فهل » ساقطة من : س ، ط .
 - (٧) في الأصل « فذلك » . والمثبت من : س ، ط ، والرد على الجهمية .
 - (٨) « قال » ساقطة من كتاب الرد على الجهمية .
 - (٩) « آيات » ساقطة من : س .
 - (١٠) في س ، ط : « في القرآن » .
 - (١١) « من القرآن » ساقطة من كتاب « الرد على الجهمية » .
 - (١٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .
 - (١٣) في س : (وهو السميع البصير) .
 - (١٤) سورة الأنعام ، الآية : ٣ .
 - (١٥) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .
 - (١٦) « كله » ساقطة من : س .

غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ وزعم أن من وصف من الله شيئاً^(١) مما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو حدث عنه رسوله ﷺ^(٢) كان كافراً ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشراً كثيراً^(٣) ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد^(٤) بالبصرة ، ووضع دين الجهمية^(٥) .

وهكذا وصف العلماء حال جهم^(٦) كما قال أبو عبد الله محمد بن

- (١) في الرد على الجهمية : « . . . ومن وصف الله بشيء . . . » .
 (٢) « ﷺ » ساقطة من : الأصل ، ط . والمثبت من : س .
 (٣) في جميع النسخ : « وأضل بشراً كثيراً » . والمثبت من الرد على الجهمية .
 (٤) هو : أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري ، من أبناء فارس ، شيخ المعتزلة في عصره ، وأتباعه يسمون « العمروية » .
 قال الخطيب البغدادي : جالس الحسن البصري وحفظ عنه واشتهر بصحبته ، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة فقال بالقدر ، ودعا إليه ، واعتزل أصحاب الحسن . .
 قال عنه يحيى بن معين : رجل سوء ، وكان من الدهرية الذين يقولون : إنما الناس مثل الزرع .
 ولد سنة ٨٠ هـ ، وتوفي سنة ١٤٢ هـ .
 راجع : تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ١٢/١٦٦ - ١٨٨ . ولسان الميزان - لابن حجر - ٣/٢٧٣ - ٢٨٠ . والبداية والنهاية - لابن كثير - ١٠/٩١ - ٩٣ .
 (٥) نهاية كلام الإمام أحمد - رحمه الله - .
 (٦) حال جهم وقصته مع السمنية ، ذكرها البخاري عن ضمرة عن ابن شوذب - خلق أفعال العباد - تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ص ٣١ . وسوف يوردها الشيخ فيما بعد .

كما ذكرها اللالكائي بسند ينتهي بأبي معاذ البلخي أنه قال : « كان جهم على معبر ترمذ ، وكان رجلاً كوفي الأصل ، فصيح اللسان ، لم يكن له علم ، ولا مجالسة لأهل العلم ، كان يتكلم كلام المتكلمين ، وكلمه السمنية فقالوا له : صف لنا ربك الذي تعبد ، فدخل البيت لا يخرج كذا ولا كذا . قال : ثم خرج عليهم بعد أيام فقال : هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ، ولا يخلو منه =

سلام البيكندي^(١) ، شيخ البخاري في كتاب السنة والجماعة^(٢) ، من تأليفه : ما جاء في بدو الجهمية والسمنية ، وكيف كان شأنهم وكفرهم بآيات الله .

[عن]^(٣) حفص بن عبد الرحمن البلخي^(٤) قال : حدثنا سعيد بن

= شيء » .

وقال أبو معاذ : « كذب عدو الله ، إن الله في السماء على عرشه ، كما وصف نفسه » .

راجع : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - لللكائي - تحقيق د . أحمد سعد حمدان - ٣/ ٣٨٠ - ٣٨١ .

كما أوردها من هذا الطريق الذهبي ، في مختصر العلو - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ص ١٦٣ .

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن سلام بن فرج السلمي ، مولا هم البخاري البيكندي ، الإمام الحافظ الناقد ، ومحدث « ما وراء النهر » ، كان من أوعية العلم ، وأئمة الأثر ، حدث عنه البخاري ، وأبو محمد الدارمي ، وغيرهم ، له مصنفات في كل باب من العلم .

ولم يذكره سزكين ، ولا أشار غيره من أصحاب الكتب التي تهتم بالتراث أن له مؤلفاً بعينه .

ولد سنة ١٦٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٢٥ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٣/ ٢٧٨ - ٢٧٩ . والجمع بين رجال الصحيحين - لابن القيسراني ٢/ ٤٥٩ . والأنساب - للسمعاني - ٢/ ٤٠٤ .

وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ص ٦٢٨ - ٦٣٠ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٩/ ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) لم أقف على هذا الكتاب في مظانه ، ولم تشر المصادر التي رجعت إليها في ترجمة محمد بن سلام ، إلى مؤلف له بعينه - كما ذكرت ذلك في الهامش السابق - سوى أنه صنف في كل باب من العلم .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، يقتضيها السياق .

(٤) في جميع النسخ : « البجلي » .

ولم أجده بهذا الاسم فيما وقع تحت يدي من مصادر .

ولعله : أبو عمر حفص بن عبد الرحمن بن عمر بن فروخ بن فضالة البلخي ثم =

أبي عروبة^(١) ، عن أيوب بن أبي تميمة^(٢) ، قال : ما أعلم أحداً من أهل الضلال^(٣) أكذب على كتاب الله من السمنية ، قال : وهو عندنا كما قال ، لا أعلم أحداً^(٤) أجهل ولا أحمق قولاً منهم ، لا يتعلقون من كتاب الله بشيء ، ولا يحتجون ، إنما هو حب وبغض من أحب دخل الجنة ، ومن أبغض دخل النار ، فصارت^(٥) طائفة جهمية لم تكن على عهد رسول الله

= النيسابوري الحنفي الإمام الفقيه مفتي خراسان .

قال فيه ابن المبارك : اجتمع فيه الفقه والوقار والورع ، توفي سنة ١٩٩ هـ .
يقول الذهبي : كان من أبناء الثمانين ، حدث عن أبي حنيفة ، وسعيد بن أبي عروبة ، وغيرهم .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٧٦/٢/١ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٣١٠/٩ - ٣١١ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٤٠٤/٢ - ٤٠٥ .

(١) هو : أبو النضر سعيد بن أبي عروبة مهران العدوي البصري ، ثقة حافظ للحديث ، ثم اختلط في آخر عمره .

يقول عنه الذهبي : إمام أهل البصرة في زمانه ، ولد حوالي سنة ٨٠ هـ . وتوفي سنة ١٥٦ هـ .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٢٧٣/٧ - ٢٧٤ . ولسان الميزان - لابن حجر - ١٥١/٢ - ١٥٣ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٢٦٣/٤ - ٢٦٦ .

(٢) هو : أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتاني البصري . قال عنه ابن سعد : كان ثقة ثبتاً في الحديث ، جامعاً عدلاً ورعاً كثير العلم حجة .

ولد سنة ٦٨ هـ ، وتوفي سنة ١٣١ هـ .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٢٤٦/٧ - ٢٥١ . والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢٥٥/١/١ - ٢٥٦ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣٩٧/١ - ٣٩٩ .

(٣) في س ، ط : « الصلاح » وهو خطأ .

(٤) في س ، ط : « .. أن أحد » .

(٥) في س ، ط : « وصارت » .

ﷺ ولا على عهد الصحابة ، وإنما هو رأي محدث ، ويرون أن أول من تكلم فيه^(١) جهم بن صفوان ، وكان جهم - فيما بلغنا - لا يعرف بفقته ولا ورع ولا صلاح ، أعطي لساناً منكرأ فكان يجادل ويقول برأيه ، يجادل السمنية ، وهم شبه المجوس ، يعتقدون الأصنام ، فكلمهم فأخرجوه^(٢) حتى ترك الصلاة أربعين يوماً ، لا يعرف ربه ، وكلامهم يدعو إلى الزندقة ، وكلامهم وصفناه^(٣) لغير واحد من أهل الفقه^(٤) والبصر ، فمالوا^(٥) آخر أمرهم إلى الزندقة ، والرجل إذا رسخ في كلامهم ترك الصلاة ، واتبع الشهوات .

وكان أبو الجوزاء^(٦) صاحب جهم ، وكان أقوى في أمرهم من جهم - فيما بلغنا - وكان يسكن الفارياب^(٧) ، وأخبرنا أناس من أهلها من صالحهم ، أنه ترك الصلاة ، وشرب الخمر ، واتبع الشهوات ، وأفسد عالماً من الناس ، فنعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى ، ما أعلم من تكلم في الإسلام قوم أخبث من كلامهم ، القرآن كله نقض على كلامهم .

وبلغنا أن منهم من يقول : إن ما يفسد علينا كلامنا^(٨) القرآن

-
- (١) « فيه » : ساقطة من س ، ط .
(٢) في جميع النسخ : « فأخرجوه » . ولعل ما أثبت هو المناسب .
(٣) في ط : « وضعناه » .
(٤) في ط : « اللغة » .
(٥) في الأصل ، س : « فقالوا » . والمثبت من : ط .
(٦) أبو الجوزاء لم أعثر له على ترجمة .
(٧) في جميع النسخ : « الفاريات » . ولعل الصواب ما أثبتته .
والفارياب : مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان ، قرب « بلخ » ينسب إليها جماعة من الأئمة .
راجع : معجم البلدان - لياقوت الحموي - ٢٢٩/٤ .
(٨) « كلامنا » ساقطة من : س .

ويكسره ولا يرون أن في السماء ساكناً ، وذكر طرفاً من كلامهم ثم قال^(١) :

قال : علي^(٢) سمعت عبد الله^(٣) يقول^(٤) : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية .
وقال في شعره^(٥) :

ولا أقول بقول الجهم إن له قولاً يضارع قول الشرك أحياناً

ثم قال : حدثنا عبيد الله ، يعني ابن واصل ، ثنا عبد الله بن محمد ، شيخ من أهل بغداد ، ثنا ابن صالح ، قال : لقيت جهماً فقلت : نطق الله ؟ قال : لا ، قلت : فهو ينطق ؟ قال : لا ، قلت : فمن يقول يوم القيامة : لمن الملك اليوم ؟ ومن يرد عليه : الله الواحد القهار ؟ قلت : إنهم زادوا في القرآن ونقصوا منه .

-
- (١) القائل هو : محمد بن سلام البيكندي - شيخ البخاري .
(٢) هو : أبو عبد الرحمن علي بن الحسين بن شقيق بن دينار المروزي ، الإمام الحافظ ، شيخ خراسان ، لزم ابن المبارك زمناً ، وسمع كتبه مراراً ، حدث عنه البخاري ، والإمام أحمد ، وغيرهما .
ولد سنة ١٣٧ هـ ، وتوفي بمرور سنة ٢١٥ هـ .
انظر : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٣٧٦/٧ . والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٨٠/٣ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٣٤٩/١٠ - ٣٥٢ .
(٣) يعني : عبد الله بن المبارك ، وقد تقدمت ترجمته ص ١٤٨ .
(٤) أورد عبد الله بن الإمام أحمد ، قول عبد الله بن المبارك في « السنة - ص ٤١١ » .
قال : حدثني عبد الله بن أحمد بن شويه أبو عبد الرحمن قال : سمعت علي بن الحسين ، يعني ابن شقيق ، يقول : سمعت عبد الله يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وسمعت يقول : إنا لنحكي كلام اليهود . . .
(٥) أورد البخاري في كتابه - خلق أفعال العباد ص ٣١ - ثلاثة أبيات لابن المبارك ، مطلعها ما ذكره الشيخ - رحمه الله - هنا .
وسوف يوردها - رحمه الله - بعد صفحات قليلة من هذا الكتاب .

وروى^(١) أبو داود [و]^(٢) الخلال وغيرهما عن أبي شوذب^(٣) ،
قال : ترك جهم الصلاة أربعين يوماً ، وكان فيمن خرج مع الحارث بن
سريج^(٤) .

وعن مروان بن معاوية الفزازي^(٥) ، وذكر جهماً فقال : قبح الله
جهماً ، حدثني ابن عم لي أنه شك في الله أربعين صباحاً .

(١) أخرجه أبو داود السجستاني في مسائل الإمام أحمد ص ٢٦٩ ، قال : أخبرنا أبو
بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا أحمد بن هاشم الرملي ، قال :
حدثنا ضمرة ...

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط . يقتضيها الكلام .

(٣) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن شوذب البلخي ثم البصري نزيل بيت المقدس ،
وثقه أحمد وغيره ، روى عنه ابن المبارك وغيره . ولد سنة ٨٦ هـ وتوفي سنة
١٥٦ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٨٢/٢/٢ - ٨٣ .

وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٢٥٥/٥ - ٢٥٦ .

وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٩٢/٧ - ٩٣ .

(٤) في الأصل : « سريج » والمثبت من : س ، ط .

هو : الحارث بن سريج التميمي ، كان من سكان خراسان ، وخرج على
أميرها سنة ١١٦ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك ، ثم خرج منها هو وأتباعه
واستولى على بلخ ، والجوزجان وغيرها ، وعظم أمره ، ثم عاد إلى مرو سنة
١٢٧ هـ ، وجرت بينه وبين نصر بن سيار ، أمير خراسان فتنة قتل بسببها هو
والجهم بن صفوان سنة ١٢٨ هـ .

راجع : الكامل - لابن الأثير - ٣٤٢/٥ - فما بعدها . والبدية والنهاية - لابن

كثير - ٣١/١٠ - فما بعدها . والأعلام - للزركلي - ١٥٥/٢ - ١٥٦ .

(٥) هو : أبو عبد الله مروان بن معاوية بن الحارث بن عثمان الفزازي الكوفي ، ثم
الدمشقي ، الإمام الحافظ ، وثقه النسائي وغيره ، كان جوالاً في طلب
الحديث ، توفي سنة ١٩٣ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢٧٢/١/٤ - ٢٧٣ . وسير أعلام

النبلاء - للذهبي - ٥١/٩ - ٥٤ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٩٦/١٠ - ٩٨ .

وذكر البخاري^(١) في كتاب «خلق الأفعال»^(٢) عن يحيى بن أيوب^(٣) ، قال : كنا يوماً^(٤) عند مروان بن معاوية الفزاري فسأله رجل عن حديث الرؤية ، فلم يحدثه به ، قال^(٥) : إن لم تحدثني به فأنت جهمي . فقال مروان : أتقول لي : جهمي ، وجهم مكث أربعين ليلة^(٦) لا يعرف ربه !؟ قال البخاري : وقال ضمرة^(٧) ، [عن]^(٨) ابن شوذب :

(١) في خلق أفعال العباد ص ٣٨ للبخاري قال : حدثني أبو جعفر ، قال : سمعت يحيى بن أيوب قال : ...

(٢) هو كتاب «خلق أفعال العباد والرد على الجهمية - للبخاري» . ويعتبر من أنفس الكتب التي كتبها السلف - رحمهم الله - في الرد على المعطلة من الجهمية وغيرهم .

وقد طبع الكتاب في دلهي عام ١٣٠٦ هـ بتحقيق شمس الحق عبد العظيم آبادي ، وطبع بعد ذلك عدة طبعات .

راجع بتصريف : تاريخ التراث العربي - لفؤاد سزكين - المجلد الأول - الجزء الأول - علوم القرآن والحديث ص ٢٥٩ ، والمقدمة التي كتبها د . عبد الرحمن عميرة - محقق الكتاب - ص ٢٤ - ٢٦ .

(٣) هو : أبو زكريا يحيى بن أيوب المعروف بالمقابري البغدادي ، أحد أئمة الحديث والسنّة ، وثقه غير واحد ، ولد سنة ١٥٧ هـ ، وتوفي سنة ٢٣٣ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١٤/١٨٨ - ١٨٩ . وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١/٤٠٠ - ٤٠١ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٢/٧٩ .

(٤) في خلق أفعال العباد : « .. ذات يوم .. » .

(٥) في خلق أفعال العباد : « .. فقال له .. » .

(٦) في خلق أفعال العباد : « يوماً » .

(٧) هو : أبو عبد الله ضمرة بن ربيعة الرملي من أهل دمشق ، الإمام الحافظ القدوة ، محدث فلسطين ، قال عنه الإمام أحمد : ذلك الثقة المأمون رجل صالح مليح الحديث . توفي سنة ٢٠٢ هـ .

راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد - ٧/٤٧١ . وتهذيب ابن عساكر - ٧/٣٩ - ٤٠ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٩/٣٢٥ - ٣٢٧ .

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ . والمثبت من : «خلق أفعال العباد ص ٣١» وهو سهو من الناسخ .

ترك جهم الصلاة أربعين يوماً^(١) على وجه الشك ، فخاصمه بعض السمنية ، فشك فأقام أربعين يوماً لا يصلي ، قال ضمرة : وقد رآه ابن شوذب .

قال البخاري^(٢) : وقال عبد العزيز بن أبي سلمة^(٣) : كلام جهم صفة^(٤) بلا معنى ، وبناء بلا أساس ، ولم يعد قط من أهل العلم .

وروى^(٥) أبو داود [و]^(٦) الخلال عن إبراهيم بن طهمان^(٧) ، قال : « ما ذكرته ولا ذكر عندي إلا دعوت الله عليه ، ما أعظم ما أورث^(٨) أهل القبلة من منطقه هذا العظيم » يعني جهماً .

(١) « يوماً » ساقطة من : س .

(٢) خلق أفعال العباد ص ٣٢ .

وقد ذكره الذهبي في : سير أعلام النبلاء ٣١٢/٧ .

(٣) في س : « مسلمة » وهو تصحيف .

هو : أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون التميمي مولاهم المدني الفقيه ، كان إماماً مفتياً ، قال عنه ابن سعد : « كان ثقة » توفي سنة ١٦٤ .

راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٣٢٣/٧ . والجرح والتعديل - لابن

أبي حاتم - ٣٨٦/٢/٢ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٣٠٩/٧ - ٣١٢ .

(٤) في خلق أفعال العباد : « صنعة » . والمثبت من : سير أعلام النبلاء ٣١٢/٧ .

(٥) أخرجه أبو داود السجستاني في مسائل الإمام أحمد ص ٢٦٩ ، قال : أخبرنا أبو

بكر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله قال : حدثني

أبي قال : قال إبراهيم بن طهمان ... ما ذكرت ...

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٧) هو : أبو سعيد إبراهيم بن طهمان الهروي ثم النيسابوري ، عالم خراسان ، كان

ثقة شديداً على الجهمية جاور بمكة في آخر عمره ، وتوفي سنة ١٦٣ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١٠٥/٦ - ١١١ . والجمع بين رجال

الصحيحين للقيصري - ١٦/١ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢١٣/١ .

(٨) في س : « ورث » .

وعن^(١) يحيى بن شبيل^(٢) قال : « كنت جالساً مع مقاتل بن سليمان^(٣) ، وعباد بن كثير^(٤) ، إذ جاء شاب فقال : ما تقولون^(٥) في قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(٦) فقال مقاتل : هذا جهمي ، ثم قال : ويحك إن جهماً - والله - ما حج هذا البيت قط^(٧) ، ولا جالس العلماء ، إنما كان رجلاً أعطي لساناً هذاء^(٨) .

وقد ذكر البخاري^(٩) قال : « وقال ابن مقاتل^(١٠) : سمعت ابن

- (١) أخرجه بهذا السند أبو داود في مسائل الإمام أحمد . ص ٢٦٩ .
- (٢) يحيى بن شبيل البلخي ، روى عن عباد بن كثير ، ومقاتل بن سليمان . قال عنه الذهبي : لا يعرف ، روى عنه مكّي بن إبراهيم . انظر : ميزان الاعتدال - للذهبي - ٣٨٥/٤ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٢٢٩/١١ .
- (٣) هو : أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي ، صاحب التفسير . قال عنه ابن سعد : أصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه . ويقول الذهبي : أجمعوا على تركه ، توفي سنة نيف وخمسين ومائة . راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٣٧٣/٧ . وتهذيب الأسماء واللغات - للنووي - ١١١/٢ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٢٠١/٧ - ٢٠٢ .
- (٤) في جميع النسخ : « عبد الله بن كثير » والمثبت من مسائل الإمام أحمد ، ولعله الصواب ، فهو الذي يروي عنه يحيى بن شبيل ، وهو ضعيف الحديث . انظر : لسان الميزان - لابن حجر - ٢٧٠/٢ - ٢٧٥ .
- (٥) في مسائل الإمام أحمد : « تقول » .
- (٦) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .
- (٧) « قط » ساقطة من : مسائل الإمام أحمد .
- (٨) « هذاء » ساقطة من : مسائل الإمام أحمد .
- (٩) انظر : خلق أفعال العباد . ص ٣١ .
- وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ص ١٢ - من طرق أخرى .
- (١٠) لعله : محمد بن مقاتل المروزي أبو الحسن (ت ٢٢٦ هـ) . أو : محمد بن مقاتل أبو جعفر العباداني (٢٣٦ هـ) . وكلاهما ثقة ، روى عن عبد الله بن المبارك . راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٧٥/٣ - ٣٧٦ . وتهذيب التهذيب - لابن =

المبارك يقول : من قال : « إني أنا الله لا إله إلا أنا » مخلوق فهو كافر ، ولا^(١) ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك ، قال : وقال أيضاً : ولا^(٢) أقول بقول الجهم إن له قولاً يضارع قول الشرك أحياناً ولا أقول تخلى من بريته ربّ العباد وولي الأمر شيطاناً ما قال فرعون هذا في تجبره فرعون موسى ولا فرعون هامانا قال البخاري : وقال ابن المبارك : لا نقول كما قالت الجهمية : إنه في الأرض ها هنا ، بل على العرش استوى ، وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : فوق سماواته على عرشه ، وقال لرجل^(٣) منهم : أبطنك خال منه^(٤) ؟ فبهت الآخر ، وقال : من قال لا إله إلا هو ، مخلوق ، فهو^(٥) كافر ، وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية .

قال البخاري^(٦) : وقال سعيد بن عامر^(٧) : الجهمية

= حجر - ٤٦٨/٩ - ٤٧١ .

- (١) في خلق أفعال العباد : « ... لا ينبغي .. » .
- (٢) في خلق أفعال العباد : « فلا » .
- (٣) في س ، ط : « الرجل » .
- (٤) في خلق أفعال العباد : « أتظنك خالياً منه » .
- (٥) في ط : « فهر » .
- (٦) وأخرجه الذهبي في « العلو » عن طريق عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : حدثنا أبي قال : حدثت عن سعيد بن عامر الضبيعي أنه ذكر الجهمية فقال : هم شر .. انظر : مختصر العلو للذهبي - اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ص ١٦٨ .
- (٧) هو : أبو محمد سعيد بن عامر الضبيعي البصري ، كان ثقة صالحاً . قال ابن معين : ثقة مأمون . أخذ عنه الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية وغيرهما . ولد سنة ١٢٢ هـ ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٠٨ هـ .
راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد - ٢٩٦/٧ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٣٥١/١ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ٢٣١/١٥ .

أشر^(١) قولاً من اليهود والنصارى ، قد اجتمعت^(٢) اليهود والنصارى وأهل الأديان (على)^(٣) أن الله تعالى على العرش ، وقالوا : هم ليس على العرش^(٤) .

وروى البخاري^(٥) عن وكيع بن الجراح ، أنه قال : لا تستخفوا بقولهم : القرآن مخلوق ، فإنه من شر قولهم ، إنما يذهبون إلى التعطيل .

فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مبدأ حال جهنم إمام هؤلاء المتكلمين النفاة يبين ما ذكرته ، فإنه لما ناظر^(٦) من ناظره من المشركين السمنية من الهند ، وجدوا الإله ، لكون الجهنم لم يدركه شيء من حواسه ، لا يبصره ، ولا يسمعه ، ولا يشمه ، ولا بذوقه ، ولا بحسه ، كان مضمون هذا الكلام أن كل ما لا يحسه الإنسان بحواسه الخمس ، فإنه ينكره ولا^(٧) يقربه ، فأجابهم الجهنم : أنه قد يكون في الموجود ما لا يمكن إحساسه^(٨) بشيء من هذه الحواس وهي الروح التي في العبد ، وزعم أنها لا تختص بشيء من الأمكنة ، وهذا الذي قاله هو قول الصابئية^(٩) الفلاسفة المشائين^(١٠) .

-
- (١) في جميع النسخ : « شر » . والمثبت من : خلق أفعال العباد .
 - (٢) في س : « أجمعت » .
 - (٣) « على » ساقطة من : الأصل ، س . والمثبت من : ط .
 - (٤) في خلق أفعال العباد : « .. العرش من شيء » .
 - (٥) في خلق أفعال العباد - ص ٣٧ - عن أبي جعفر محمد بن عبد الله ، حدثني محمد بن قدامة السلال الأنصاري قال : سمعت وكيعاً يقول ...
 - (٦) في الأصل : « ناظره » والمثبت من : س ، ط .
 - (٧) في الأصل : « أولاً » . والمثبت من : س ، ط .
 - (٨) في الأصل ، س : « الإحساس » . والمثبت من : ط . ولعله المناسب .
 - (٩) في ط : « الصابئية » . وتقدم التعريف بها ص ٢٢٢ .
 - (١٠) المشائي : هو الأرسطي ، سمي مشائياً ، لأن أرسطو كان يعلم تلاميذه =

وقد قال البخاري^(١) : قال قتبية ، يعني ابن سعيد^(٢) ، بلغني أن
جهماً كان يأخذ هذا^(٣) الكلام من الجعد بن درهم^(٤) .

وقال البخاري^(٥) : ثنا قتبية ، حدثني القاسم بن محمد^(٦) ، حدثنا
عبد الرحمن بن محمد بن حبيب^(٧) بن أبي حبيب ، عن أبيه عن جده^(٨)

= ماشياً والمشاؤون : هم أتباع أرسطو صاحب التعاليم ، وبينه وبين أتباعه من
الخلافة ما يطول وصفه .

راجع : المعجم الفلسفي - لجميل صليبا ٣٧٣/٢ . ودرء تعارض العقل
والنقل ١٥٧/١ .

(١) خلق أفعال العباد - ص ٣٠ .

(٢) هو : أبو رجاء قتبية بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي مولاهم البغلاني - نسبة
إلى بغلان - قرية من قرى بلخ - محدث ثقة ، روى عنه البخاري ومسلم في
صحيحهما ، وروى عنه غيرهما . ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٦٤/١٢ - ٤٧٠ . وسير أعلام النبلاء
- للذهبي - ١٣/١١ - ٢٤ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣٥٨/٨ - ٣٦١ .

(٣) « هذا » ساقطة من : خلق أفعال العباد .

(٤) هو : الجعد بن درهم مبتدع ضال يقول بخلق القرآن ، ويزعم أن الله لم يتخذ
إبراهيم خليلاً ، ولا كلم موسى تكليماً ، وهو مؤدب مروان الحمار ، وشيخ
الجهم بن صفوان ، قتله خالد بن عبد الله القسري .

راجع : ميزان الاعتدال - للذهبي - ٣٩٩/١ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي
- ٤٣٢/٥ . والبداية والنهاية لابن كثير - ٣٩٤/٩ - ٣٩٥ ، ٢٣/١٠ .

(٥) خلق أفعال العباد - ص ٢٩ - ٣٠ .

وأورده بهذا السند الذي ذكره البخاري الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٣٢/٥ .

(٦) هو : أبو محمد القاسم بن أبي سفيان محمد بن حميد المعمرى البغدادي - روى
عنه قتبية بن سعيد ووثقه ، توفي سنة ٢٢٨ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٢٥/١٢ . وميزان الاعتدال - للذهبي
- ٣٧٨/٣ . وخلاصة تهذيب الكمال - لصفي الدين الأنصاري - ص ٣١٣ .

(٧) في خلق أفعال العباد : « حبيبة » .

(٨) هو : عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب الجرمي - بفتح الميم -
صاحب الأنماط ، عن أبيه عن جده قال الذهبي : لا يعرف هؤلاء .

قال : شهدت خالد بن عبد الله القسري^(١) بواسط^(٢) يوم أضحى ، وقال^(٣) : ارجعوا فضحوا تقبل الله^(٤) منكم ، فإنني مضح بالجعد بن درهم ، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم^(٥) خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علواً كبيراً ، ثم نزل فذبحه . وهذا الجعد قد ذكروا^(٦) أنه من^(٧) أهل

- = راجع : ميزان الاعتدال - للذهبي - ٥٨٥/٢ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٢٦٥/٦ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٤٣٢/٥ هامش رقم (١) .
- (١) هو : أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي أمير العراقيين لهشام ، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك ثم لسليمان ، كان جواداً وخطيباً مفوهاً . قال عنه الذهبي : صدوق لكنه ناصبي بغيض ظلم ، وقال ابن معين : رجل سوء يقع في علي ، قتل الجعد بن درهم وهذه من حسناته مات مقتولاً عام ١٢٦ .
- راجع : وفيات الأعيان - لابن خلكان - ٢٢٦/٢ - ٢٣٢ . وميزان الاعتدال - للذهبي - ٦٣٣/١ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٤٢٥/٥ - ٤٣٢ . في الأصل : القشيري « وهو خطأ .
- (٢) « بواسط » ساقطة من : سير أعلام النبلاء . « وواسط » مدينة بدأ الحجاج بناءها عام ٨٤ هـ وفرغ منها عام ٨٦ هـ وسميت بذلك لتوسطها بين البصرة والكوفة ، وهي بلدة عظيمة ذات بساتين ونخيل . راجع معجم البلدان ٤/٣٤٧ - ٣٥٠ .
- (٣) في ط : « قال » . وفي سير أعلام النبلاء : « يقول ضحوا .. » .
- (٤) سقط لفظ الجلالة من : ط .
- (٥) في الأصل : « .. من إبراهيم » . والمثبت من : س ، ط ، وسير أعلام النبلاء .
- (٦) أشار ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/٢٣ - أن الجعد بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا يقال له : مروان الجعدي ، فنسب إليه . ونقل الشيخ - رحمه الله - في درء تعارض العقل والنقل ١/٣١٣ - عن الإمام أحمد أنه قال : « كان يقال : إنه من أهل حران وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات ، وكان بحران أئمة هؤلاء الصابئة الفلاسفة
- (٧) في س ، ط : « كان من . . . » .

حران^(١) وهو معلم مروان بن محمد^(٢) ، ولهذا يقال له : الجعدي^(٣) ، وكانت حران إذ ذاك دار الصابئية^(٤) الفلاسفة الباقيين على ملة سلفهم أعداء إبراهيم الخليل ، فإن إبراهيم^(٥) كان منهم ودعاهم إلى الحنيفية ، وكان من قصته ما ذكره الله في كتابه ، والحجة التي ذكرها مشركوا الهند الباطلة ، والجواب الذي أجاب به مبتدعة الصابئين ، ومن اتبعهم من مبتدعة هذه الأمة باطل ، وذلك أن قول القائل : ما لا يحس به^(٦) العبد لا يُقرُّ به أو ينكره .

إما أن يريد^(٧) به أن كل أحد من العباد لا يقر إلا بما أحسه هو بشيء من حواسه الخمس .

أو يريد به أنه لا يقر العبد إلا بما أحس به العباد في الجملة أو بما يمكن الإحساس به في الجملة .

(١) حران : مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام والروم ، كانت منازل الصابئة ، وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل ، فتحت أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على يد عياض بن غنم ، وينسب إليها جماعة من أهل العلم .

راجع : معجم البلدان - لياقوت الحموي - ٢/٢٣٤ - ٢٣٦ .

(٢) هو : أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي ، آخر خلفاء بني أمية ، يعرف بمروان الحمار لجرأته في الحروب واشتهر بمروان الجعدي ، نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم ، ولد سنة ٧٢ هـ ، ومات مقتولاً سنة ١٣٢ هـ .
راجع : سير أعلام النبلاء - للذهبي ٦/٧٤ - ٧٧ . والبداية والنهاية لابن كثير - ١٠/٥٤ - ٥٦ . والأعلام - للزركلي - ٨/٩٦ - ٩٧ .

(٣) في س : « الجعد » .

(٤) في ط : « الصابئة » .

(٥) في س ، ط : « إبراهيم الخليل » .

(٦) في س : « له » .

(٧) في الأصل : « إما أن يراد » .

وفي ط : « أو أن يريد » . والمثبت من : س .

فإن كان أرادوا الأول ، وهو الذي حكاه عنهم طائفة^(١) من أهل المقالات ، حيث ذكروا عن السمنية أنهم ينكرون من العلوم ما سوى الحسيات ، فينكرون المتواترات^(٢) والمجربات والضروريات العقلية ، وغير ذلك ، إلا أن هذه الحكاية لا تصح على إطلاقها من جميع العقلاء^(٣) في مدينة أو قرية ، وما ذكر^(٤) من مناظرة الجهم لهم يدل على إقرارهم بغير ذلك ، وذلك أن حياة بني آدم وعيشهم في الدنيا لا يتم إلا^(٥) بمعاونة^(٦) بعضهم لبعض في الأقوال ، أخبارها وغير أخبارها ، وفي الأعمال - أيضاً - فالرجل منهم لا بد أن يقرّ أنه مولود ، وأن له أباً وطىء أمه ، وأماً ولدته وهو لم يحس بشيء من ذلك من حواسه الخمس ، بل أخبر بذلك ، ووجد في قلبه ميلاً إلى ما أخبر به ، وكذلك علمه بسائر أقاربه من الأعمام والأخوال والأجداد ، وغير ذلك ، وليس في بني آدم أمة تنكر الإقرار بهذا ، وكذلك لا ينكر أحد من بني آدم أنه ولد صغيراً ، وأنه ربي بالتغذية والحضانة ، ونحو ذلك حتى كبر ، وهو إذا كبر لم يذكر إحساسه بذلك قبل تميزه ، بل لا ينكر طائفة من بني آدم أمورهم الباطنة مثل جوع أحدهم ، وشبعه^(٧) ، ولذته ، وألمه ، ورضاه ، وغضبه ، وحبه وبغضه ، وغير ذلك مما لم يشعر به بحواسه الخمس الظاهرة ، بل يعلمون أن غير [هم من]^(٨) بني آدم يصيبهم ذلك ،

-
- (١) كعبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ - ٢٧١ . وأبي المظفر الإسفراييني في التبصير في الدين ص ١٤٩ .
(٢) في س : « التواتر » .
(٣) في س ، ط : « عن جمع من العقلاء » .
(٤) في س ، ط : « ذكره » .
(٥) في س : « لا » .
(٦) في الأصل : « بمهاونة » وهو تصحيف . والمثبت من : س ، ط .
(٧) في الأصل : شبعته » .
(٨) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

وذلك^(١) لم يشعروا به بالحواس الخمس الظاهرة ، وكذلك ليس في بني آدم من لا يقر بما كان في غير مدينتهم من المدائن والسير والمتاجر وغير ذلك ، مما هم متفقون على الإقرار به ، وهم مضطرون إلى ذلك ، وكذلك لا ينكرون أن الدور التي سكنوها قد بناها البناؤون ، والطبيخ الذي يأكلونه طبخه الطباخون ، والثياب المنسوجة التي يلبسونها نسجها النساجون ، وإن كان ما يقر^(٢) به من ذلك لم يحسه أحدهم بشيء من حواسه الخمس ، وهذا باب واسع ، فمن قال : إن أمة من الأمم تنكر هذه الأمور فقد قال الباطل .

وقول من يقول من المتكلمين : إن السوفسطائية^(٣) قوم ينكرون حقائق الأمور وإنهم منتسبون إلى رئيس لهم يقال له : « سوفسطا »^(٤) ، وإن منهم من ينكر العلم بشيء من الحقائق ، ومنهم من ينكر الحقائق الموجودة - أيضاً - مع العلوم ، ومنهم اللاأدرية^(٥) : الذين يشكون ، فلا

(١) في س ، ط : « مما » .

(٢) في س ، ط : « يقرون » .

(٣) في الأصل ؛ س : « السوفسطائية » والمثبت من : ط . وتقدم التعريف بهم ص ٥٨ .

(٤) سوف يبين الشيخ - رحمه الله - في الصفحة التالية ، أن بعض المتكلمين ظن أن سوفسطا - اسم رجل انتسب إليه السوفسطائية ، والأصل غير ذلك ، فهي كلمة يونانية أصلها « سوفسطيا » أي : الحكمة المموهة ، فـ « سو » تعني : الحكمة و« فسوطيا » أي : المموهة ، فعربت وقيل : « سوفسطا » .

(٥) في س : للادرية » .

واللاأدرية هم : الذين ينكرون العلم بثبوت شيء ولا ثبوته ، ويزعمون أنه شاك وشاك في أنه شاك ، وهلم جراً . . . ، فهم يقولون بالتوقف في وجود كل شيء وعلمه .

وهم فرقة من السوفسطائية ، وقد جعلهم الشيخ - رحمه الله - النوع الأول من أنواع السفسطة عند تقسيمه لها ، وقد تقدم ذكر هذه الأنواع عند التعريف بالسوفسطائية ، فليرجع إليه ص ١٧٤ .

يجزمون بنفي ولا إثبات ، ومنهم من لا يقر إلا بما أحسه ، قد ردّ هذا النقل والحكاية من عرف حقيقة الأمر وقال : إن لفظ السوفسطائية^(١) في الأصل كلمة يونانية معربة ، أصلها سوفسطيا ، أي : الحكمة المموهة ، فإن لفظ « سو » معناه في لغة اليونان الحكمة ، ولهذا يقولون^(٢) : فيلاسوفا ، أي : محب^(٣) الحكمة ، ولفظ فسوطيا ، معناها : المموهة ، ومعلم المستأخرين المبتدعين منهم أرسطو^(٤) ، لما قسم حكمتهم التي هي علمهم إلى برهانية وخطابية وجدلية وشعرية ومموهة^(٥) ، وهي المغاليط سموها « سوفسطيا »^(٦) فعربت وقيل : « سوفسطا » ثم ظن بعض المتكلمين أن ذلك اسم رجل ، وإنما أصلها ما ذكر ، وإن كان لفظ

- = راجع : التعريفات - للجرجاني ص ١٩١ - باب اللام . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٣١١/٢ ، ١٧٣/٣ . والصفدية - لابن تيمية - ٩٧/١ - ٩٨ .
- (١) في الأصل ، س : « السوفسطائية » والمثبت من ط .
- (٢) راجع حول هذا المعنى : الملل والنحل - للشهرستاني ٥٨/٢ .
- (٣) في س : « يحب » .
- (٤) هو : أرسطوطاليس بن نيقوماخس ، الفيلسوف اليوناني ، والمعلم الأول - ولد سنة ٣٨٤ ق.م في « أسطاغيرا » مدينة مقدونية شمال « أثينا » تبعد عنها بنحو مئتي ميل ، انتقل إلى « أثينا » لما بلغ الثامنة عشرة من عمره ليستكمل علومه ، فانضم إلى المدرسة التي أسسها أفلاطون ، وتلمذ عليه عشرين سنة ثم اختلف معه بعد ذلك واستقل بآرائه . له كتب كثيرة في فنون مختلفة . توفي سنة ٣٢٢ ق.م .
- راجع : الملل والنحل للشهرستاني ١١٩/٢ - ١٢٠ .
- وقصة الفلسفة - و.ل. ديورانت - ترجمة فتح الله المشعشع ص ٦٧ - ١٢٥ وفي سبيل موسوعة فلسفية - أرسطو - د . مصطفى غالب ص ١٥ وما بعدها .
- (٥) في س ، ط : « مموه » .
- (٦) في ط : سوفسقا .

السفسطة^(١) قد صار في عرف المتكلمين عبارة عن جحد^(٢) الحقائق ، فلا ريب أن هذا يكون في كثير من الأمور ، فمن الأمم من ينكر كثيراً من الحقائق بعد معرفتها ، كما قال تعالى : ﴿ وَحَدُّوا بِهَا وَأَسَيَّقَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾^(٣) ، وقد يشتهر كثير من الحقائق على كثير من الناس ، كما قد يقع الغلط للحس أو العقل في أمور كثيرة ، فهذا كله موجود كوجود الكذب عمداً أو خطأ ، أما اتفاق أمة على [إنكار]^(٤) جميع العلوم والحقائق ، أو على إنكار كل منهم لما لم يحسه ، فهو كاتفاق أمة على الكذب في كل خبر أو التكذيب بكل خبر ، ومعلوم أن هذا لم يوجد في العلم^(٥) ، والعلم بعدم وجود أمة على هذا الوصف ، كالعلم بعدم وجود أمة بلا ولادة ولا اغتذاء ، وأمة لا يتكلمون ولا يتحركون ، ونحو ذلك مما يعلم أن البشر لا يوجدون^(٦) على هذا الوصف ، فكيف والإنسان هو حي ناطق ، ونطقه هو أظهر صفاته^(٧) اللازمة له ، كما قال تعالى : ﴿ فَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴾^(٨) والنطق إما إخبار ، وإما إنشاء ، والإخبار أصل ، فالقول بوجود أمة لا تقر بشيء من المخبرات إلا أن تحس المخبر بعينه ينافي ذلك ، وإذا كان كذلك ، فأولئك المتكلمون من المشركين والسمنية الذين ناظروا الجهم ، قد غالطوا الجهم ، ولبسوا^(٩)

(١) في الأصل : « السفسطة » ، والمثبت من : س ، ط .

(٢) في ط : حجر .

(٣) سورة النمل ، الآية : ١٤ .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط . يقتضيها الكلام .

(٥) في س ، ط : « العلما » .

(٦) في جميع النسخ : « يوجدن » . ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام .

(٧) في الأصل : « صفات » . والمثبت من : س ، ط .

(٨) سورة الذاريات ، الآية : ٢٣ .

(٩) في س : « غالطوا الجهم ليسوا » .

وفي ط : « غالطوا . . . » .

عليه في الجدل ، حيث أوهموه أن ما لا يحسه الإنسان بنفسه لا يقربه ،
وكأن الأصل أن ما لا يتصور الإحساس به لا يقرب به ، فكان حقه أن
يستفسرهم عن قولهم ما لا يحسه الإنسان لا يقرب به ، هل المراد به هذا^(١)
أو هذا ؟ .

فإن أراد أولئك المعنى الأول أمكن بيان فساد قولهم بوجوه كثيرة ،
وكان أهل بلدتهم وجميع بني آدم يرد عليهم ذلك .

وإن أرادوا المعنى الثاني ، وهو أن ما لا يمكن الإحساس به لا يقرب
به ، فهذا لا يضر تسليمه لهم ، بل يسلم لهم ، يقال لهم^(٢) : فإن الله
تعالى يمكن^(٣) رؤيته ويسمع كلامه ، بل قد سمع بعض البشر كلامه ، وهو

(١) في س : « و » .

(٢) « لهم » : ساقطة من : س .

(٣) في ط : « تمكن رؤيته » .

وهذا هو مذهب السلف الصالح - رضوان الله عليهم - المستمد من الكتاب
والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، والأمر الذي يجب اعتقاده على
كل مسلم يسير على نهجهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الرسالة التي أرسلها إلى أهل
البحرين ، وهي مذكورة ضمن الفتاوى ٤٨٥/٦ فما بعدها :

« .. وإنما المهم الذي يجب على كل مسلم اعتقاده : أن المؤمنين يرون ربهم
في الدار الآخرة في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة على ما تواترت به
الأحاديث عن النبي ﷺ عند العلماء بالحديث ، فإنه أخبر ﷺ أنا نرى ربنا كما
نرى القمر ليلة البدر والشمس عند الظهيرة لا يضام في رؤيته » .

ورؤيته - سبحانه - هي أعلى مراتب نعيم الجنة ، وغاية مطلوب الذين عبدوا
الله مخلصين له الدين ، وإن كانوا في الرؤية على درجات على حسب قربهم من
الله ومعرفتهم به .

والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر ،
فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عرف ذلك . كما يعرف من لم تبلغه شرائع
الإسلام ، فإن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر .. » .

والأدلة على ثبوت الرؤية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين =

موسى عليه السلام ، وسوف يراه عباده في الآخرة ، وليس من شرط كون الشيء موجوداً أن يحس به كل أحد في كل وقت ، أو أن يمكن إحساس كل أحد به في كل وقت ، فإن أكثر الموجودات على خلاف ذلك ، بل متى كان الإحساس به ممكناً ، ولو لبعض الناس في بعض الأوقات صح القول بأنه يمكن الإحساس به ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾^(١) وهذا هو الأصل الذي ضل به جهم وشيعته ، حيث زعموا أن الله لا يمكن أن يرى ، ولا يحس به شيء من الحواس ، كما أجاب إمامهم الأول للسمنية بإمكان وجود موجود لا يمكن إحساسه ، ولهذا كان أهل الإثبات قاطبة متكلموهم وغير متكلميهم^(٢) على نقض هذا الأصل الذي بناه الجهمية ، وأثبتوا ما جاء به الكتاب والسنة من أن الله يرى ويسمع كلامه وغير ذلك ، وأثبتوا - أيضاً - بالمقاييس العقلية^(٣) أن

- = وأتباعهم استوفاهما ابن القيم في كتابه « حادي الأرواح » ص ٢٠٢ - ٢٤٦ .
وهذه الأدلة والأقوال تثبت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم ، وترد على المعتزلة والجهمية المنكرين لرؤيته تبارك وتعالى ، فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور ، وإلى :
- الشريعة - للأجري - ص ٢٥١ - ٢٧٦ . والإيمان - لابن منده - ٧٥٨/٣ - ٨٨٩ . والرد على الجهمية - للدارمي ص ٥٣ - ٦٨ .
- (١) سورة الشورى ، الآية : ٥١ .
(٢) في الأصل : « متكلموهم » . والمثبت من : س ، ط .
(٣) يقول ابن القيم - رحمه الله - :
- « ثبت بالعقل إمكان رؤيته تعالى ، وبالشرع وقوعها في الآخرة ، فاتفق الشرع والعقل على إمكان الرؤية ووقوعها ، فإن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود ، وما كان أكمل وجوداً كان أحق أن يرى .
فالباري - سبحانه - أحق أن يرى من كل ما سواه ، لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه » .
- راجع : مختصر الصواعق المرسله - لابن القيم للموصلية - ٢٨٠/١ .

الرؤية يجوز تعلقها بكل^(١) موجود ، فيصح إحساس كل موجود ، فما لا يمكن إحساسه يكون معدوماً ، ومنهم من طرّد ذلك في اللمس ، ومنهم من طرده في سائر الحواس ، كما فعله طائفة من متكلمي الصفاية^(٢) الأشعرية وغيرهم .

والمقصود هنا أن أولئك المشركين المناظرين قالوا كلاماً مجملاً ، فجعلوا الخاص عاماً ، والمعين مطلقاً ، حيث قالوا : أنت لم تحسه وما لم تحسه أنت لا يكون موجوداً ، والمقدمة الثانية باطلة لكن موهوها بالمعنى الصحيح ، وهو أن ما لا يمكن^(٣) إحساسه بحال لا يكون موجوداً ، فناظرهم المناظرون من الصابئية^(٤) ، والمقتدى بهم جهم وأصحابه في هذه المقدمة ، حتى أنكروا الحق الذي عليه أولئك الذين موهوه بالباطل ، وزعم هؤلاء أنه قد يكون موجوداً ما لا يمكن إحساسه بحال في وقت من الأوقات لشيء من الموجودات ، وزعموا أن الروح كذلك ، ثم أخذوا هذه المقدمة الباطلة التي نازعوا فيها أولئك المشركين ، فنازعوا فيها إخوانهم المؤمنين ، فصاروا مجادلين للمؤمنين بمثل ما جادلوا به المشركين ، كمن^(٥) قاتل المؤمنين كما قاتل المشركين زعماً منه أنه إن لم يقاتل ذلك القتال استولى عليه المشركون ، كما زعم هؤلاء أنهم إن لم يناظروا المشركين هذه المناظرة استعلى عليهم المشركون ، وانقطعت حجة المؤمنين في المناظرة ، وصاروا عاجزين في النظر والمناظرة ، إذ لم يجدوا بزعمهم طريقاً إلا هذه الطريق المبتدعة

(١) في الأصل : « بغير » . والمثبت من : س ، ط .

(٢) في ط : « الصفاية » .

وسوف يعرف بهم الشيخ - رحمه الله - فيما بعد . راجع ص ٢٧٠ .

(٣) في الأصل : « ما لم يكن » . والمثبت من : س ، ط .

(٤) في ط : « الصابئة » .

(٥) في س : « لمن » .

التي أحدثوها ، المشتملة على حق وباطل ، المتضمنة لجدال المشركين والمؤمنين ، كما أن أولئك المقاتلين لم يجدوا - بزعمهم - قتالاً إلا هذا القتال المبتدع ، المشتمل على قتال المشركين والمؤمنين .

ولفظ الإحساس عام^(١) يستعمل في الرؤية والمشاهدة الظاهرة ، أو الباطنة ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) .

ومعلوم أن الخلق كلهم ولدوا على الفطرة^(٤) ، ومن المعلوم بالفطرة أن ما لا يمكن إحساسه - لا باطناً ولا ظاهراً - لا وجود له ،

-
- (١) في الأصل ، س : « عامة ما ... » . والمثبت من : ط .
يقول ابن الأثير : « الإحساس : العلم بالحواس ، وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف واللسان واليد » .
انظر : النهاية لابن الأثير ١/ ٣٨٤ .
ونقل ابن منظور عن الفراء : « الإحساس الوجود ، نقول في الكلام : هل أحسست منهم أحداً ؟ » .
وعن الزجاج : « أن معنى أحس علم ووجد في اللغة » .
ويقال : هل أحسست صاحبك ؟ أي : هل رأيته ؟ وهل أحسست الخبر ؟
أي : هل عرفته وعلمته ؟
انظر : لسان العرب - لابن منظور ٦/ ٥٠ (حس) .
- (٢) سورة مريم ، الآية : ٩٨ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٥٢ .
(٤) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » .
راجع : صحيح البخاري ٢/ ١٠٤ - كتاب الجنائز - باب ما قيل في أولاد المشركين .
ومعنى « جدعاء » : أي : مقطوعة الأذن .

والعقل هو [الذي] ^(١) ضبط القدر المشترك الكلي الذي بين أفراد الموجودات التي أحسها ، والكلي لا ^(٢) وجود له كلياً ، إلا في الأذهان لا في الأعيان ، فهذه المقدمة الفطرية هي التي عليها أهل الإيمان ، ومن كان باقياً على الفطرة فيها من المشركين واليهود والنصارى والصابئين وغيرهم .

كما أن أهل الفطر كلها متفقون على الإقرار بالصانع ، وأنه فوق العالم ، وأنهم حين دعائه يتوجهون إلى فوق بقلوبهم وعيونهم وأيديهم . ولما كان أصل قول جهم هو قول المبدلين من الصابئية ^(٣) ، وهؤلاء شر من اليهود والنصارى ، وإن كانوا خيراً من المشركين ، كالذين ناظرهم جهم ونحوهم ممن يعطل وجود الصانع ، أو يوجب عبادة إله معه ، فإن هؤلاء الصابئية ^(٣) ليسوا كذلك ، لكنهم وإن لم يوجبوا الشرك فقد لا يحرمونه ، بل يسوغون التوحيد والإشراك جميعاً ، ولا ينكرون هذا ولا هذا ، كما هو موجود في كلامهم ومصنفاتهم ، لكن ليس الناس في التجهم على مرتبة واحدة ، بل انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع ^(٤) ، فإن التجهم والرفض هما أعظم البدع ، أو من أعظم البدع

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط .

(٢) في ط : « ولا » .

(٣) في س ، ط : « الصابئة » .

(٤) في س : « التشيع » . وهو تصحيف .

وتشيع الرجل : إذا ادعى دعوى الشيعة ، أو صار شيعياً .

والشيعة هم : الذي شايعوا علياً - رضي الله عنه - على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جلياً ، وإما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره . أو بتقية من عنده . وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضاً ، وأصولهم ثلاث فرق : الغالية ، والزيدية ، والرافضة (الإمامية) ، وسوف يذكرها الشيخ - رحمه الله - ص ٢٦٣ من هذا الكتاب .

التي أحدثت في الإسلام ، ولهذا كان الزنادقة^(١) المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم ، إنما يتسترون بهذين بالتجهم والتشيع .

قال^(٢) الإمام أبو عبد الله البخاري في كتاب خلق الأفعال : عن أبي عبيد^(٣) « قال : ما أبالي أصليت^(٤) خلف الجهمي أو الرافضي ، أو صليت خلف اليهودي والنصراني^(٥) ، ولا يسلم عليهم ، ولا يعادون ، ولا يناكحون ، ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم .

قال^(٦) : وقال عبد الرحمن بن مهدي^(٧)

= راجع : التعريفات للجرجاني ص ١٢٩ . وكشاف اصطلاحات الفنون - للتهانوي ١٣٦/٤ . وتاج العروس - للزبيدي ٤٠٧/٥ (شيع) . والملل والنحل - للشهرستاني ١٤٦/١ فما بعدها . ومقالات الإسلاميين - للأشعري ٦٥/١ فما بعدها . وأصل الشيعة وأصولها - لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء - ص ٤٢ فما بعدها . والشيعة في الميزان - لمحمد جواد مغنية - ص ١٤ - ١٩ ، ٣٢ - ٤١ . وفجر الإسلام - لأحمد أمين - ص ٢٦٦ - ٢٧٨ .

(١) في الأصل : « الزنادقة » .

وفي ط : « ازنادقة » . والمثبت من : س .

(٢) انظر : خلق أفعال العباد - للبخاري - ص ٣٥ .

(٣) في س : « عبد الله » .

و« عن أبي عبيد » : ساقطة من خلق أفعال العباد .

ولعله : القاسم بن سلام البغدادي الفقيه اللغوي القاضي صاحب التصانيف أبو عبيد : قال عنه أحمد بن حنبل : أبو عبيد أستاذ ، وهو يزداد كل يوم خيراً . ولد سنة ١٥٧ هـ ، وتوفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ - رحمه الله - .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٠٣/١٢ - ٤١٦ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٦٠/٤ - ٦٣ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٤١٧/٢ - ٤١٨ .

(٤) في خلق أفعال العباد : « صليت » .

(٥) في خلق أفعال العباد : « . . والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى » .

(٦) قال : أي : البخاري . وهي إضافة من الشيخ - رحمه الله - والكلام متصل بما قبله في خلق أفعال العباد .

(٧) هو : أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العندي

هما ملتان : الجهمية والرافضة .

هذا وقد^(١) كان أمرهم إذ ذاك لم ينتشر ويتفرع ويظهر فساد ، كما ظهر فيما بعد ذلك ، فإن الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية ، بل كانوا مثبتة للصفات ، وغالبهم يصرح بلفظ الجسم ، وغير ذلك . كما^(٢) قد ذكر الناس مقالاتهم ، كما ذكره^(٣) أبو الحسن الأشعري وغيره في كتاب المقالات^(٤) .

والجهمية لم يكونوا رافضة ، بل كان الاعتزال فاشياً فيهم ، والمعزلة كانوا ضد الرافضة ، وهم إلى النصب أقرب ، فإن الاعتزال

= البصري اللؤلؤي من كبار حفاظ الحديث .

قال عنه الشافعي : لأعرف له نظيراً في الدنيا ، ولد بالبصرة سنة ١٣٥ وتوفي بها سنة ١٩٨ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٢٤٠/١٠ - ٢٤٨ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٣٢٩/١ - ٣٣٢ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٢٧٩/٦ - ٢٨١ .

(١) في ط : « هذان آن وقد » وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : « مما » والمثبت من س ، ط .

(٣) ذكر أبو الحسن الأشعري مقالات الرافضة في كتابه « مقالات الإسلاميين ... » ١٠٦/١ فما بعدها .

(٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - لأبي الحسن الأشعري ، واختصر هذه المقالات محمد بن مطرف الاسترابادي الضبي .

ونشر كتاب المقالات باستنبول سنة ١٩٢٩ م ، ثم طبع مرة ثانية بألمانية الغربية سنة ١٩٦٣ م ، ونشر الجزء الأول منه محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٥٠ م ، ثم نشر الجزأين سنة ١٩٦٩ م ، وأشار في مقدمة الكتاب إلى أن هذه هي الطبعة الثانية .

راجع : تاريخ التراث العربي - لفؤاد سزكين - المجلد الأول - الجزء الرابع - العقائد والتصوف - ص ٣٧ - ٣٨ .

وراجع : مقدمة الكتاب - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . وقد أطال الكلام عن هذا الكتاب ومخطوطاته وطبعاته وطريقة مؤلفه في تأليفه وتسميته ، د . عبد الرحمن بدوي - في كتابه « مذاهب الإسلاميين » ٥٢٣/١ - ٥٢٨ .

حدث من البصرة ، والرفض حدث من الكوفيين ، والتشيع كثر في الكوفة وأهل البصرة كانوا بالضد ، فلما كان بعد زمن^(١) البخاري من عهد بني بويه^(٢) الدليمي^(٣) ، فنشأ في الرفضة التجهم ، وأكثر أصول المعتزلة ، وظهرت القرامطة ظهوراً كثيراً ، وجرى^(٤) حوادث عظيمة ، والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس ، وشيء من دين الصابئية^(٥) ، فأخذوا عن هؤلاء الأصليين النور والظلمة^(٦) ، وعن هؤلاء العقل والنفس ، ورتبوا لهم ديناً آخر ليس هو هذا ولا هذا ، وجعلوا على ظاهره من سيما الرفضة ما يظن الجهال به أنهم رافضة ، وإنما هم زنادقة منافقون ، اختاروا ذلك لأن الجهل والهوى في الرفضة أكثر منه في سائر أهل الأهواء^(٧) .

- (١) في س : « زمان من » .
(٢) بنوبويه : هم ثلاثة أخوة ، عماد الدولة أبو الحسن علي ، وركن الدولة أبو علي الحسن ، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد ، أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام ، ويقال لهم : الديالمة ، لأنهم جاؤوا الديلم ، وكانوا بين أظهرهم مدة ، وكان والدهم فقيراً مدقماً ، وقد ظهر أمرهم وابتدأت دولتهم سنة ٣٢١ هـ .
انظر : الكامل لابن الأثير ٢٦٤/٨ فما بعدها . والباية والنهاية لابن كثير ١٩٤/١١ فما بعدها .
(٣) في س ، ط : « الديلم » .
(٤) في س : « أجرى » وهو تصحيف .
(٥) في ط : « الصابئية » .
(٦) في ط : « الظلمة » .
(٧) روى أبو سعيد الدارمي في كتابه « الرد على الجهمية - ص ١١٢ » قال : « حدثنا الزهراني أبو الربيع قال : كان من هؤلاء الجهمية رجل ، وكان الذي يظهر من رأيه الترفض ، وانتحال حب علي - رضي الله عنه - فقال رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه : قد علمت أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام ، ولا تعتقدونه فما الذي حملكم على الترفض ، وانتحال حب علي ؟
قال : إذا صدقتك : إنا ، وإن أظهرنا رأينا الذي نعتقده ، رمينا بالكفر والزندقة =

والشيعة^(١) هم ثلاث درجات :

شرها الغالية^(٢) : الذين جعلوا^(٣) لعلي شيئاً من الإلهية ، أو يصفونه بالنبوة ، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الإسلام ، وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه ، وهم يشبهون اليهود من وجوه آخر^(٤) .

= وقد وجدنا أقواماً يتحلون حب علي ويظهرونه ، ثم يقعون بمن شاؤوا ، ويعتقدون ما شاؤوا ، ويقولون ما شاؤوا ، فنسبوا بذلك إلى الترفض والتشيع ، فلم نر لمذهبن أماً أطف من انتحال حب هذا الرجل ، ثم نقول ما شئنا ، ونعتقد ما شئنا ونقع بمن شئنا ، فلأن يقال لنا : رافضة أو شيعة أحب إلينا من أن يقال : زنادقة كفار ، وما علي عندنا أحسن حالاً من غيره ممن نقع بهم . قال أبو سعيد - رحمه الله - وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ ، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم وبصرائهم أنهم يستترون بالتشيع ، يجعلونه تشبيهاً لكلامهم وخطبهم ، وسلماً وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة ثم يبدون بين ظهرائهم بذر كفرهم وزندقتهم ليكون أنجع في قلوب الجهال وأبلغ فيهم . . . » .

(١) في هامش الأصل : « مطلب : ذكر فرق الرافضة وبعدهم فرق الجهمية » .

وفي هامش س : « تقسيمه للشيعة » .

(٢) الغالية : هم الذين غلوا في حق أئمتهم ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية وأباحوا محرمات الشريعة ، وأسقطوا فرائضها .

وشبهاتهم نشأت من مذاهب الحلولية ، ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة .

وهم فرق متعددة يجمعها القول بالتشبيه ، والبداء ، والرجعة ، والتناسخ . راجع في شأنهم : مقالات الإسلاميين - للأشعري ١/٦٦ - ٨٨ . والفرق بين الفرق - للبغدادي ص ٢٣ . والملل والنحل - للشهرستاني ١/١٧٣ - ١٨٩ . واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٨٦ - ٩٣ .

(٣) في س ، ط : « يجعلون » .

(٤) في س ، ط : « أخرى » .

والدرجة الثانية ، وهم الرافضة ، المعروفون كالإمامية^(١) وغيرهم : الذين يعتقدون أن علياً هو الإمام الحق بعد النبي ﷺ بنص جلي أو خفي ، وأنه ظلم (ومنع)^(٢) حقه ، ويبغضون أبا بكر وعمر ، ويشتمونهما ، وهذا عند^(٣) الأئمة سيما الرافضة ، وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما .

والدرجة الثالثة : المفضلة من الزيدية^(٤) وغيرهم : الذين يفضلون علياً على (أبي)^(٥) بكر وعمر ، ولكن يعتقدون إمامتهما وعدالتهما ويتولونهما ، فهذه الدرجة - وإن كانت باطلة - فقد نسب إليها طوائف من أهل الفقه والعبادة ، وليس أهلها قريباً ممن قبلهم ، بل هم إلى أهل السنة أقرب منهم إلى الرافضة ، لأنهم ينازعون الرافضة في إمامة الشيخين وعدلتهما وموالاتهما ، وينازعون أهل السنة في فضلتهما على علي ، والنزاع الأول أعظم ، ولكنهم^(٦) هم المرقاة^(٧) التي تصعد منه الرافضة فهم لهم باب .

(١) تقدم التعريف بهم . راجع ص ٢٥٩ .

(٢) في الأصل : « ومنعه » . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

(٣) في س ، ط : « وهذا هو عند » .

(٤) الزيدية : فرقة من الشيعة ، وهم المنسوبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهم فرق : الجارودية ، والسليمانية ، والصالحية ، والبترية ، وهذه يجمعها القول بإمامة زيد بن علي في أيام خروجه في زمن هشام بن عبد الملك .

راجع : الفرق بين الفرق - للخطيب البغدادي ص ٢٢ - ٢٣ . والملل والنحل - للشهرستاني ١٥٤/١ - ١٦٢ . واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٧٧ - ٧٨ . وكشاف اصطلاحات الفنون - للتهانوي ١١٣/٣ .

(٥) في الأصل : « أبا » . وهو خطأ . والمثبت من : س ، ط .

(٦) في س ، ط : « ولكن هم » .

(٧) المرقاة : بفتح الميم وكسرها : الدرجة ، واحدة من مراقي الدرج . انظر : لسان العرب لابن منظور ٣٣٢/١٤ (رقا) .

وكذلك^(١) الجهمية على ثلاث درجات :

فشرها الغالية^(٢) : الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى ، قالوا : هو مجاز فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا تكلم^(٣) ولا يتكلم ، وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم كما ذكره الإمام أحمد فيما أخرجه في الرد على الزنادقة والجهمية^(٤) :

قال^(٥) : فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً ، ولكنهم^(٦) يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في^(٧) العلانية ، فإذا قيل لهم : فمن تعبدون ؟ قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق .

فقلنا : فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق ، هو مجهول لا يعرف بصفة ؟

(١) في هامش س : « قف على تقسيم الجهمية » .
(٢) الشيخ - رحمه الله تعالى - كثيراً ما يطلق لفظ الجهمية على من يشترك معهم في بعض ما يعتقدونه ، لأنهم دخلوا فيهم وشاركوهم الرأي ، فمذهب الجهمية يقوم مثلاً على نفي أسماء الله وصفاته ، ومن نفى عن الله شيئاً من الأسماء أو الصفات مما أثبتته لنفسه أو أثبت له رسوله - عليه الصلاة والسلام - فقد شارك الجهمية فيما نفاه وإن أثبت البعض ، بل ويصح أن يطلق عليه جهمي .
وتقسيم الشيخ - رحمه الله - للجهمية مبني على هذا الأساس - كما سنراه على الصفحات التالية .

والغالية : التي وصمها الشيخ - رحمه الله - بأنها شر الدرجات الثلاث هم القرامطة الباطنية وأبرزهم : (الإسماعيلية) ، كما سيأتي كلام الشيخ - رحمه الله - ص ١٤٩ .

(٣) في ط : « متكلم » .

(٤) الرد على الجهمية والزنادقة - للإمام أحمد بن حنبل ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٥) في الأصل : « قالوا » . والمثبت من : س ، ط .

(٦) في الرد على الجهمية - : « ولكن » .

(٧) في الرد على الجهمية - : « من » .

قالوا : نعم . قلنا : قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً ، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون^(١) .

فقلنا لهم : هذا الذي [يدبر]^(٢) هو الذي كلم موسى .

قالوا : لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله^(٣) منتفية^(٤) ، وإذا^(٥) سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم إنما يعود^(٦) قولهم إلى ضلالة^(٧) وكفر .

وقال^(٨) أبو الحسن الأشعري في كتاب « الإبانة »^(٩) باب الرد على الزنادقة^(١٠) الجهمية ، في نفيهم علم الله وقدرته^(١١) ، قال الله عز وجل :

(١) في الرد على الجهمية - : « بما تظهرونه » .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والرد على الجهمية ...

(٣) « عن الله » : ساقطة من : الرد على الجهمية .

(٤) في س ، والرد على الجهمية .. : « منفية » .

(٥) في الرد على الجهمية .. : « فإذا » .

(٦) في الأصول : « يقولون » .

وفي س ، ط : « يقودون » . والمثبت من : الرد على الجهمية ..

(٧) في س ، ط : « ضلال » .

(٨) الإبانة عن أصول الديانة - للأشعري ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٩) الإبانة عن أصول الديانة : هو آخر كتاب لأبي الحسن الأشعري ، شرح فيه

عقيدته ، وبين انتسابه للإمام أحمد - رحمه الله - ، ورد على المعتزلة آراءهم

وأقام الحجج والبراهين على بطلانها ، وقد طبع الكتاب سنة ١٣٢١ هـ بحيدر

أباد ، وفي القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ، ثم توالى بعد ذلك طبعاته .

انظر : تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ٤٠/٤ . وتاريخ التراث العربي

- العقائد والتصوف - لسزكين - ٣٨/٤/١ - ٣٩ . ومذاهب الإسلاميين

- عبد الرحمن بدوي ١/٥١٥ - ٥١٨ . والمقدمة لكتاب الإبانة - تحقيق عبد القادر

الأرناؤوط - والتي كتبها بشير عيون - ص ٣ - ٦ .

(١٠) « الزنادقة » : ساقطة من : س ، ط ، والإبانة .

(١١) في الأصل : « وقوته » . والمثبت من : س ، ط ، والإبانة .

﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾^(١) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا نَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا نَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾^(٢) وقال سبحانه : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ ﴾^(٣) وذكر العلم في خمسة مواضع من كتابه ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾^(٤) وذكر تعالى القوة ، فقال : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾^(٥) وقال : ﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾^(٦) وقال سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾^(٧) .

وزعمت الجهمية والقدرية^(٨) أن الله لا علم له ولا قدرة ولا حياة

(١) سورة النساء ، الآية : ١٦٦ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : ١١ .

(٣) سورة هود ، الآية : ١٤ .

ولم تذكر هذه الآية في : س .

وفي الأصل : (.. أنزل بعلمه) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٥) سورة فصلت ، الآية : ١٥ .

(٦) سورة الذاريات ، الآية : ٥٨ .

(٧) سورة الذاريات ، الآية : ٤٧ .

(٨) « القدرية » ساقطة من : الإبانة .

والقدرية هم : جاحدوا القدر ونفاته ، وأول من تكلم به في زمن الصحابة معبد الجهني بالبصرة ، وعنه أخذ عيلان الدمشقي ، وأخذ معبد هذه المقالة عن رجل من أهل العراق ، يقال له : سوسن ، كان نصرانياً فأسلم ، ثم تنصر ، وقد ذم الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعون لهم القدرية .

وهم أصناف ذكر منهم شيخ الإسلام .

١ - القدرية الشركية .

٢ - القدرية المجوسية .

٣ - القدرية الإبليسية .

راجع : تاج العروس - للزبيدي - ٤٨٣/٣ (قدر) . ومجموع فتاوى شيخ

الإسلام ٢٥٦/٨ - ٢٦١ . والتبصير في الدين - للإسفرائيني ص ٢١ . وسير

أعلام النبلاء - للذهبي - ١٨٥/٤ - ١٨٧ .

ولا سمع ولا بصر^(١) ، وأرادوا أن [ينفو]^(٢) أن الله عالم قادر [حي]^(٣) سميع بصير ، فمنعهم خوف^(٤) السيف من إظهار نفي ذلك ، فأتوا بمعناه لأنهم [إذا]^(٥) قالوا : لا علم ولا قدرة لله^(٦) ، فقد قالوا : إنه ليس بعالم ولا قادر ، ووجب ذلك عليهم .

قال^(٧) : وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل ، لأن الزنادقة قال كثير منهم : ليس^(٨) بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ، فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك ، فأتت بمعناه ، وقالت : إن الله عز وجل عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية ، من غير أن تثبت^(٩) له علماً أو قدرة أو سمعاً أو بصر^(١٠) .

وكذلك [قال]^(١١) في كتاب « المقالات »^(١٢) : الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين ، وعمى العميين ، وحيرة المتحيرين ، الذين نفوا

-
- (١) في الإبانة : « ولا بصر له » .
 - (٢) في الأصل : « ينفون » . والمثبت من : س ، ط ، والإبانة .
 - (٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والإبانة .
 - (٤) في جميع النسخ : « من ذلك خوف » . والمثبت من : الإبانة . ليستقيم السياق .
 - (٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والإبانة .
 - (٦) في الإبانة : « لا علم لله ولا قدرة له » .
 - (٧) يعني : أبا الحسن الأشعري .
 - (٨) وكلمة « قال » : إضافة من الشيخ ، والكلام متصل بما قبله .
 - (٩) في الإبانة : « إن الله ليس ... » .
 - (١٠) في ط : « تثبت » .
 - (١١) وفي الإبانة : « يثبتوا » .
 - (١٢) في الإبانة : « ... له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر » .
 - (١٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
 - (١٤) مقالات الإسلاميين ١٧٦/٢ - ١٧٧ .

صفات رب العالمين ، وقالوا^(١) : إن الله - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه - لا صفات له ، وإنه^(٢) لا علم له ، ولا قدرة [له]^(٣) ، ولا حياة له ، ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولا عزة^(٤) له ، ولا جلال له ، ولا عظمة له ، ولا كبرياء له ، وكذلك قالوا في [سائر]^(٥) صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه^(٦) .

« قال »^(٧) : وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة ، الذين يزعمون أن للعالم صناعاً لم يزل ، ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ولا قدير^(٨) ، وعبروا عنه بأن قالوا نقول : عين^(٩) لم يزل ، ولم يزدوا على ذلك ، غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات ، لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره ، فأظهروا معناه فنفوا^(١٠) أن يكون للباري علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت^(١١) الفلاسفة تظهره [من ذلك]^(١٢)

-
- (١) في الأصل : « وقال » . والمثبت من : س ، ط ، والمقالات .
(٢) « أنه » : ساقطة من : س .
(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : المقالات .
(٤) في المقالات : « عز » .
(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمقالات .
(٦) في الأصل ، س : « لنفسه » . والمثبت من : ط .
وفي المقالات : « .. يوصف بها لنفسه .. » .
(٧) يعني : أبو الحسن الأشعري .
« قال » : إضافة من الشيخ ، والكلام متصل بما قبله .
(٨) في المقالات : « ولا قديم » .
(٩) في الأصل : « عن » .
وفي س ، ط : « غير » . والمثبت من : المقالات .
(١٠) في المقالات : « بنفيهم » .
(١١) في س : « مانت » . وهو تصحيف .
(١٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمقالات .

ولأفصحوا به ، غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك .

« قال »^(١) : وقد أفصح بذلك رجل يعرف بابن الإيادي^(٢) ، كان ينتحل قولهم ، فزعم أن الباري عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة .

وهذا القول الذي هو قول الغالية النفاة للأسماء حقيقة هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من إخوانهم الصابئية الفلاسفة .

والدرجة الثانية من التجهم : هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنی في الجملة ، لكن ينفون صفاته ، وهم - أيضاً - لا يقرون بأسماء الله الحسنی كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيراً منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون .

وأما الدرجة الثالثة : فهم^(٣) الصفاتية المشتون^(٤) المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التجهم ، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية ، أو غير الخبرية ، ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها ، ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث ، كما عليه كثير من أهل الكلام والفقهاء وطائفة من أهل الحديث ، ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار - أيضاً - في الجملة ، لكن مع نفي لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول ، وذلك كأبي محمد بن كلاب ومن اتبعه ، وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث

(١) يعني : أبو الحسن الأشعري .

(٢) في ط : « الأباري » .

وابن الإيادي لم أعثر له على ترجمة .

(٣) « فهم » ساقطة من : س .

(٤) في س : « المشتون » وهو تصحيف .

والتصوف ، وهؤلاء^(١) إلى أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية ، لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة المحضة ، فإن هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعاً عظيماً فيما يشبونه من الصفات وأعظم من منازعتهم لسائر أهل الإثبات فيما ينفون .

وأما « المتأخرون »^(٢) فإنهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر ، وقدموهم على أهل السنة والإثبات ، وخالفوا أوليهم ، ومنهم من يتقارب نفيه وإثباته ، وأكثر الناس يقولون : إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والإثبات .

وفي^(٣) هذه الدرجة حصل النزاع في مسألة الحرف والصوت ، والمعنى القائم بالنفس ، وذلك [أن الجهمية]^(٤) لما أحدثت^(٥) القول بأن القرآن مخلوق ، ومعناه أن الله لم يصف نفسه بالكلام أصلاً ، بل حقيقته أن الله لم يتكلم ولا يتكلم^(٦) ، كما أفصح به رأسهم الأول الجعد بن درهم ، حيث زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، لأن الخلقة إنما تكون من المحبة ، وعنده أن الله لا يحب شيئاً في الحقيقة ولا يحبه [شيء]^(٧) في الحقيقة ، فلا يتخذ شيئاً خليلاً ، وكذلك الكلام يمتنع عنده على الرب تعالى .

-
- (١) « وهؤلاء » : مكررة في الأصل ، والكلام يستقيم بالمثبت .
 - (٢) في الأصل وس : المستأخرون .
 - (٣) في هامش س : « النزاع في مسألة الحرف والصوت » .
 - (٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
 - (٥) في الأصل : « لما أن حدثت » . والمثبت من : س ، ط .
 - (٦) « ولا يتكلم » : ساقطة من : س .
 - (٧) في الأصل ؛ س : « شيئاً » . والمثبت من : ط . وهو الصواب .

وكذلك نفت الجهمية من المعتزلة وغيرهم أن يكون لله كلام^(١) قائم به ، أو إرادة قائمة به ، وادعوا ما باهتوا به صريح العقل المعلوم بالضرورة أن المتكلم يكون متكلماً بكلام يكون^(٢) في غيره ، وقالوا - أيضاً- يكون مريداً بإرادة ليست فيه ولا في غيره ، أو الإرادة وصف عدمي ، أو ليست غير المرادات^(٣) المخلوقة ، وغير الأمر هو الصوت المخلوق في غيره .

فكان حقيقة قولهم : التكذيب بحقيقة ما أخبرت به الرسل من كلام الله ومحبه ومشيتته ، وإن كانوا قد يقرون بإطلاق الألفاظ التي أطلقتها الرسل ، وهذا حال الزنادقة المنافقين ، من الصابئين والمشركين ، من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم فيما أخبرت به الرسل في باب الإيمان بالله [واليوم الآخر]^(٤) والملائكة والكتاب والنبين ، بل وفيما أمرت^(٥) به - أيضاً- وهم مع ذلك يقرون بكثير مما^(٦) أخبرت به الرسل وتعظيم أقدارهم ، فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .

لكن هؤلاء المتفلسفة يقولون : إن كلام الله هو ما يفيض على نفوس الأنبياء الصافية القدسية من العقل الفعال^(٧)

-
- (١) في س : « كلاماً » . وهو خطأ .
(٢) « يكون » ساقطة من : س .
(٣) في الأصل : الإيرادات والمثبت من س وط .
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
(٥) في الأصل : « أخبرت » . والمثبت من : س ، ط . وهو المناسب .
(٦) في الأصل : « ما » . والمثبت من : س ، ط . وهو المناسب .
(٧) الفلاسفة يرون أن العالم كله مفعول ومصنوع لشيء يسمى العقل الفعال ، فهو - بزعمهم - رب الكائنات ، ومبدع الأرض والسموات ، ولكنه لازم للواجب بنفسه ومعلول له ، وأنه يلزمه عقل ونفس وفلك ، ثم يلزم ذلك العقل عقل ونفس وفلك حتى ينتهي الأمر إلى العقل العاشر ، الذي يفيض العلم والنبوة في أنفس العباد ، وعنه صدر القرآن والتوراة وغير ذلك .

الذي^(١) يزعمون أنه الروح المفارق للأجسام ، الذي هو العقل العاشر كفلك القمر ، ويزعمون^(٢) أنه الذي يفيض منه ما في هذا العالم من الصور والأعراض ، ويزعم من يزعم من مناقبيهم الذين يحاولون^(٣) الجمع بين النبوة وبين قولهم بأن ذلك هو جبرائيل^(٤) .

ويقولون : إن تلك المعاني التي تفيض على نفس النبي والحروف التي تتشكل في نفسه هي كلام الله ، كما يزعمون أن ما يتصور في نفسه من

= يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - :

« ... وأما هؤلاء فيقولون : إن العقول - التي يسميها من يتظاهر بالإسلام منهم ملائكة - يقولون : إنها معلولة متولدة عن الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته ، ويقولون : إنها هي رب العالم .

فالعقل الأول أبدع كل ما سوى الله عندهم ، والثاني أبدع ما سوى الله وسوى العقل الأول ، حتى ينتهي الأمر إلى العقل العاشر الفعال المتعلق بفلك القمر ، فيقولون : إنه أبدع ما تحت الفلك ، فهو عندهم المبدع لما تحت السماء من هواء وسحاب وجبال وحيوان ونبات ومعادن ، ومنه يفيض الوحي والعلم على الأنبياء وغيرهم ، والخطاب الذي سمعه موسى - عليه السلام - إنما كان عندهم في نفسه لا في الخارج ، وهو فيض فاض عليه من هذا العقل الفعال ، ومنهم من يقول : جبريل .»

انظر : الصفدية لابن تيمية ٨/١ ، ٩ .

وقد بين - رحمه الله - في هذا الكتاب أن أصل قولهم : إن الصانع لا يمكنه تغيير العالم ولا قدرة له ولا اختيار في تصريفه من حال إلى حال ، ولكي يطرّد قولهم ويسلم من التناقض نسبوا جميع الحوادث إلى أمور طبيعية . ونقضه - رحمه الله - بما يكفي ويشفي وبين أن كفرهم أعظم من كفر النصارى الذين يقرون بأن له خلق جميع المخلوقات لكنه اتحد بالمسيح .

راجع : درء تعارض العقل والنقل ٨٢/٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(١) في الأصل ، س : « الذين » . والمثبت من : ط . ولعله المناسب للفهم .

(٢) في س ، ط : « يزعمون » بدون « واو » .

(٣) في الأصل : « يجادلون » والمثبت من : س ، ط .

(٤) في ط : « جبريل » .

الصور النورانية هي ملائكة الله ، فلا وجود لكلام الله عندهم خارجاً عن نفس النبي ﷺ^(١) وكذلك الملائكة غير العقول العشرة والنفوس التسعة التي هم^(٢) متنازعون^(٣) فيها ، هل هي جواهر أو أعراض ؟ إنما الملائكة ما يوجد في [النفوس و]^(٤) الأبدان من القوى الصالحة ، والمعارف والإرادات الصالحة ونحو ذلك .

وحقيقة ذلك أن القرآن إنشاء الرسول وكلامه ، كما قال ذلك فيلسوف^(٥) قريش وطاقوتها الوحيد : الوليد بن المغيرة^(٦) ، الذي قال الله فيه : ﴿ ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمَهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينًا ۖ سَأَرْهَقُهُ ۖ ﴾

(١) « ﷺ » : ساقطة من : س ، ط .

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : إن المتفلسفة : « يجعلون النبوة فيضاً يفيض من العقل الفعال على نفس النبي ، ويجعلون ما يقع في نفسه من الصور هي ملائكة الله ، وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو كلام الله ، ولهذا يجعلون النبوة مكتسبة ، فإذا استعد الإنسان بالرياضة والتصفية ، فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء » .

انظر : درء تعارض العقل والنقل - لابن تيمية - ٣٥٣/٥ .

(٢) في س ، ط : « أكثرهم » .

(٣) « متنازعون » مكررة في الأصل .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

(٥) في الأصل : « فيالسوف » . والمثبت من : س ، ط .

(٦) هو : أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها ، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد ، أدرك الإسلام وهو شيخ هرم ، ومات بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، وولادته كانت سنة ٩٥ ق.هـ .

راجع : الكامل لابن الأثير ٧١/٢ - ٧٢ . والأعلام - للزركلي - ١٤٤/٩ .

صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ (١) إلى قوله : ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢) . وهذا قول وقع فيه طوائف من متأخري غالبية المتكلمة والمتصوفة ، الذين ضلوا بكلام المتفلسفة ، فوقعوا فيما ينافي أصلي الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، بما وقعوا فيه من الإشراك ، وجحود حقيقة الرسالة ، فهذا قول من قاله (٣) من غالبية الجهمية .

وأما (٤) الجهمية المشهورون من المعتزلة ونحوهم فقالوا : إنه يخلق كلاماً في غيره ، إما في الهواء ، وإما بين ورق الشجرة التي كلم منها موسى ، وإما غير ذلك ، فذلك هو كلام الله عندهم ، وإذا قالوا : إن الله متكلم حقيقة ، وأن له كلاماً حقيقة ، فهذا معناه عندهم .

وهذا (٥) تبديل للحقيقة التي فطر الله عليها عباده ، واللغة التي اتفق (٦) عليها بنو آدم ، والكتب التي أنزلها الله من السماء ، ولما كان من المعلوم بالفطرة الضرورية التي اتفق عليها بنو آدم إلا من اجتالت (٧)

(١) في س : (... فقتل كيف قدر) .

(٢) سورة المدثر ، الآيات : ١١ - ٢٥ .

(٣) في ط : « قال » .

(٤) في الأصل : « وأما قول » . والمثبت من : س ، ط . وهو ما يستقيم به الكلام .

(٥) في س ، ط : « وهو » .

(٦) في س : « ابقوا » .

(٧) في س : اجتالته » .

وقد روى مسلم في صحيحه عن عياض المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا . كل مال نحلته عبداً حلالاً ، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم - (اجتالتهم الشياطين : أي : استخفتمهم ، فجالوا معهم في الضلال . وجال واجتال : إذا ذهب وجاء ، والجالل : الزائل عن مكانه . انظر لسان العرب - لابن منظور - ١١/١٣١ (جول)) - عن دينهم وحرمت عليهم =

الشياطين فطرته أن المتكلم هو الذي يقوم به الكلام ، ويتصف به ، كذلك المحب والمريد ومن تقوم به المحبة والإرادة ، كما أن العليم^(١) [والقدير]^(٢) من يقوم به العلم والقدرة ، وقد قالوا : إنه^(٣) ليس لله كلام إلا ما يكون قائماً بغيره كالشجرة ، لزم أن تكون الشجرة هي المتكلمة بالكلام الذي خاطب الله به موسى ، ولهذا قال^(٤) عبد الله بن المبارك : « من قال : إني أنا الله لا إله إلا أنا : مخلوق ؛ فهو كافر ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك » .

لأن حقيقة قولهم : إن المخلوق هو القائل لذلك .

وكذلك قال^(٥) يحيى بن سعيد القطان^(٦) ، وذكر له أن قوماً يقولون : « القرآن مخلوق ، فقال : كيف يصنعون^(٧) » ب : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ

-
- = ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . . . » الحديث .
 راجع صحيح مسلم ٢١٩٧/٤ - كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها - الصفات ، التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار . حديث ٦٣ .
- (١) العليم : مكررة في : الأصل .
 (٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط . يقتضيها الكلام .
 (٣) « إنه » ساقطة من : س ، ط .
 (٤) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٣١ عن ابن مقاتل قال : سمعت ابن المبارك يقول : . . .
 (٥) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٣٣ عن أبي الوليد قال : سمعت يحيى . . .
 (٦) هو : أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ القطان ، أمير المؤمنين في الحديث ، قال عنه ابن سعد : كان ثقة مأموناً رفيعاً حجة . وقال عنه الإمام أحمد : ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد . ولد سنة ١٢٠ هـ . وتوفي بالبصرة سنة ١٩٨ هـ .
 راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد ٢٩٣/٧ . والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٥٠/٢/٤ - ١٥١ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ١٧٥/٩ - ١٨٨ .
 (٧) في خلق أفعال العباد : « تصنعون » .

أحدٌ^(١)؟ كيف يصنعون^(٢) بقول : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾^(٣) ؟ » .

وقال^(٤) سليمان بن داود الهاشمي^(٥) : « من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، وإن كان القرآن مخلوقاً - كما زعموا - فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار ، إذ قال : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٦) [وزعموا أن هذا مخلوق ، والذي قال : [﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي﴾^(٨) هذا^(٩) - أيضاً - قد^(١٠) ادعى ما ادعى فرعون ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار من هذا ؟ وكلاهما^(١١) عنده مخلوق » . فأخبر بذلك أبو عبيد^(١٢) فاستحسنه^(١٣) .

-
- (١) سورة الإخلاص ، الآية : ١ .
 - (٢) في خلق أفعال العباد : « تصنعون » .
 - (٣) سورة طه ، الآية : ١٤ .
 - (٤) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٣٦ : عن سليمان بن داود . .
 - (٥) هو : أبو أيوب سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي البغدادي الفقيه . روى عن ابن عيينة والشافعي وغيرهما . ثقة صدوق . توفي سنة ٢١٩ هـ .
 - راجع : تهذيب التهذيب - لابن حجر - ١٨٧/٤ - ١٨٨ . و خلاصة تهذيب تهذيب الكمال - لصفي الدين الأنصاري ص ١٥١ .
 - (٦) سورة النازعات ، الآية : ٢٤ .
 - (٧) في جميع النسخ : « وقال غيره » . والمثبت بين المعقوفتين من خلق أفعال العباد .
 - (٨) سورة طه ، الآية : ١٤ .
 - في الأصل : « إني » والمثبت هو الصواب .
 - (٩) في ط : « فهذا » .
 - (١٠) في الأصل ، س : « فقد » والمثبت من : ط ، وخلق أفعال العباد .
 - (١١) في خلق أفعال العباد : « وكلاً منهما » .
 - (١٢) لعله أبو عبيد القاسم بن سلام . وقد تقدمت ترجمته ص ٢٦٠ .
 - (١٣) في خلق أفعال العباد : « فاستحسنه وأعجبه » .

قال البخاري^(١) : وقال علي بن عاصم^(٢) : الذين قالوا : إن الله ولدأأكفر من الذين قالوا : إن الله لا يتكلم .

وقال^(٣) : احذر من^(٤) المريسي وأصحابه ، فإن كلامهم يستجلب^(٥) الزندقة ، وأنا كلمت أستاذهم جهماً^(٦) فلم يثبت أن في السماء إلهاً .

قال البخاري^(٧) : وقال عبد الرحمن بن عفان^(٨) : سمعت سفیان بن عيينة يقول : في السنة التي ضرب فيها المريسي ، فقام ابن عيينة من مجلسه مغضباً فقال : ويحكم القرآن كلام الله ، وقد صحبت

(١) في خلق أفعال العباد ص ٣٢ : « عن علي . . . » .
(٢) هو : أبو الحسن علي بن عاصم بن صهيب القرشي التيمي ، الإمام العالم شيخ المحدثين ، روى عنه الإمام أحمد وغيره ، ولد سنة ١٠٩ هـ ، وتوفي بواسط سنة ٢٠١ هـ .

راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣١٣/٧ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي ٢٤٩/٩ - ٢٦٢ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣٤٤ - ٣٤٨ .

(٣) يعني : علي بن عاصم .

(٤) في ط : « ابن » وهو تصحيف .

(٥) في الأصل : « أبي جد » .

وفي س : « أبي جاد » .

وفي ط : « . . . كلاً منهم ابن جد الزندقة .

والمثبت من : خلق أفعال العباد . وهو ما يستقيم به الكلام .

(٦) في الأصل : « جمعاً » . وهو تصحيف .

وفي ط : « جعداً » . وهو خطأ . والمثبت من : س ، وخلق أفعال العباد .

(٧) في خلق أفعال العباد ص ٣٣ : عن عبد الرحمن بن عفان أنه قال : ذكر أمام سفیان بن عيينة التي ضرب فيها المريسي فقام ابن . . .

(٨) هو : أبو بكر عبد الرحمن بن عفان السرخسي ، سكن بغداد ، وروى عن السماك فضيل بن عياض وغيرهما ، وذكره ابن حبان في الثقات .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١٠/٢٦٤ ، ٢٦٥ . ولسان الميزان - لابن حجر ٣/٤٢٣ ، ٤٢٤ .

الناس وأدركتهم ، هذا عمرو بن دينار^(١) ، وهذا ابن المنكدر^(٢) [حتى]^(٣) ذكر منصوراً^(٤) ، والأعمش^(٥) ، ومسعر بن كدام^(٦) ، فقال

(١) هو : أبو محمد عمرو بن دينار المكي الجمحي مولاهم ، الحافظ الإمام ، عالم الحرم ومفتي أهل مكة في زمانه ، قال شعبة : ما رأيت أحداً أثبت في الحديث من عمرو ، ولد سنة ٤٦ هـ ، وتوفي سنة ١٢٦ هـ .

راجع : تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢٧/٢ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي ١١٣/١ ، ١١٤ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ٢٨/٨ - ٣٠ .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز بن عامر بن الحارث التيمي ، أحد الأئمة الأعلام ، سمع أبا هريرة وابن عباس وغيرهما ، وكان من سادات القراء . يقول الذهبي : مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل ، توفي سنة ١٣٠ هـ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي ١٢٧/١ ، ١٢٨ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ٤٧٣/٩ - ٤٧٥ . وخلاصة تهذيب الكمال لأحمد بن عبد الله الخزرجي ص ٣٦٠ .

(٣) في الأصل : « قد » . والمثبت من : س ، ط ، وخلق أفعال العباد .

(٤) في خلق أفعال العباد : « ذكروا منصور ... » .

وهو : أبو عتاب منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة - بضم الراء وتشديد الباء السلمي الكوفي أحد الأعلام ومن كبار التابعين ، يقول الثوري : ما خلفت بالكوفة أمن على الحديث من منصور . توفي سنة ١٣٢ هـ .

راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٣٧/٦ . وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١١٤/٢ ، ١١٥ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي ٤٠٢/٥ - ٤١٢ .

(٥) هو : أبو محمد سليمان بن مهران المعروف بالأعمش ، مولى بني كاهل بن أسد شيخ المقرئين والمحدثين ، روى عنه أبو حنيفة والأوزاعي وخلق كثير ، قال عنه النسائي : ثقة ثبت . ولد سنة ٦٠ هـ ، وتوفي سنة ١٤٨ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي ٣/٩ - ١٣ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان ٤٠٠/٢ - ٤٠٣ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي ٢٢٦/٦ - ٢٤٨ .

(٦) هو : أبو سلمة مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث الهلالي الكوفي الإمام الثبت شيخ العراق ، روى عنه الثوري وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم . توفي سنة ١٥٥ هـ .

ابن عيينة : قد تكلموا في الاعتزال والرفض والقدر ، وأمرونا^(١) باجتنب القوم ، فما نعرف القرآن إلا كلام الله فمن^(٢) قال غير هذا فعليه لعنة الله ، ما أشبه هذا القول بقول النصارى ، لا^(٣) تجالسوهم ولا تسمعوا كلامهم .

قال البخاري^(٤) : حدثني الحكم بن محمد الطبري^(٥) ، حدثنا سفيان بن عيينة قال : أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون^(٦) : القرآن كلام الله وليس بمخلوق .

وكذلك - أيضاً - فالله تعالى قد خلق كلاماً في غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٧) ومن ذلك كلام الذراع^(٨) للنبي ﷺ وتسليم

- = راجع : تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٨٩/٢ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي ١٦٣/٧ - ١٧٣ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ١١٣/١٠ - ١١٥ .
- (١) في خلق أفعال العباد : « وأمروا » .
 - (٢) في خلق أفعال العباد : « ومن » .
 - (٣) في خلق أفعال العباد : « ولا .. » .
 - (٤) في خلق أفعال العباد ص ٢٩ .
 - (٥) هو : أبو مروان الحكم بن محمد الطبري نزيل مكة ، روى عن ابن عيينة وغيره ، وثقه ابن حبان وقال : توفي سنة بضع عشرة ومائتين .
 - راجع : تهذيب التهذيب - لابن حجر ٤٣٨/٢ . وخلاصة تهذيب تهذيب الكمال - لصفى الدين الأنصاري - ص ٩٠ .
 - (٦) في الأصل : « يقول » والمثبت من : س ، ط ، وخلق أفعال العباد .
 - (٧) سورة فصلت ، الآية : ٢١ .
 - (٨) إشارة إلى ما ورد في حديث جابر وغيره في قصة خيبر ، وأن الذراع أخبر الرسول ﷺ بأنها مسمومة .

فقد روى أبو داود وغيره عن ابن شهاب الزهري قال : كان جابر بن عبد الله يحدث « أن امرأة يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية - مصلية أي : مشوية - ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذراع ، فأكل منها ، وأكل رهط =

الحجر^(١) عليه ، وغير ذلك مما^(٢) يطول ، ومعلوم أن ذلك ليس كلام الله ، لا سيما من علم أن الله خالق كل شيء ، وهو خالق أفعال العباد من كلامهم وحركاتهم وغير ذلك ، فكل ذلك يجب أن يكون كلاماً لله ، إن

= من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها : « أسممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : « أخبرتني هذه في يدي » للذراع ، قالت : نعم ، قال : « فما أردت إلى ذلك ؟ » قال : قلت : إن كان نبياً فلن يضره ، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه ، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها ، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة . . . » الحديث .

راجع : سنن أبي داود ٦٤٨/٤ كتاب الديات - باب فيمن سقى رجلاً سمياً أو أطعمه فمات أيقاد منه ؟ . وسنن الدارمي ٣٤/١ - المقدمة - باب ما أكرم به نبيه ﷺ من كلام الموتى . وجامع الأصول لابن الأثير ٣٢٨/١١ حديث ٨٨٨٨ - الباب الخامس - الفصل الأول - في إخباره عن المغيبات .

يقول الشيخ عبد القادر الأرنؤوط - محقق جامع الأصول لابن الأثير ٣٢٨/١١ : (١) - « . . وإسناده منقطع فإن الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله ، لكن يشهد له الأحاديث التي قبله فهو بها صحيح .

والأحاديث التي قبله هي أحاديث الشاة المسمومة ، وليس فيها ذكر للذراع وهي أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وغيرهما .

وروى الهيثمي - في مجمع الزوائد ١٥٣/٦ باب غزوة خيبر - عن عروة قال : لما فتح الله عز وجل خيبر على رسول الله ، وقتل من قتل منهم ، أهدت زينب بنت الحرث اليهودية - وهي بنت أخي مرحب - شاة مصلية . . . وذكر نحو حديث جابر .

(١) يشير الشيخ - رحمه الله - إلى الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث . إني لأعرفه الآن » .

راجع : صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ - كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة . حديث ٢٢٧٧ . وسنن الترمذي ٥٩٢/٥ ، ٥٩٣ كتاب المناقب - باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به - حديث رقم ٣٦٢٤ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٢) في س : « عما » .

كان ما خلقه من الكلام في غيره يكون كلاماً له ، وهذا مما يعلم فساده بالضرورة ويوجب أن يكون الكفر والكذب ، وقول الشاة : إني مسمومة فلا تأكلني^(١) ، وقول البقرة : إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا للحرث^(٢) ، وشهادة الجلود والأيدي والأرجل كلام الله ، ولا^(٣) يفرق بين نطقه وبين إنطاقه لغيره .

وأيضاً فقد قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾^(٤) فأخبر أنه^(٥) ليس لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على هذه الوجوه الثلاثة ، فلو^(٦) كان تكليمه ليس هو نفسه المتكلم به ، ولا هو قائم به ، بل هو بأن يخلق كلاماً في شجرة ، أو نحوها من المخلوقات ، لم يكن لاشتراط هذه الوجوه

(١) لعله يقصد قول الذراع كما ورد في الحديث الأنف الذكر ... قالت : من أخبرك ؟ قال : « هذه في يدي » يعني الذراع ، كما ورد في بعض الروايات قال « أخبرتني هذه الذراع التي بيدي » .

راجع : جامع الأصول لابن الأثير ١١/٣٢٧ ، ٣٢٨ حديث / ٨٨٨٨ .

أو أن المقصود قول أحد أعضاء الشاة المسمومة ، كما ورد في الرواية التي ذكرها البيهقي - في دلائل النبوة ٤/٢٦٠ - أن الرسول ﷺ قال : « ... أمسكوا ، فإن عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة ... » .

(٢) هذا جزء من حديث رواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : صلى رسول الله صلاة الصبح ، ثم أقبل على الناس فقال : « بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضرها فقلت : إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث ... » .

راجع : صحيح البخاري ٤/١٤٩ - كتاب الأنبياء باب رقم ٥٤ . ورواه مسلم في صحيحه ٤/١٨٥٧ كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه حديث / ٢٣٨٨ عن أبي هريرة بلفظ قريب من هذا .

(٣) في س ، ط : « وإلا ... » .

(٤) سورة الشورى ، الآية : ٥١ .

(٥) في ط : « بأنه » .

(٦) في الأصل : « فليس » والمثبت من : س ، ط . وهو ما يستقيم به الكلام .

معنى ، لأن^(١) ما يقوم بالمخلوقات يسمعه كل أحد كما يسمعون ما يحدثه في الجمادات من الإنطاق ، كما سمعوا ما يحدثه في الأحياء من الإنطاق ، ولأنه فرق بين الوحي وبين التكليم من وراء حجاب ، فلو كان كلامه هو ما يخلق في غيره من غير أن يقوم به كلام لم يحصل الفرق ، ولأنه فرق بين ذلك وبين أن يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ، فلو كان ذلك الرسول لم يسمع إلا ما خلق في بعض المخلوقات لكان هذا من جنس ما يخلق فيسمعه البشر ، وحيثنذ فيكون كلاهما من وراء حجاب ، فلا يكون الله مكلماً للملائكة - قط - إلا من وراء حجاب .

وقوله : ﴿ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ ﴾ دليل على أنه قد يكلم من شاء بلا حجاب ، كما استفاضت بذلك السنن^(٢) عن النبي ﷺ ، فلما ابتدعت الجهمية هذه المقالات ، أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها من بقايا التابعين وأتباعهم ، وصاروا يظهرهم أعظم المقالات شبهة كقولهم : القرآن

(١) في الأصل : « لا أن » . والمثبت من : س ، ط . والكلام يستقيم به .
(٢) روى الترمذي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : لقيني رسول الله ﷺ فقال لي : « يا جابر ما لي أراك منكسراً ؟ ! » قلت : يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد ، وتركت عيلاً وديناً ، قال : « أما أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ » قال : قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً - كفاحاً : أي : لقيه مواجهة . والمكافحة : مصادفة الوجه بالوجه مفاجأة . راجع : لسان العرب لابن منظور ٥٧٣ / ٢ (كفح) - فقال : يا عبدي تمنّ علي أعطك ، قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني ﴿ أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ ، قال : وأنزلت هذه الآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً . . . ﴾ الآية .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث موسى ابن إبراهيم . رواه عنه كبار أهل الحديث .

راجع : سنن الترمذي - كتاب التفسير - باب ومن سورة آل عمران - الحديث رقم ٣٠١٠ . وسنن ابن ماجه - المقدمة - باب فيما أنكرت الجهمية - الحديث رقم ١٩٠ - كتاب الجهاد - باب فضل الشهادة في سبيل الله حديث رقم ٢٨٠٠ .

مخلوق ، لأنهم يشبهون بهذا على العامة ما لا يشبهونه بغيرهم ، إذ يقول القائل : كل ما سوى الله مخلوق ، ولأن نقيض هذا اللفظ ليس مشهوراً كشهرة أحاديث الرؤية والعرش وغير ذلك ، ومع هذا فكان إنكار السلف والأئمة لذلك من أعظم الإنكار ، دع ما هو أظهر فساداً .

قال الإمام الحافظ أبو القاسم الطبري^(١) اللالكائي - وقد ذكر أقوال السلف والأئمة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وما ورد عنهم من تكفير من يقول ذلك ، ثم قال^(٢) : (فهوؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً^(٣) وأكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين^(٤) على اختلاف الأمصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا^(٥) بمذهبهم) .

قال : (ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكنني^(٦) اختصرت فنقلت^(٧) عن هؤلاء عصرأ بعد عصر لا ينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه (أو)^(٨) أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه) .
قال : (ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال : القرآن مخلوق

-
- (١) « الطبري » ساقطة من : س ، ط .
 - (٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ٣١٢/٢ .
 - (٣) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ... : « أو » .
 - (٤) في ط : « الخبرين » .
 - (٥) في الأصل : « تداينوا » . والمثبت من : س ، ط ، وشرح أصول اعتقاد ..
 - (٦) في س ، ط : « لكن » .
 - (٧) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ... : « لكنني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار ونقلت ... » .
 - (٨) في جميع النسخ : « وأمروا » والمثبت من : شرح أصول اعتقاد أهل السنة .

الجعد^(١) بن درهم في سني نيف وعشرين^(٢) ، ثم الجهم^(٣) بن صفوان .
فأما جعد فقتله خالد بن عبد الله القسري^(٤) ، وأما جهم فقتل بمرو في
خلافة هشام بن عبد الملك^(٥) ، وسأذكر قصتهما^(٦) إن شاء الله تعالى .



-
- (١) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة . . . : « جعد » .
(٢) أي : ومائة ، كما تقدم في ترجمته .
(٣) في شرح اعتقاد أهل السنة . . . : « جهم » .
(٤) في الأصل : « القسيري » . وهو خطأ والمثبت من : س .
وفي ط : « القسيري » وهو تصحيف .
(٥) هو : أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي أحد
ملوك الدولة الأموية ، كان حسن السياسة يقظاً في أمره يكره سفك الدماء ولد
سنة ٧١ هـ بدمشق وتوفي سنة ١٢٥ هـ .
راجع : تاريخ الطبري ٢٠٠/٧ وما بعدها . والكامل لابن الأثير ٢٦١/٥ فما
بعدها . والبداية والنهاية - لابن كثير ٣٩٥/٩ - ٣٩٩ . والأعلام - للزركلي
٨٥/٨٤/٩ .
(٦) في الأصل : « قصتهم » . والمثبت من : س ، ط ، وشرح اعتقاد أهل السنة . . .

فصل

ومع هذا فقد حفظ عن أئمة الصحابة كعلي وابن مسعود وابن عباس هذا القول ، وفي ذلك حجة على من يزعم أن أقوال هؤلاء الأئمة بدون الصحابة ليس بحجة .

فروئى اللالكائي^(١) من طريقين : من طريق محمد بن المصنف^(٢) ، ومن طريق الفضل بن عبد الله الفارسي^(٣) كلاهما عن عمرو بن جميع أبي المنذر^(٤) عن ميمون بن مهران^(٥) عن ابن عباس قال : لما حَكَّم علي الحكمين قالت له الخوارج : حَكَّمت رجلين ، قال : ما حَكَّمت مخلوقاً إنما حَكَّمت القرآن .

-
- (١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٢٢٨ ، ٢٢٩ .
(٢) لعله : أبو عبد الله محمد بن مصنف بن بهلول القرشي الحمصي الحافظ . قال عنه الذهبي : ثقة صاحب سنة ، من علماء الحديث . توفي سنة ٢٤٦ هـ .
راجع : ميزان الاعتدال - للذهبي ٤/٤٣ . تهذيب التهذيب - لابن حجر ٩/٤٦٠ ، ٤٦١ . الوافي بالوفيات - للصفدي ٥/٣٣ .
(٣) لم أجده .
(٤) هو : أبو المنذر عمرو بن جميع البصري ، كوفي ، وكان على قضاء حلوان ، روى عن الأعمش وغيره ، وروى عنه الكوفيون ، قال عنه البخاري : منكر الحديث .
راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٣/٢٢٤ . وميزان الاعتدال - للذهبي ٣/٢٥١ . ولسان الميزان - لابن حجر - ٤/٣٥٨ ، ٣٥٩ .
(٥) هو : أبو أيوب ميمون بن مهران الرقي ، عالم أهل الجزيرة ، استعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضايتها ، ثقة في الحديث ، روى عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم ، ولد سنة ٣٧ هـ ، وتوفي سنة ١١٧ هـ .
راجع : حلية الأولياء - لأبي نعيم ٤/٨٢ - ٩٧ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي ١/٩٨ ، ٩٩ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ١٠/٣٩٠ - ٣٩٢ .

ورواه عبد الرحمن بن أبي حاتم^(١) بإسناد آخر إلى علي ، وقال :
ثنا محمد بن حجاج الحضرمي المصري^(٢) ، ثنا [معلى^(٣) بن عبد
العزیز ، ثنا عتبة بن السكن الفزاري^(٤) ، ثنا]^(٥) الفرج بن يزيد

(١) هو : أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ، حافظ الري
وابن حافظها ، الثبت ، كان ممن جمع علو الرواية ، ومعرفة الفن ، صاحب
الكتب النافعة ككتاب الجرح والتعديل ، والتفسير الكبير وغيرهما .
توفي سنة ٣٢٧ هـ .

راجع : ميزان الاعتدال - للذهبي ٥٨٧/٢ ، ٥٨٨ . وطبقات الشافعية
- للسبكي ٣٢٤/٣ - ٣٢٨ . وفوات الوفيات - للكتبي ٢٨٧/٢ ، ٢٨٨ .

(٢) في الأصل : « المغربي » .
وفي س ، ط : « المضري » .

وصحة اسمه : المصري ، وهو : محمد بن الحجاج الحضرمي المصري ،
قال عنه ابن أبي حاتم : صدوق ثقة .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢/٣/٢٣٥ ت ١٢٨٤ . وميزان
الاعتدال - للذهبي ٥١١/٣ .

(٣) في ط : « يعلى » . وهو خطأ .
هو : معلى بن الوليد بن عبد العزيز بن القعقاع القيسي ، روى عن موسى بن

أعين ويزيد بن سعيد بن ذي عصران .
راجع : لسان الميزان - لابن حجر ٦٥/٦ ، ٦٦ .

(٤) في شرح اعتقاد أهل السنة : « الفزاري » ، وهو خطأ فقد ورد اسمه :
« الفزاري » في الجرح والتعديل (٢/٣/٨٦ ت ٤٨٦) عندما ذكر ابن أبي حاتم

فرج بن يزيد الكلاعي وأن عتبة الفزاري يروي عنه .
وهو : عتبة بن السكن الفراري ، روى عن الأوزاعي . قال عنه الدارقطني :

متروك الحديث . وذكر ابن حجر أن ابن حبان قال في الثقات : إنه يخطيء
ويخالف .

راجع : ميزان الاعتدال - للذهبي ٢٨/٣ . ولسان الميزان - لابن حجر
١٢٨/٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من س .

الكلاعي^(١) ، قال : قالوا لعلي يوم صفين : حكمت كافراً ومنافقاً ؟
قال : ما حكمت مخلوقاً ، ما حكمت إلا القرآن .

وهذا السياق يبطل تأويل من يفسر كلام السلف بأن المخلوق هو
المفتري المكذوب ، والقرآن غير مفتري ولا مكذوب ، فإنهم لما قالوا :
حكمت مخلوقاً ، إنما أرادوا مربوباً مصنوعاً خلقه الله ، لم يريدوا مكذوباً
فقوله : «ما حكمت مخلوقاً» نفي ما^(٢) ادعوه ، وقوله : «ما حكمت إلا
القرآن» نفي لهذا الخلق عنه .

وقد روي ذلك عن علي من طريق ثالث^(٣) .

وأما قول^(٤) ابن مسعود ، فمن المحفوظ الثابت عنه^(٥) الذي رواه

(١) هو : فرج بن يزيد الكلاعي الشامي ، روى عن يزيد بن أبي مالك ، والفضيل بن فضالة الهوزني ، روى عنه بقية ، وعتبة بن السكن الفزاري .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢/٣/٨٦ ت ٤٨٦ .

(٢) في س ، ط : «لما» .

(٣) فقد روى أبو القاسم اللالكائي - في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٢٢٩ ، ٢٣٠ - أن الحارث بن سويد قال : قال علي : يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول : لا إله إلا الله ، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه ، فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف . ثم قال علي : إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم يقولون : القرآن مخلوق . وليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود .

وقد ذكر محقق الكتاب - نفس الجزء والصفحة - د . أحمد حمدان في تعليقه على هذا الأثر أن في سنده من لا يعرف ، ومن يضع الحديث معتمداً في ذلك على ميزان الاعتدال للذهبي .

(٤) رواه أبو القاسم اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة بنفس السند الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - ٢/٢٣٢ .

ورواه عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود ٨/٤٧٢ - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .

(٥) في الأصل : «عن» والمثبت من : س ، ط ، ولعله المناسب .

الناس من وجوه كثيرة صحيحة من حديث يحيى بن سعيد القطان وغيره
عن سفیان الثوري عن الأعمش عن عبد الله بن مرة^(١) [عن أبي كنف]^(٢)
قال :

قال عبد الله : من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين ، قال :
فذكرت ذلك لإبراهيم^(٣) ، فقال : قال^(٤) عبد الله : من حلف بالقرآن
فعليه بكل آية يمين ، ومن كفر بحرف منه فقد كفر به أجمع^(٥) .

(١) هو : عبد الله بن مرة الهمداني الخارقي الكوفي ، روى عن ابن عمرو البراء
ومسروق وغيرهم ، وروى عنه الأعمش ومنصور ، تابعي ثقة ، مات في خلافة
عمر بن عبد العزيز .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٦٤/٢/٢ ت : ٧٦٣ . وتهذيب
التهذيب - لابن حجر ٢٤/٦ ، ٢٥ . والوافي بالوفيات - للصفدي ٦٠٣/١٧ .
(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل ، وأثبت الاسم من : س ، ط ، وشرح
اعتقاد أهل السنة والجماعة .

قال ابن أبي حاتم : أبو كنف سمع سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود وأبا
هريرة ، روى عنه الشعبي وعبد الله بن مرة وغيرهما .
راجع : الجرح والتعديل ٤٣١/٤/٢ ت ٢١٣٩ .

(٣) هو : أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي ، الإمام الحافظ . فقيه
العراق ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : كان ذكياً حافظاً صاحب سنة . ولد سنة
٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٩٦ هـ .

راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٠/٦ - ٢٨٤ . وسير أعلام النبلاء
- للذهبي ٥٢٠/٤ - ٥٢٩ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٧٧/١ ، ١٧٨ .

(٤) في جميع النسخ « قال : فقال : » ولعل ما أثبت هو الصحيح .

(٥) يقول د . أحمد سعد حمدان - محقق كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة
للالكائي - ٢٣٢/٢ هامش ٤ - في تعليقه على هذا الأثر : « ليس لإبراهيم ذكر
في السند ولكن لعل أبا كنف روى جزءه الأول ثم لقي إبراهيم بن يزيد النخعي
فذكر له قول عبد الله بن مسعود فذكر له : أن عبد الله بن مسعود قال الجزء الأول
وزاد عليه قوله : ومن كفر بحرف منه . . . الخ ، والذي يؤكد هذا : أن إبراهيم
قد روى عنه عبدالرزاق هذا الأثر الذي هنا بكامله / : المصنف رقم ١٥٩٤٦ » .

وروى^(١) محمد بن هارون الروياني^(٢) ثنا أبو الربيع^(٣) ، ثنا أبو عوانة^(٤) عن أبي سنان^(٥) عن عبد الله بن أبي الهذيل^(٦) عن حنظلة بن

= ثم قد يقال إن إبراهيم لم يلق ابن مسعود فكيف يروي عنه ؟ لقد روى ابن سعد في طبقاته - ٢٧٢/٦ - عن الأعمش قال : قلت لإبراهيم : إذا حدثني عن عبد الله فأسند . قال : إذا قلت : قال عبد الله ، فقد سمعت من غير واحد من أصحابه ، وإذا قلت : حدثني فلان . فحدثني فلان .

(١) رواه أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة - ٢٣١/٢ ، ٢٣٢ - بنفس السند الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - .

(٢) هو : أبو بكر محمد بن هارون الروياني الحافظ الإمام ، وثقه أبو يعلى الخليلي وذكر أن له تصانيف في الفقه ، وأنه توفي سنة ٣٠٧ هـ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي ٧٥٢/٢ ، ٧٥٣ . والوافي بالوفيات - للصفدي ١٤٨/٥ . وشذرات الذهب ٢٥١/٢ .

(٣) هو : أبو الربيع سليمان بن داود العتكي الزهراني البصري ، الحافظ الثقة ، روى عن البخاري ومسلم وغيرهما . يقول الذهبي : أجمعوا على الاحتجاج به ، توفي سنة ٢٣٤ هـ .

راجع : تذكرة الحفاظ للذهبي ٤٦٨/٢ ، ٤٦٩ . وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦٧٦/١٠ ، ٦٧٧ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٩٠/٤ ، ١٩١ .

(٤) هو : أبو عوانة الواضح بن عبد الله الشكري الواسطي البزاز ، محدث البصرة ، قال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ثقة ثبت حجة فيما حدث من كتابه ، وقال : إذا حدث من حفظه ربما غلط . توفي سنة ١٧٦ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي ٤٩٠/١٣ - ٤٩٥ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي ٢٣٦/١ ، ٢٣٧ . وتهذيب التهذيب ١١٦/١١ - ١٢٠ .

(٥) هو : أبو سنان ضرار بن مرة الشيباني الكوفي ، روى عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحارث وغيرهما ، روى عنه الثوري وشعبة . يقول ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ثقة ثبت ، توفي سنة ١٣٢ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم ٤٦٥/٢/١ ت : ٢٠٤٤ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ٤٥٧/٤ .

(٦) هو : أبو المغيرة عبد الله بن أبي الهذيل العنزي الكوفي ، الإمام القدوة العابد ، روى عن عمر وعلي وعمار بن ياسر وغيرهم . قال النسائي : ثقة ، توفي في =

خويلد العنزي^(١) قال : أخذ عبد الله بيدي ، فلما أشرفنا على السد^(٢) إذ نظر إلى السوق فقال^(٣) : اللهم إني أسألك خيرها وخير أهلها ، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها ، قال : فمر برجل يحلف بسورة من القرآن أو^(٤) آية ، قال : فغمزني^(٥) عبد الله بيدي ثم قال : أترأه مكفراً ؟ أم أن كل آية فيها يمين^(٦) .

ولا نزاع^(٧) بين الأمة أن المخلوقات لا يجب في الحلف بها بيمين كالكعبة وغيرها ، إلا ما نازع فيه بعضهم من الحلف برسول الله ﷺ لكون الإيمان به أحد ركني الإيمان^(٨) .

= ولاية خالد القسري .

- راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٥/٦ ، ١١٦ . والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم ١٩٦/٢/٢ ت : ٩٠٨ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ٦٢/٦ .
- (١) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة . . . : « عن حنظلة عن خويلد العنزي » وهو خطأ . وهو : حنظلة بن خويلد العنزي ، روى عن عمر وابن مسعود . قال الدارمي عن ابن معين : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات .
- راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم ٢٤٠/١/٢ ت : ١٠٦٧ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ٥٩/٣ ، ٦٠ .
- (٢) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة . . . : « السدة » .
- السدة : بضم السين - باب الدار والبيت . والسد : بضم السين وفتحها : الجبل ، والحاجز أو الردم .
- انظر : لسان العرب لابن منظور - ٢٠٧/٣ ، ٢٠٩ (سد) .
- (٣) في جميع النسخ : « قال » . والمثبت من شرح أصول اعتقاد أهل السنة . . .
- (٤) في س ، ط : « و » .
- (٥) في س : « فغمزني » . وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة . . . : « فغمز » .
- (٦) وقد روى نحوه عبد الرزاق في مصنفه ٤٧٢/٨ - رقم ١٥٩٤٧ عن الثوري عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن أبي كنف أن ابن مسعود مر برجل وهو يقول : وسورة البقرة فقال : أترأه مكفراً أما إن عليه بكل آية منها يميناً .
- (٧) في س : « ونزاع » . وهو تصحيف .
- (٨) يقول ابن قدامة : « ولا يجوز الحلف بغير الله وصفاته نحو : أن يحلف بأبيه أو =

وقوله : عليه بكل آية يمين ، قد اتبعه^(١) الأمة وعملوا به ، كالإمام أحمد وإسحاق وغيرهما ، لكن هل يتداخل^(٢) الأيمان إذا كان

= الكعبة أو صحابي أو إمام . قال الشافعي : أخشى أن يكون معصية .
وقال ابن عبد البر : « وهذا أصل مجمع عليه » .

ويقول : « ولا تتعدد اليمين بالحلف بمخلوق كالكعبة والأنبياء وسائر المخلوقات ولا تجب الكفارة بالحنث فيها ، هذا ظاهر كلام الخرقى ، وهو قول أكثر الفقهاء .

وقال أصحابنا : الحلف برسول الله ﷺ يمين موجب الكفارة ، وقال أصحابنا : لأنه أحد شرطي الشهادة فالحلف به موجب للكفارة كالحلف باسم الله تعالى .

ووجه الأول : قول النبي ﷺ : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » .
رواه عن ابن عمر البخاري ٢٢١/٧ كتاب الإيمان والنذور - باب : النهي عن الحلف بغير الله . باب لا تحلفوا بأبائكم .

ومسلم ١٢٦٧/٣ - كتاب الإيمان - باب : النهي عن الحلف بغير الله .
ولأنه حلف بغير الله فلم يوجب الكفارة كسائر الأنبياء ، ولأنه مخلوق فلم تجب الكفارة بالحلف به كإبراهيم عليه السلام ، ولأنه ليس بمنصوص عليه ولا في معنى المنصوص ولا يصح قياس اسم غير الله على اسمه لعدم الشبه وانتفاء المماثلة .. » .

راجع : المغني لابن قدامة ٦٧٧/٨ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ .

ويقول في نفس المرجع والجزء السابق ص ٦٩٥ :

« والحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة بالحنث فيها ، وبهذا قال ابن مسعود والحسن وقتادة ومالك والشافعي وأبو عبيدة وعامة أهل العلم .. » .

وهذا يدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق إذ لو كان مخلوقاً لما جاز الحلف به أو بآية منه ، وهذا ما قصدته الشيخ - رحمه الله - من إيراد لهذين الأثرين المرويين عن ابن مسعود - رضي الله عنه .

(١) في الأصل : « اتبعوه » . والمثبت من : س ، ط .

(٢) في الأصل : « لم يتداخل » .

وفي س : « هل يتداخل » . والمثبت من : ط .

المحلول^(١) عليه واحداً؟ كما لو حلف بالله لا يفعل ، ثم حلف بالله لا يفعل ، هذا فيه قولان للعلماء : هما روايتان عن أحمد^(٢) ، وأما قول ابن عباس^(٣) : فقال الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم : حدثني أبي ثنا ابن صالح بن جابر الأنماطي^(٤) ، ثنا علي بن عاصم /ح/ [قال أبي :

- (١) في س : « المخولف » وهو تصحيف .
- (٢) القولان ذكرهما ابن قدامة في المغني ٧٠٥/٨ ، ٧٠٦ ، ورجح - رحمه الله - القول بأن الحالف إذا كرر اليمين على شيء واحد فحنث فليس عليه إلا كفارة واحدة ، وهذا يعني أن الأيمان تتداخل في بعضها إذا كررت وكان المحلول عليه شيئاً واحداً فتصير كاليمين الواحدة .
- والروايتان ذكرهما ابن قدامة في المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل ٢١٠/٤ فقال : « وإن كرر أيماناً قبل التكفير فعليه كفارة واحدة ، وعنه لكل يمين كفارة ، والظاهر أنها إن كانت على فعل واحد فكفارة واحدة .. » .
- وعلى هذا فمن حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين ، فإذا حنث وكان ما حلف عليه شيئاً واحداً فعليه كفارة واحدة ، إذا عجز عن الكفارات بعدد الآيات .
- يقول ابن قدامة في المغني ٧٠٨/٨ - : « ويحتمل أن كلام الإمام أحمد في كل آية كفارة على الاستحباب لمن قدر عليه فإنه قال : عليه بكل آية كفارة فإن لم يمكنه فكفارة واحدة ، ورده إلى واحدة عند العجز دليل على أن ما زاد عليها غير واجب ، وكلام ابن مسعود يحمل على الاختيار والاحتياط لكلام الله والمبالغة في تعظيمه ... » .
- إلى أن يقول : « .. ولأن إيجاب كفارات بعدد الآيات ، ينفي إلى المنع من البر والتقوى ، والإصلاح بين الناس ، لأن من علم أنه يحنثه تلزمه هذه الكفارات كلها ترك المحلول عليه كائناً ما كان ، وقد يكون براً وتقوى وإصلاحاً فتمنعه منه .. » .
- (٣) ذكره أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٢٣٠/٢٠ بنفس السند الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - .
- (٤) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : علي بن صالح ، وإذا كان هو فقد قال عنه الذهبي - في ميزان الاعتدال ١٣٣/٣ - لا يعرف وذكر له خيراً باطلاً اتهمه بوضعه ، وإذا كان غيره فلم أجده في مظانه .

وحدثني الصهبي علي بن عمر بن عاصم^(١) عن علي بن عاصم^(٢) عن
عمران بن حدير^(٣) عن عكرمة^(٤) قال :

كان ابن عباس في جنازة ، فلما وضع الميت في لحده قام رجل
فقال : اللهم رب القرآن اغفر له ، فوثب إليه ابن عباس فقال : مه^(٥)
القرآن منه . زاد الصهبي في حديثه فقال ابن عباس : القرآن كلام الله
وليس بمربوب ، منه خرج وإليه يعود .

فلما ابتدعت الجهمية هذه المقالات في أثناء المائة الثانية أنكر ذلك
سلف الأمة وأئمتها ، ثم استفحل أمرهم في أوائل المائة الثالثة بسبب
ما أدخلوه في شركهم وفريتهم من ولادة الأمور ، وجرت المحنة^(٦)

-
- (١) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : « الصهبي عم علي بن عاصم » ولم أجدّه .
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من : س ، ط .
(٣) في الأصل : « عمرو بن حدير » . وهو خطأ . والمثبت من : س ، ط ، وشرح
أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .
وهو : أبو عبيدة عمران بن حدير السدوسي البصري الإمام الحجة الثقة ، روى
عنه حماد بن زيد ووكيع وغيرهما . قال أحمد بن حنبل عنه : صدوق صدوق .
توفي سنة ١٤٩ هـ .
راجع : سير أعلام النبلاء - للذهبي - ٣٦٣/٦ ، ٣٦٤ . وتهذيب التهذيب
- لابن حجر - ١٢٥/٨ . وخلاصة تهذيب الكمال لصفى الدين الأنصاري
ص ٢٩٥ .
(٤) هو : أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله القرشي مولاهم المدني ، البربري الأصل
مولى ابن عباس ، العلامة الحافظ المفسر الثقة ، روى عنه خلق كثير من جلة
التابعين وأتباعهم ، قال محمد بن نصر المروزي : قد أجمع عامة أهل الحديث
على الاحتجاج بحديث عكرمة ، واتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث
أهل عصرنا . توفي سنة ١٠٧ هـ .
راجع : وفيات الأعيان - لابن خلكان - ٢٦٥/٣ ، ٢٦٦ . وسير أعلام النبلاء
- للذهبي - ١٢/٥ - ٢٦ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ٢٦٣/٧ - ٢٧٣ .
(٥) « مه » يعني : اكفف .
(٦) وهي محنة القول بخلق القرآن ، ذلك أن المأمون قد استحوذ عليه جماعة من =

المشهوره : وكان أئمة الهدى على ما جاءت به الرسل عن الله من أن

المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل ، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل .

يقول ابن كثير : قال البيهقي : ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهجهم ، فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزينوا له . وفي سنة ٢١٨ هـ كتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن ، وأن يرسل إليه جماعة منهم - عينهم المأمون - فامتنحهم المأمون بخلق القرآن فأجابوا إلى ذلك ، وأظهروا موافقته وهم كارهون ، فردهم إلى بغداد وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء ففعل نائبه ذلك ، ووقعت فتنة عظيمة بين الناس .

ثم أرسل المأمون إلى نائبه كتاباً آخر أمره فيه أن يمتحن جماعة أخرى منهم الإمام أحمد - رحمه الله - من أجاب منهم ترك ومن امتنع فليرسل مقيداً بالحديد محتفظاً به ، وكان ممن امتنع عن القول بخلق القرآن الإمام أحمد ، ومحمد بن نوح ، فأرسلوا إلى المأمون وقبل أن يصلوا إليه بمرحلة جاء خبر وفاته ، ثم ولي الخلافة المعتصم ، وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد ، فردا إلى بغداد ومات محمد بن نوح في الطريق ، وأدخل الإمام أحمد السجن ، نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل نيفاً وثلاثين شهراً ، ثم أخرج وضرب - رحمه الله - بين يدي المعتصم ، بعد مناظرة بينه وبين قضاة المعتصم وبعض الفقهاء ، واستمر الأمر في خلافة الواثق ، وكان ممن يقول بخلق القرآن ، وقتل محمد بن نصر وجماعة معه بسبب ذلك ، إلى أن ولي المتوكل وكان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة ، فأكرم الإمام أحمد ورفع المحنة عن الناس وكتب إلى الآفاق بعدم القول بخلق القرآن ، وقد أورد المؤرخون هذه المحنة مفصلة ومطولة اكتفيت بمجملها هنا ، وانظر ما كتبه عنها في القسم الخاص بالدراسة .

وصبر الإمام أحمد في هذه المحنة وثبوتته على دفع هذا القول ثبوتاً لم يشته غيره لئلا يتطرق إلى القرآن ما يمحو تعظيمه من النفوس ويخرجه عن الإضافة إلى الله تعالى .

راجع : تاريخ الطبري ٦٣١/٨ فما بعدها . والكامل - لابن الأثير ٤٢٣/٦ فما بعدها ، ٢٠/٧ فما بعدها . والبداية والنهاية - لابن كثير ٣٠٨/١٠ - ٣١٠ ، ٣٤٣ - ٣٤٧ ، ٣٧٤ - ٣٨٠ .

القرآن كلام الله تكلم به هو سبحانه ، وهو منه قائم^(١) به ، وما كان كذلك لم يكن مخلوقاً ، إنما المخلوق ما^(٢) يخلقه من الأعيان المحدثه وصفاتها ، وكثير منهم يرد قول الجهمية بإطلاق القول : بأن القرآن كلام الله ، لأن حقيقة قولهم : إنه ليس كلامه ، ولا تكلم ، ولا يتكلم به ولا بغيره ، فإن المستقر في فطر الناس وعقولهم ولغاتهم ، أن المتكلم بالكلام لا بد أن يقوم به الكلام ، فلا يكون متكلماً بشيء لم يقم^(٣) به ، بل هو قائم بغيره^(٤) ، كما لا يكون عالماً بعلم قائماً بغيره ولا حياً^(٥) بحياة قائمة بغيره ، ولا مريداً^(٦) بإرادة قائمة بغيره ، ولا محباً ومبغضاً^(٧) ولا راضياً وساخطاً بحب وبغض ورضى وسخط قائم بغيره ، ولا متألماً ولا متنعماً وفرحاً وضاحكاً بتألم وتنعم وفرح وضحك قائم بغيره ، فكل ذلك عند الناس من العلوم الضرورية البديهية^(٨) الفطرية التي لا ينازعهم فيها إلا من أحييت فطرته ، وكذلك عندهم لا يكون أمراً^(٩) وناهياً بأمر ونهي لا يقوم به بل يقوم بغيره ، ولا يكون مخبراً ومحدثاً ومنبئاً^(١٠) بخبر

(١) في س ، ط : « وقائم » .

(٢) في الأصل : « من » والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب للمعنى .

(٣) في الأصل : « يقم » . والمثبت من : س ، ط .

(٤) يقول البيهقي - في كتابه : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد تحقيق أحمد عصام الكاتب ص ٩٥ - « ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم قائماً بغيره ، ثم يكون هو به متكلماً مكلماً دون ذلك الغير ، كما لا يجوز ذلك في العلم والسمع والبصر ... » .

(٥) في س : « حي » .

(٦) في الأصل : « ولا مرید » .

(٧) في الأصل : « ومبغضاً لأمر ... » والكلام يستقيم بدون كلمة « لأمر » .

(٨) في س ، ط : « البديهية » .

(٩) في الأصل : « أمر » . والمثبت من : س ، ط .

(١٠) في س : « مبيئاً » وهو تصحيف .

وحديث ونبأ لا يقوم به بل بغيره ، ولا يكون حامداً وذاماً ومادحاً ومثنياً بحمد وذم ومدح وثناء لا يقوم به بل بغيره ، [ولا يكون مناجياً ومنادياً وداعياً بنجاء ودعاء ونداء لا يقوم به بل لا يقوم إلا بغيره]^(١) ، ولا يكون واعداً وموعداً بوعد ووعد لا يقوم به بل^(٢) لا يقوم إلا بغيره ، ولا يكون مصدقاً ومكذباً بتصديق وتكذيب لا يقوم به بل لا يقوم إلا بغيره ، ولا يكون حالفاً ومقسماً ومولياً بحلف وقسم ويمين لا يقوم به ولا يقوم إلا بغيره ، بل من أظهر العلوم الفطرية الضرورية التي علمها^(٣) بنو آدم وجوب قيام هذه الأمور بالموصوف^(٤) بها وامتناع أنها لا تقوم به ، بل لا تقوم^(٥) إلا بغيره ، فمن قال : إن الحمد والثناء [والأمر]^(٦) والنهي والنبأ والخبر والوعد والوعيد والحلف واليمين والمنادة والمناجاة وسائر ما يسمى ويوصف به أنواع الكلام ، يمتنع أن تكون^(٧) قائمة بالآمر الناهي والمناجي المنادي المنبئ المخبر الواعد^(٨) المتواعد الحامد المثني الذي هو الله تعالى ، ويجب أن تكون قائمة بغيره ، فقد خالف الفطرة الضرورية المتفق عليها بين الآدميين ، وبدل لغات الخلق أجمعين ، ثم مع مخالفته للمعقولات واللغات فقد كذب المرسلين أجمعين ، ونسبهم إلى غاية التدليس والتلبيس على المخاطبين ، لأن الرسل أجمعين أخبروا أن الله أمر ونهى وقال ويقول ، وقد علم بالاضطرار أن مقصودهم أن الله هو نفسه

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من : س .

(٢) لا يقوم به بل : مكررة في : س .

(٣) في الأصل : « عليها » . والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب .

(٤) في الأصل : « الوصوف » وهو تصحيف . والمثبت من : س ، ط .

(٥) في س : « لا يقوم » .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط . يقتضيها الكلام .

(٧) في س : « يكون » .

(٨) في الأصل : « الموعد » والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب للكلام .

الذي أمر ونهى وقال ، لا أن^(١) ذلك شيء لم يقم به بل خلقه في غيره ، ثم لو كان مقصودهم ذلك فمعلوم أن هذا ليس هو المعروف من الخطاب ولا المفهوم منه ، لا عند الخاصة ولا عند العامة ، بل المعروف المعلوم أن يكون الكلام قائماً بالمتكلم ، فلو أرادوا بكلامه وقوله : إنه^(٢) خلق في بعض المخلوقات كلاماً لكانوا قد أضلوا الخلق - على زعم الجهمية - ولبسوا عليهم غاية التلبيس ، وأرادوا باللفظ ما لم يدلوا الخلق عليه ، والله تعالى قد أخبر أن الرسل قد^(٣) بلغت البلاغ المبين ، فمن نسبهم إلى هذا فقد كفر بالله ورسله ، وهذا قول^(٤) الزنادقة المنافقين الذين هم^(٥) أصل الجهمية ، الذين يصفون الرسل بذلك من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم ، بل كون المتكلم الأمر الناهي لا يوصف بذلك إلا لقيام الكلام بغيره^(٦) مع امتناع قيامه به ، أمر لا يعرف في اللغة ، لا حقيقة ولا مجازاً .

وزعمت الجهمية الملحدة في أسماء الله وآياته ، المحرفة للكلم عن مواضعه ، المبدلة لدين الله من المعتزلة ونحوهم ، أن المتكلم في اللغة من فعل الكلام ، وإن كان قائماً بغيره كالجني المتكلم على لسان الإنسي المصروع ، فإنه هو المتكلم بما يسمع من المصروع ، لأنه فعل ذلك وإن كان الكلام لم يقم إلا بالإنسي دون الجني وهذا من التمويه^(٧) والتدليس .

(١) في الأصل ، س : « لأن » . والمثبت من : ط . ولعله المناسب للمعنى .

(٢) في الأصل : « أن » . والمثبت من : س ، ط .

(٣) « قد » : ساقطة من : س ، ط .

(٤) ذكر شيخ الإسلام مقالة المعطلين لأسماء الله وصفاته ، والمنحرفين عن منهج السلف وبين أصنافهم في مجموع الفتاوى ٥/٥ فما بعدها .

ونقله بتلخيص الإمام مرعي الحنبلي في كتابه « أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ... » ص ٢٢٥ - ٢٣٩ .

(٥) « هم » مكررة في : س ، ط .

(٦) في الأصل : « بغير » . والمثبت من : س ، ط .

(٧) في الأصل : « بالتمويه » . والمثبت من : س ، ط .

فأما قولهم : المتكلم مَنْ فعل الكلام ، فقد نازعهم فيه طائفة من الصفاتية^(١) وقالوا : بل المتكلم من قام به الكلام وإن لم يفعله كما يقوله الكلابية^(٢) والأشعرية^(٣) ، وبين الفريقين في ذلك نزاع طويل^(٤) .

وأما السلف والأئمة وأكثر الناس فلم ينازعوهم هذا النزاع ، بل قالوا : الكلام وإن قيل : إنه فعل للمتكلم ، فلا بد أن يكون قائماً به ، فلا يكون الكلام كلاماً لمتكلم يمتنع أن يقوم به الكلام ، وجميع المسموع من اللغات والمعلوم في فطرة البريات يوافق ذلك .

وأما تكلم الجني على لسان الإنسي فلا بد أن يقوم بالجني كلام ، ولكن تحريكه مع ذلك لجوارح الإنسي يشبه تحريك روح الإنسي لجوارحه بكلامه ، ويشبه تحريك الإنسان بكلامه وحركته وتصويته كما يصوت بقصبة^(٥) ونحوها ، مع أنه في ذلك كله قد قام به من الفعل ما يصح به نسبته^(٦) ذلك إليه .

وقولهم : المتكلم من فعل الكلام وإن كان قائماً بغيره : كلام

-
- (١) عرف بهم الشيخ - رحمه الله - فيما تقدم . راجع ص ٢٦٩ .
 - (٢) الكلابية هم : أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب .
 - وقول ابن كلاب وأتباعه في كلام الله ، ذكره الشيخ - رحمه الله - في الفتاوى ٤٩/١٢ فما بعدها ورد عليه .
 - كما ذكر رأيهم - أيضاً - أبو الحسن الأشعري في المقالات ٢/٢٥٧ ، ٢٥٨ .
 - والجويني في الإرشاد ص ١١٩ ، ١٢٠ .
 - (٣) في س : « الأشعرية » . وهو تصحيف . وقد تقدم التعريف بهم ص ٢٠٢ .
 - (٤) ذكره أبو المعالي الجويني في الإرشاد ص ١٠٩ - ١١٨ ، حيث عقد لذلك فصلاً قال فيه : « المتكلم من قام به الكلام » وذكر في هذا الفصل رأي المعتزلة ، وأن المتكلم عندهم من فعل الكلام ، وناقشهم في قولهم هذا .
 - (٥) في الأصل : « يصيح بقصته » . والمثبت من : س ، ط .
 - (٦) في الأصل : « نسبته » . والمثبت من : س ، ط .

متناقض ، فإن الفعل - أيضاً - لا يقوم بغير الفاعل ، وإنما الذي يقوم بغيره هو المفعول .

وأما قول من يقول : إن الخلق لا يكون إلا بمعنى المخلوق ، فهو من بدع الجهمية ، وعامة أهل الإسلام على خلاف هذا ، وكذلك قال الأئمة مثل ما ذكره الإمام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهمية قال^(١) : ففيما^(٢) يسأل عنه الجهمي^(٣) يقال له : تجد في كتاب الله أنه يخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ فلم^(٤) يجد فيقال له : فلم^(٥) قلت ؟ فيقول^(٦) من قول الله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾^(٧) .

وزعم أن كل مجعول مخلوق^(٨) ، فادعى كلمة من الكلام المتشابه ، يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزيلها وبيتغي الفتنة في

-
- (١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص ١٠٦ - ١١٠ ط / دار اللواء ١٣٩٧ هـ تحقيق د . عبد الرحمن عميرة . وهو ما درجت على مقابلة النصوص منه .
وص ٢٧ - ٢٩ ط / القاهرة ١٣٩٩ هـ نشر قصي محب الدين الخطيب ، وسوف تكون مقابلة النص الآتي الطبعتين للاختلاف بينهما فيه .
- (٢) في الرد على الجهمية - الطبعتين : « فما » .
- (٣) « الجهمي » : ساقطة من الرد على الجهمية ط / دار اللواء وتوجد في ط / القاهرة .
- (٤) في س ، ط ، والرد على الجهمية - المطبوعتين : « فلا » .
- (٥) في س : « فما » .
وفي ط : « فيم » .
- وفي الرد على الجهمية - المطبوعتين : « فمن أين » . وقد ورد قبلها العبارة التالية : « فيقال له : فتجده في سنة رسول الله ﷺ أنه قال : إن القرآن مخلوق - فلا يجد فيقال له ... » .
- (٦) في الرد على الجهمية ط / القاهرة : « فسيقول » .
- (٧) سورة الزخرف ، الآية : ٣ .
- (٨) في الرد على الجهمية - الطبعتين : « وزعم أن - جعل - بمعنى - خلق - فكل مجعول بمعنى مخلوق ... » .

تأويلها^(١) ، وذلك أن جعل في القرآن من المخلوقين على وجهين على معنى التسمية^(٢) ، وعلى معنى فعل من أفعالهم [و]^(٣) قوله : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾^(٤) قالوا : هو شعر وأنباء^(٥) الأولين وأضغاث أحلام ، فهذا على معنى تسميته^(٦) وقال^(٧) : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴾^(٨) [يعني : أنهم سموهم إنثاً]^(٩) .

ثم ذكر جعل على غير معنى التسمية^(١٠) ، فقال : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي إِهْدَانِهِمْ ﴾^(١١) فهذا على معنى^(١٢) فعل من أفعالهم ، وقال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُوا نَارًا ﴾^(١٣) هذا على معنى فعل ، هذا جعل المخلوقين .

^(١٤) ثم ذكر جعل من الله على معنى (خلق) وجعل على غير معنى

- (١) في الأصل ، س : « يلحد في تنزيلها ويبتغي الفتنة في تأويلها » .
وفي الرد على الجهمية - المطبوعتين : « يلحد في تنزيله .. » .
والمثبت من : ط . ولعل الكلام يستقيم به .
- (٢) في الأصل ، س : « تسمية . والمثبت من : ط ، والرد على الجهمية - المطبوعتين - وقد ورد في الرد على الجهمية ط / القاهرة : « التسمية وهي معنى فعل ... » وهو خطأ .
- (٣) « و » : زيادة من الرد على الجهمية - الطبعيتين - يستقيم بها الكلام .
- (٤) سورة الحجر ، الآية : ٩١ .
- (٥) في جميع النسخ : « أو أنباء » والمثبت من الرد على الجهمية - الطبعيتين . يستقيم به الكلام .
- (٦) راجع هامش رقم (٢) في هذه الصفحة .
- (٧) في س ، ط : « وقالوا » . وفي الرد على الجهمية - الطبعيتين : « قال » .
- (٨) سورة الزخرف ، الآية : ١٩ .
- (٩) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والرد على الجهمية - الطبعيتين .
- (١٠) في جميع النسخ : « تسمية » . والمثبت من الرد على الجهمية - الطبعيتين .
- (١١) سورة البقرة ، الآية : ١٩ .
- (١٢) « معنى » : ساقطة من : الرد على الجهمية / ط القاهرة .
- (١٣) سورة الكهف ، الآية : ٩٦ .
- (١٤) من هنا تصرف الشيخ بالنص تصرفاً لا تمكن معه المقابلة .

(خلق) ، والذي قال الله جل جلاله (جعل) على معنى (خلق) لا يكون إلا خلقاً ولا يقوم إلا مقام خلق لا يزول عنه^(١) المعنى . فمما^(٢) قال الله (جعل) على معنى (خلق) ، قوله^(٣) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٤) [يعني : خلق الظلمات والنور]^(٥) ، [وقال]^(٦) : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾^(٧) يقول : خلقنا الليل والنهار آيتين ، وقال : ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾^(٨) وقال : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٩) يقول : خلق منها زوجها ، خلق من آدم حوى ، وقال : ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوْسِقًا﴾^(١٠) ومثله في القرآن كثير ، فهذا وما كان أمثاله^(١١) لا يكون^(١٢) إلا على معنى خلق .

وقوله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾^(١٣) لا يعني ما خلق الله من بحيرة ، وقال الله لإبراهيم : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١٤) لا يعني إني خالقك

(١) في ط : « عن » .

(٢) في جميع النسخ : « فما » . وهو تصحيف . والمثبت من الرد على الجهمية .

(٣) في جميع النسخ : « .. خلق كذلك قوله » والكلام لا يستقيم بدون كلمة « كذلك » .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١ .

في س : « الحمد لله » بدلاً من « الحمد لله » . وهو خطأ .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من : س .

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ١٢ .

(٨) سورة نوح ، الآية : ١٦ . في جميع النسخ : « وجعلنا الشمس .. » وهو خطأ .

(٩) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٩ .

(١٠) سورة النمل ، الآية : ٦١ .

(١١) في س ، ط : « مثاله » .

(١٢) في س ، ط : « لا يكون مثاله » .

(١٣) سورة المائدة ، الآية : ١٠٣ .

(١٤) سورة البقرة ، الآية : ١٢٤ .

للناس إماماً ، لأن خلق إبراهيم كان متقدماً ، قال إبراهيم : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾^(١) ، وقال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾^(٢) لا يعني أخلقني^(٣) مقيم الصلاة ، وقال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ آلَا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ﴾^(٤) لا يعني يريد الله ألا يخلق لهم حظاً في الآخرة ، وقال لأم موسى : ﴿ إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٥) لا يعني وخالقه من المرسلين ، لأن الله تعالى وعد أم موسى أن يرده إليها ثم يجعله من بعد ذلك مرسلًا ، وقال : ﴿ وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾^(٦) لا يعني فيخلقه في جهنم ، وقال : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^(٧) . وقال : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾^(٨) لا يعني خلقه دكاً ومثله في القرآن كثير .

فهذا^(٩) وما كان على مثاله لا يكون على معنى خلق ، فإذا قال تعالى (جعل) على معنى (خلق) ، وقال (جعل) على معنى غير^(١٠) (خلق) فبأي حجة قال الجهمي : (جعل) على معنى الخلق ؟ ، فإن رد

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٠ .

(٣) في ط : « خلقني » .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٦ .

(٥) سورة القصص ، الآية : ٧ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية : ٣٧ .

(٧) سورة القصص ، الآية : ٥ .

(٨) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٣ .

(٩) من هنا يمكن مقابلة النص الذي نقله الشيخ من كتاب « الرد على الجهمية ... » .

(١٠) في س وط والرد على الجهمية الطبعيتين « على غير معنى » .

[الجهمي] ^(١) الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه ، وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون ، فلما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٢) يقول : جعله جعلاً على معنى فعل من أفعال ^(٣) الله غير معنى ^(٤) خلق ، وقال في سورة يوسف : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٥) وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(٦) وقال : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِنُهُ بِلِسَانِكَ ﴾ ^(٧) فلما جعل الله القرآن عربياً ويسره بلسان نبيه ، كان ذلك فعلاً ^(٨) من أفعال الله جعل به القرآن ^(٩) عربياً ، ففي ^(١٠) هذا بيان لمن أراد الله هداه .

وقال البخاري في صحيحه ^(١١) : باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق ، وهو فعل الرب وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه ^(١٢) هو الخالق المكون ^(١٣) غير مخلوق ، وما كان

- (١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والرد على الجهمية في الطبعتين .
- (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣ .
- في ط : وفي الرد على الجهمية - الطبعتين : تكلمة الآية . . لعلمكم تعقلون .
- (٣) في س : « أفعل » .
- (٤) في الأصل : « معنى غير » وأثبت الأقرب لفهم اللفظ من : س ، ط .
- (٥) الآية ٢ . وفي الأصل : « جعلنا » وهو خطأ . وهذه الآية والكلام الذي قبلها لم يرد في الرد على الجهمية - الطبعتين .
- (٦) سورة الشعراء ، الآية : ١٩٥ .
- (٧) سورة مريم ، الآية : ٩٧ .
- (٨) في جميع النسخ : « فعل » . والمثبت من الرد على الجهمية - الطبعتين .
- (٩) في الرد على الجهمية - الطبعتين : « .. القرآن به .. » .
- (١٠) في الرد على الجهمية في الطبعتين : « يعني » .
- (١١) صحيح البخاري ١٨٧/٨ - كتاب التوحيد - باب رقم ٢٧ .
- (١٢) « كلامه » : لا توجد في صحيح البخاري . وقد أشير إليها بالحاوية ب ... وأمره وكلامه نخ ...
- (١٣) في صحيح البخاري : « وهو الخالق هو المكون ... » .

بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون^(١) .

وقال^(٢) الإمام أحمد فيما أخرجه في الرد على الجهمية بيان ما أنكرت الجهمية أن^(٣) يكون الله كلم موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء :

(قلنا لم^(٤) أنكرتم ذلك؟ قالوا: لأن^(٥) الله لم يتكلم ولا يتكلم ، إنما كَوّن شيئاً فعبّر عن الله ، وخلق صوتاً فسمع ، فزعموا^(٦) أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان^(٧) ، فقلنا : فهل [يجوز]^(٨) لمكون أو لغير^(٩) الله أن يقول لموسى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(١٠) و﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾^(١١) فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادعى الربوبية ولو كان^(١٢) كما زعم الجهمية أن الله كون شيئاً كان يقول ذلك المكون : ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٣) لا^(١٤) يجوز أن

-
- (١) في صحيح البخاري : « ومكون » وقد أشير بالحاشية : « مخلوق مكون نخ » .
 - (٢) في الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٣٠ - ١٣٤ .
 - (٣) في الرد على الجهمية .. : « من أن .. » .
 - (٤) في الأصل ، س : « قلنا لما » . وفي الرد على الجهمية : « فقلنا لما » . والمثبت من : ط .
 - (٥) في س : « لا أن » . وفي الرد على الجهمية : « أن ... » .
 - (٦) في الرد على الجهمية : « فأسمع ، وزعموا .. » .
 - (٧) في الأصل : « .. ولساناً » .
 - (٨) « يجوز » زيادة من : س ، ط . والرد على الجهمية : « فهل يجوز » .
 - (٩) في الرد على الجهمية : « أو غير .. » .
 - (١٠) سورة طه ، الآية : ١٤ .
 - (١١) سورة طه ، الآية : ١٢ . وفي الرد على الجهمية ذكر الآية ١٢ قبل الآية ١٤ .
 - (١٢) « ولو كان » ساقطة من : الرد على الجهمية ...
 - (١٣) سورة القصص ، الآية : ٣٠ .
 - في س ، ط : « أن الله » وهو خطأ .
 - (١٤) في ط : « ولا » .

يقول : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) وقد قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٢) وقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾^(٣) وقال : ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾^(٤) فهذا منصوص القرآن .

قال^(٥) : وأما^(٦) ما قالوا : إن الله لم يتكلم ولا يتكلم^(٧) فكيف يصنعون بحديث سليمان الأعمش عن خيثمة^(٨) عن عدي بن حاتم الطائي^(٩)

(١) سورة القصص ، الآية : ٣٠ .

قوله : « لا يجوز أن يقول : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ » لا توجد في الرد على الجهمية والزنادقة .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٤ .

(٥) يعني الإمام أحمد - رحمه الله .

(٦) في الرد على الجهمية : « فإما .. » .

(٧) في الرد على الجهمية : « إن الله لا يتكلم فكيف .. » .

(٨) هو : خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي الكوفي ، تابعي ، لأبيه وجده صحبة قال عنه ابن معين والنسائي : ثقة . مات بعد ٨٠ هـ .

راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨٦/٦ ، ٢٨٧ . والجرح والتعديل - لابن أبي حاتم ٣٩٣/١/٢ ت : ١٨٠٨ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ١٧٨/٣ ، ١٧٩ .

(٩) هو : أبو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر بن امرئ القيس بن عدي الطائي ، له صحبة ، وهو ولد حاتم طي الذي يضرب المثل بجوده أسلم سنة ٩ هـ ، وثبت على إسلامه في الردة ، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر الصديق وشهد فتح العراق ، كما شهد صفين مع علي - رضي الله عنه - توفي سنة ٦٨ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم ٨٢/٣/٢ ت : ١ . وسير أعلام =

قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس^(١) بينه وبينه ترجمان »^(٢) .

قال : وأما قولهم : إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان ، أليس الله عز وجل قال للسماوات والأرض : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٣) ، أترى^(٤) أنها قالت : بجوف وشفتين ولسان^(٥) ؟ ، وقال الله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾^(٦) ، أتراها أنها سبحت بجوف وفم^(٧) ولسان وشفتين ؟ والجوارح إذا شهدت على الكافر فقال^(٨) : ﴿ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٩) أتراها

= النبلاء - للذهبي ١٦٢/٣ - ١٦٥ . والإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر - ٤٦٨/٢ -

- (١) في الرد على الجهمية : « ربه ما بينه وبينه » .
- (٢) رواه مسلم بهذا اللفظ وبقية : « .. فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه - أي : إلى جانبه الأيسر - فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا الله ولو بشق تمره » .
- راجع : صحيح مسلم ٧٠٣/٢ ، ٧٠٤ كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة ، وأنها حجاب من النار . حديث / ٦٧ .
- ورواه البخاري ٢٠٢/٨ كتاب التوحيد / باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم . مع اختلاف يسير في اللفظ .
- (٣) سورة فصلت ، الآية : ١١ .
- (٤) في س ، ط : « أتراه » .
- وفي الرد على الجهمية : « أتراها » .
- (٥) في الرد على الجهمية : « بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات .. » .
- (٦) سورة الأنبياء ، الآية : ٧٩ .
- (٧) في س ، ط : « .. بفم وجوف .. » .
- وفي الرد على الجهمية : « أتراها سبحت .. » .
- (٨) في س ، ط ، والرد على الجهمية : « فقالوا » .
- (٩) سورة فصلت ، الآية : ٢١ .

نظقت^(١) بجوف وشفتين^(٢) وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء
[وكذلك الله تكلم كيف شاء]^(٣) من غير أن يقول [ب-]^(٤) فم ولسان
وشفتين^(٥) .

قال : فلما خنفته الحجج قال^(٦) : إن الله كلم موسى ، إلا أن
كلامه غيره ، فقلنا : وغيره مخلوق؟ قال : نعم . قلنا^(٧) : هذا مثل
قولكم الأول ، إلا أنكم تدفعون الشنعة عن أنفسكم^(٨) بما تظهرون .

وحدیث الزهري^(٩) قال : لما سمع موسى كلام ربه قال : يا رب
هذا الكلام^(١٠) الذي سمعته هو كلامك؟ قال : نعم يا موسى هو كلامي ،
[وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ، ولي قوة الألسن كلها ، وأنا أقوى
من ذلك]^(١١) ، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك ، ولو كلمتك بأكثر

(١) في الرد على الجهمية : « أنها نظقت » .

(٢) « وشفتين » : ساقطة من : الرد على الجهمية .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : الرد على الجهمية . أرى أن الكلام يستقيم بها .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة أضفتها ليستقيم بها الكلام .

(٥) في ط : « وشفتان » .

وفي الرد على الجهمية : « بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان » .

(٦) في س : « وقال » .

(٧) في الرد على الجهمية : « قلنا » .

(٨) في الرد على الجهمية : « تدفعون عن أنفسكم الشنعة .. » .

(٩) هو : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري ،

أعلم الحفاظ . قال عنه عمرو بن دينار : ما رأيت أنص للحديث من الزهري .

وقال الإمام مالك : بقي ابن شهاب ، وماله في الدنيا نظير ، ولد سنة ٥٠ هـ ،

وتوفي سنة ١٢٤ هـ .

راجع : حلية الأولياء - لابن نعيم - ٣/٣٦٠ - ٣٨١ . وتهذيب الأسماء

واللغات للنووي ١/٣٩٠ - ٣٩٢ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي ١/١٠٨ - ١١٣ .

(١٠) « الكلام » ساقطة من : الرد على الجهمية .

(١١) ما بين القوسين ساقطة من : الرد على الجهمية .

من ذلك مت^(١) ، قال : فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له : صف لنا كلام ربك ، فقال^(٢) : سبحان الله !! وهل أستطيع أن أصفه لكم . قالوا : فشبّه^(٣) ، قال : أسعتم^(٤) أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله^(٥) .

قال : وقلنا^(٦) للجهمية : من القائل لعيسى يوم القيامة ﴿يَلْعِسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٧) أليس الله هو القائل ؟

قالوا : يُكُونُ^(٨) الله شيئاً يعبر عن الله ، كما كَوَّنَ [شيئاً فعبر]^(٩) لموسى .

فقلنا^(١٠) : فمن القائل : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ

-
- (١) في الرد على الجهمية : « لمت » .
 - (٢) في الرد على الجهمية : « قال » .
 - (٣) في س ، ط : « قال تشبّهه » .
 - (٤) في الرد على الجهمية : « هل سمعتم » .
 - (٥) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٧٥ .
ورواه أيضاً - ابن كثير في تفسيره ٥٨٨/١ تفسير سورة النساء الآية ١٦٣ ، كلاهما عن جابر بن عبد الله بلفظ قريب مما ذكره الشيخ عن الإمام أحمد لكنهما ذكرا أن في سنده الفضل بن عيسى الرقاش ، وهو ضعيف .
 - (٦) في الأصل : فقلنا ، ولعل الصواب ما أثبتته من س وط والرد على الجهمية .
 - (٧) سورة المائدة ، الآية : ١١٦ .
 - (٨) في الرد على الجهمية : « فيكون » .
 - (٩) ما بين المعقوفتين زيادة من : الرد على الجهمية .
وفي س : « كما كون لموسى فعبر » .
وفي ط : « كون فعبر لموسى » .
ولعل الكلام يستقيم بهذه الزيادة .
 - (١٠) في الرد على الجهمية : « قلنا » .

الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله إنما (٢) يُكُونُ اللهُ (٣) شيئاً فيعبر عن الله ، قلنا : قد أعظمتكم على الله (٤) الفرية حين (٥) زعمتم أن الله لا يتكلم ، فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله ، لأن الأصنام لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول (٦) من (٧) مكان إلى مكان .

فلما ظهرت عليه الحجة قال :

أقول : إن الله قد (٨) يتكلم ولكن كلامه مخلوق . قلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق [فقد شبهتم الله - تبارك وتعالى - بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق] (٩) ، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم (١٠) كلاماً ، فقد (١١) جمعتم بين كفر وتشبيه فتعالى (١٢) الله عن هذه الصفة ، بل نقول (١٣) : إن الله - جل ثناؤه - لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولا نقول : إنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً (١٤) ، ولا نقول : إنه قد

-
- (١) سورة الأعراف ، الآية : ٦ .
 - (٢) في س : « أيما » . وهو تصحيف .
 - (٣) لفظ الجلالة غير موجود في : الرد على الجهمية .
 - (٤) لفظ الجلالة غير موجود في : س .
 - (٥) في س ، ط : « حتى » .
 - (٦) في ط : « أو لا تزول » .
 - (٧) في س ، ط : « عن » .
 - (٨) « قد » : ساقطة من : الرد على الجهمية .
 - (٩) ما بين القوسين ساقطة من : س ، ط .
 - (١٠) في الرد على الجهمية : الله لهم .
 - (١١) في الرد على الجهمية : وقد .
 - (١٢) في الرد على الجهمية : وتعالى .
 - (١٣) في الأصل : فنقول . والمثبت من : س ، ط ، والرد على الجهمية .
 - (١٤) في الرد على الجهمية : الكلام .

كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم ، ولا نقول : إنه [قد]^(١) كان
ولا قدرة^(٢) حتى خلق لنفسه قدرة^(٣) ، ولا نقول : إنه [قد]^(٤) كان
ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً ، ولا نقول : إنه كان ولا عظمة^(٥) حتى
خلق لنفسه عظمة .

فقلت الجهمية لنا^(٦) : لما وصفنا من الله هذه الصفات^(٧) : إن
زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم بقول
النصارى حين زعمتم^(٨) أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته .

فقلنا^(٩) : لا نقول : إن الله لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره ، ولكن
نقول : لم يزل بقدرته ونوره لا متى قدر^(١٠) ولا كيف قدر ؟ .

فقالوا^(١١) : لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا : كان الله
ولا شيء .

فقلنا : نحن نقول : كان^(١٢) الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : إن الله
لم يزل بصفاته كلها ، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته ؟ وضربنا

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والرد على الجهمية .

(٢) في الرد على الجهمية : ولا قدرة له .

(٣) في الرد على الجهمية : القدرة .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، الرد على الجهمية .

(٥) في الرد على الجهمية : قد كان ولا عظمة له . . .

(٦) لنا : ساقطة من الرد على الجهمية .

(٧) في الرد على الجهمية : لما وصفنا الله بهذه الصفات .

(٨) في الرد على الجهمية « زعموا » .

(٩) في الرد على الجهمية : قلنا .

(١٠) في الأصل : وقد . وهو تصحيف والمثبت من : س ، ط ، والرد على
الجهمية .

(١١) في الأصل : تقولون . وفي س : تقول . والمثبت من : ط ، والرد على
الجهمية . . وفيه : قد كان .

(١٢) في الرد على الجهمية : قد كان .

لهم مثلاً في^(١) ذلك فقلنا لهم^(٢) : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع^(٣) وكرب وليف وسعف وخص وجمار ؟ واسمها اسم واحد ، سميت^(٤) نخلة بجميع صفاتها ، فكذلك الله - جل ثناؤه - وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد ، لا نقول : إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة له حتى خلق قدرة^(٥) ، والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول : إنه^(٦) قد كان في وقت من الأوقات ولا علم له حتى خلق فعلم^(٧) ، والذي لا يعلم فهو^(٨) جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله قادراً عالماً مالكا^(٩) لا متى ولا كيف ؟ وقد سمي الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾^(١٠) وقد كان لهذا^(١١) الذي سماه الله (وحيداً) عينان^(١٢) وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان ، وجوارح كثيرة ، فقد سماه الله (وحيداً) بجميع صفاته ، فكذلك الله وله المثل الأعلى ، هو بجميع صفاته إله واحد^(١٣) .

(١) في الرد على الجهمية : .. لهم في ذلك مثلاً ..

(٢) « لهم » ساقطة من : الرد على الجهمية .

(٣) في س ، ط : جذوع .

(٤) في الرد على الجهمية : ... شيء واحد وسميت ...

(٥) في الرد على الجهمية : .. له قدرة ..

(٦) إنه : ساقطة من : الرد على الجهمية .

(٧) في الرد على الجهمية : .. خلق له علماً فعلم .

(٨) في الرد على الجهمية : هو .

(٩) مالكا : ساقطة من : الرد على الجهمية .

(١٠) سورة المدثر ، الآية : ١١ .

(١١) في ط : أو قد كان ...

وفي الرد على الجهمية ، وقد كان هذا .

(١٢) في الرد على الجهمية : له عينان .

(١٣) انتهى كلام الإمام أحمد - رحمه الله .

وكذلك ذكر الأشعري في المقالات^(١) اختلاف المعتزلة في أن
الباري متكلم فقال :

(اختلفت المعتزلة في ذلك ، فمنهم من أثبت الباري متكلماً ،
ومنهم من امتنع أن يثبت الباري متكلماً ، وقال : لو أثبتته^(٢) متكلماً
لثبته^(٣) منفعلاً^(٤) ، والقائل لهذا^(٥) الإسكافي^(٦) وعباد بن سليمان^(٧) .

قلت : وأما نقل أبي الحسين البصري^(٨) اتفاق المسلمين على أن

-
- (١) مقالات الإسلاميين ١/٢٦٢ .
(٢) في س : ولو قال : لو أثبتته .
وفي ط : ولو قال : ولو أثبتته .
وفي المقالات : ... ثبته ..
(٣) في ط : لأثبتته .
(٤) في س ، ط : منفصلاً .
وفي المقالات : متفعلاً .
(٥) في المقالات : بهذا .
(٦) هو : أبو جعفر محمد بن عبد الله السمرقندي الإسكافي ، من متكلمي المعتزلة
وأحد أئمتهم ، تنسب إليه الطائفة الإسكافية منهم ، أعجب به المعتصم كثيراً
فأداناه وأجزل له عطاءه ، له مناظرات مع الكراييسي وغيره . توفي سنة ٢٤٠ هـ .
انظر : الأنساب - للسمعاني ١/٢٣٤ ، ٢٣٥ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي
١٠/٥٥٠ ، ٥٥١ . والأعلام - للزركلي ٧/٩٢ .
(٧) هو : أبو سهل عباد بن سليمان البصري المعتزلي ، من أصحاب هشام القوطي ،
خالف المعتزلة في أشياء كثيرة اخترعها لنفسه ، وله كتب عديدة في الاعتزال
وكان في أيام المأمون ، وهو من الطبقة السابعة من المعتزلة ، قال عنه أبو
الحسين الملطي : كان أحد المتكلمين فملاً الأرض كتباً وخلافاً وخرج عن حد
الاعتزال إلى الكفر والزندقة .
راجع : لسان الميزان - لابن حجر ٣/٢٢٩ ، ٢٣٠ . وسير أعلام النبلاء
- للذهبي ١٠/٥٥١ ، ٥٥٢ . والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - للملطي
- ص ٣٩ .
(٨) هو : أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المتكلم على مذهب =

الباري متكلم ، ونقل من أخذوا ذلك عنه كالرازي^(١) وغيره فليس بمستقيم ، فإن أبا الحسين كان يأخذ ما يذكره مشايخه البصريون وما نقلوه ، وهؤلاء يوافقون [المسلمين على إطلاق القول بأن الله متكلم فيوافقون]^(٢) أهل الإيمان في اللفظ ، وهم في المعنى قائلون بقول من نفى ذلك ، فإذا ذكر الإجماع على هذا الإطلاق^(٣) ، ظن المستمع

= المعتزلة ، وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفن ، قال عنه ابن حجر : ليس بأهل للرواية . له تصانيف منها : شرح الأصول الخمسة . توفي ببغداد سنة ٤٣٦ .

راجع : وفيات الأعيان - لابن خلكان ٢٧١/٤ . ولسان الميزان - لابن حجر ٢٩٨/٥ . والأعلام - للزركلي ١٦١/٧ .
(١) أبو الحسين له كتاب المعتمد - وهو كتاب كبير منه أخذ الرازي كتاب المحصول .

راجع : وفيات الأعيان - لابن خلكان ٢٧١/٤ .
وقد تكلم الرازي - في المحصول ٢٣٥/١/١ ، ٢٣٦ ، تحقيق د . طه جابر فياض - عن ماهية الكلام فقال : « اعلم أن لفظة الكلام عند المحققين - منا - تقال بالاشتراك على المعنى القائم بالنفس ، وعلى الأصوات المتقطعة المسموعة . ثم أوضح القسم الأول في كتابه : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ... »

مراجعة طه عبد الرؤوف ص ١٧٢ - ١٧٤ ، فعقد لذلك مسألة قال فيها :
« اتفق المسلمون على إطلاق لفظ المتكلم على الله تعالى ، ولكنهم اختلفوا في معناه ... » .

وذكر احتجاج أصحابه بأن الله متكلم بكلام النفس غير متكلم بالكلام الذي هو الحروف والأصوات . وناقش المعتزلة لإنكارهم هذه الماهية .
(٢) ما بين المعقوفتين : ساقط من : س .
(٣) في س : لإطلاق .

لذلك^(١) أن التنازع^(٢) في تفسير^(٣) اللفظ كالنزاع في تفسير^(٤) بعض آيات القرآن وليس كذلك ، بل النفاة حقيقة قولهم نفي أن يكون الله متكلماً كما يصرح بذلك من يصرح منهم ، ولكن وافقوا المسلمين على إطلاق اللفظ ، نفاقاً من زنادقتهم ، وجهلاً من سائرهم .

وهذا الذي بينه الإمام أحمد هو محض السنة وصريحها الذي كان عليه أئمتها ، وقد خلصه تخليصاً لا يعرف قدره إلا خواص الأمة الذين يعرفون مزال أقدام الأذكياء الفضلاء في هذه المهمة الغبراء ، حتى كثر بين الفرق من الخصومات والأهواء ، وسائر الناس يقولون بذلك من وجه دون وجه .

قال الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني^(٥) : في كتاب السنة^(٦) قرأت كتاب شاكر عن أبي زرعة^(٧) قال : إن الذي عندنا أن القوم لم يزالوا

(١) في الأصل : ذلك .

والمثبت من : س ، ط .

(٢) في ط : النزاع .

(٣) في س ، ط : تغيير .

(٤) في س ، ط : تغيير .

(٥) تقدم التعريف به ص ١٦٦ .

(٦) ذكر هذا الكتاب خير الدين الزركلي في الأعلام ٢٦٤/٤ ضمن آثار ابن الشيخ دون ذكر أية معلومات عنه .

أما الكتب التي تهتم بهذا الأمر فلم تشر إليه ككشف الظنون وهدية العارفين ومعجم المؤلفين ، وتاريخ التراث العربي - لسزكين .

لكن تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ذكر أن كتاب عظمة الله ومخلوقاته - والذي تذكره المصادر التي كتبت عن أبي الشيخ - يبحث أكثر مما يبحث في السنة لكن هل هو أو لا ؟ هذا ما لم أصل إليه .

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ذكر هذا المؤلف لأبي الشيخ في : درء تعارض العقل والنقل ١٠٨/٧ ، كما ذكره ابن القيم في زاد المعاد ٥٦/٣ .

(٧) هو : عبيد بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي ، أحد الأئمة الحفاظ ، ومحدث =

يعبدون خالقاً كاملاً بصفاته^(١) ، ومن زعم أن الله كان ولا علم ثم خلق علماً فعلم بخلقه ، أو لم يكن متكلماً فخلق كلاماً ثم تكلم به ، أو لم يكن سمياً بصيراً ثم خلق سمعاً وبصراً فقد نسبه إلى النقص ، وقائل هذا كافر ، ولم يزل الله كاملاً بصفاته لم يحدث فيه صفة ولا تزول عنه صفة قبل أن يخلق الخلق ، وبعدما خلق الخلق كاملاً بصفاته ، فمن وجه أن الرب - تبارك وتعالى - يتكلم كيف يتكلم بشفتين ولسان ، وتبدو^(٢) لهواته^(٣) فهذه^(٤) السماوات والأرض قال لها^(٥) : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٦) أفهاهنا شفتان ولسان ولهوات ؟

قلت : أبو زرعة الرازي كان يشبه بأحمد بن حنبل في حفظه وفقهه ودينه ومعرفته ، وأحمد كان عظيم الثناء عليه وداعياً له ، وهذا المعنى الذي ذكره هو في كلام الإمام أحمد في مواضع ، كما ذكره الخلال في كتاب السنة عن حنبل ، وقد ذكره حنبل في كتبه مثل : كتاب السنة والمحنة^(٧) لحنبل .

= الري ، روى عنه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم . يقول ابن أبي شيبة : ما رأيت أحفظ من أبي زرعة . ولد سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٦٤ هـ .
راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١٠/٣٢٦ - ٣٢٧ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي ٢/٥٥٧ ، ٥٥٨ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ٧/٣٠ - ٣٣ .

- (١) في س ، ط : لصفاته .
- (٢) تبدو : بياض في : س ، وساقطة من : ط .
- (٣) اللهوات : جمع لهات ، وهي أقصى الفم .
- راجع : لسان العرب - لابن منظور ١٥/٢٦٢ (لها) .
- (٤) في الأصل ، س : فهذا . والمثبت من : ط .
- (٥) في س ، ط : لهما .
- (٦) سورة فصلت ، الآية : ١١ .
- (٧) لعله كتاب « المحنة » أو « محنة ابن حنبل » الذي أشارت إليه الكتب التي ترجمت لحنبل بن إسحاق ، والكتاب مطبوع بتحقيق محمد نغش - القاهرة ١٣٩٧ ويتكون من ١١٨ صفحة ، والنقول التي ذكرها الشيخ عن حنبل لم أجد لها =

قال حنبل : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروي أن الله - تبارك وتعالى - ينزل إلى سماء الدنيا ، وأن الله يرى ، وأن الله يضع قدمه ، وما أشبه هذه الأحاديث ، فقال أبو عبد الله : نؤمن بها ونصدق بها ، ولا كيف ؟ ولا معنى ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق إذا^(١) كانت بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف^(٢) الله - تبارك وتعالى - بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ليس كمثله شيء .

وقال حنبل في موضع آخر ، قال : ليس كمثله شيء في ذاته ، كما^(٣) وصف به نفسه ، وقد^(٤) أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة : ليس يشبهه شيء ، فنعبد الله بصفاته ، غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه ، قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٥) .

= في هذا الكتاب المطبوع ، والذي يظهر أنه جزء من كتاب « المحنة » .
قال المحقق في المقدمة : « .. إذن ما زالت مشكلات التحقيق قائمة لعدم وجود الجزء الأول من المحنة » .

راجع : هدية العارفين - للبغدادي - ٣٣٨/١ . ومعجم المؤلفين - لكحالة ٨٦/٤ . والأعلام - للزركلي ٣٢١/٢ ، ٣٢٢ . وتاريخ التراث العربي لسزكين ٢٣٠/٣ ، ٢٣١ .

وانظر : عن طباعته الفهرس الموحد الذي أعده قسم الفهرسة والتصنيف بجامعة الإمام ... ١٠١٨/٢ .

- (١) في س : إذ .
- (٢) في الأصل : نوصف . والمثبت من : س ، ط .
- (٣) في الأصل : « وكما » . والمثبت من : س ، ط .
- (٤) في الأصل : « قد » . والمثبت من : س ، ط .
- (٥) سورة الشورى ، من الآية : ١١ .

قال حنبل في موضع آخر : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(١) بلا حد ولا تقدير ، ولا يبلغه^(٢) الواصفون . وصفاته منه وله ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك ولا تبلغه صفة الواصفين^(٣) ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته - بشناعة شنعت -^(٤) ووصفاً وصف به نفسه من كلام ونزول^(٥) وخلوة بعبده يوم القيامة ، ووضع كنفه^(٦) عليه ، هذا كله يدل على أن الله - تبارك وتعالى - يرى في الآخرة^(٧) ، والتحديد في هذا بدعة ، والتسليم لله بأمره بغير صفة ولا حد ، إلا بما وصف به نفسه سميع بصير لم يزل متكلماً عليماً^(٨) غفوراً عالم الغيب والشهادة علام

(١) ﴿ وهو السميع البصير ﴾ زيادة من : س ، ط .

(٢) في الأصل ، س : « يبلغ » . والمثبت من : ط .

(٣) في الأصل : « الواصفون » . والمثبت من : س ، ط .

(٤) في الأصل : « بشناعة شفعت » . ولعله خطأ من الناسخ .

والمثبت من : س ، ط .

(٥) في س : « ونزوله » .

(٦) كنف الله : رحمته وستره .

راجع : لسان العرب ٣٠٨/٩ (كنف) .

ووضع الرب كنفه على عبده ثابت ، فقد روى البخاري في صحيحه ٨٩/٧ كتاب الأدب - باب ستر المؤمن على نفسه - عن صفوان بن محرز أن رجلاً سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ، قال : « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه ، فيقول : عملت كذا وكذا ، فيقول : نعم ، ويقول : عملت كذا وكذا ، فيقول : نعم ، فيقرره ، ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم » .

ورواه مسلم بلفظ آخر في صحيحه ٢١٢٠/٤ كتاب التوبة - باب قبول توبة القاتل وإن كثرت قتلته . الحديث رقم ٥٢ .

(٧) راجع ص ٢٥٥ .

(٨) في س ، ط : « عالماً » .

الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه لا ترد ولا تدفع^(١) ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢) كيف شاء ، المشيئة إليه - عز وجل - والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كل شيء ، وهو كما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ولا تقدير ، [وقال تعالى حكاية عنه]^(٣) قول إبراهيم لأبيه : ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾^(٤) فثبت أن الله سميع بصير ، فصفاته منه لا نتعدى القرآن والحديث ، والخبر بضحك الله^(٥) ، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول

(١) في الأصل : لا ترد ولا ندفع . والمثبت من : س ، ط .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط . وبياض بقدر كلمة في الأصل . وبياض بقدر أربع كلمات في : س .

(٤) سورة مريم ، الآية : ٤٢ .

(٥) الأخبار الثابتة عن الرسول ﷺ في إثبات الضحك لله تعالى كثيرة ، أذكر منها ما يروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » .

راجع : صحيح البخاري ٢١٠/٣ كتاب الجهاد - باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل .

ورواه مسلم في صحيحه ١٥٠٤/٣ كتاب الإمارة - باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة . بلفظ قريب من لفظ البخاري وإثبات الضحك لله تعالى مذهب أهل الحق من غير كيف ، بل يثبتون له هذه الصفة على الوجه الذي وردت به النصوص عن النبي ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل (ليس كمثله شيء) . يقول محمد بن الحسين الأجرى ، في كتابه « الشريعة ص ٢٧٧ » تحت باب الإيمان بالله - عز وجل - يضحك :

« اعلّموا - وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل - أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه - عز وجل - وبما وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به الصحابة - رضي الله عنهم - وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع ، ولا يقال فيه : كيف ؟ بل التسليم له ، والإيمان به : أن الله - عز وجل - =

وتثبيت^(١) القرآن ، لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد ، تعالى الله عما يقوله^(٢) الجهمية والمشبهة .

قلت له : والمشبهة ما يقولون ؟

قال : من قال بصر كبصري ، ويد كيدي - وقال حنبل في موضع آخر : وقدم كقدمي - فقد شبه الله بخلقه ، وهذا يحده ، وهذا كلام سوء ، وهذا محدود ، الكلام في هذا لا أحبه .

قال عبد الله : جردوا القرآن^(٣) .

وقال النبي ﷺ : « يضع قدمه »^(٤) نؤمن به ولا نحده ولا نرده على

= يضحك . كذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته - رضي الله عنهم - فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق . . . » .

ثم ذكر - رحمه الله - الأحاديث عن النبي ﷺ عن عدد من الصحابة من طرق مختلفة .

ثم قال بعد إيرادها ص ٢٨٤ :

« هذه السنن كلها نؤمن بها ولا نقول فيها : كيف ؟ والذين نقلوا هذه السنن ، هم الذين نقلوا إلينا السنن في الطهارة ، وفي الصلاة ، وفي الزكاة والصيام والحج والجهاد وسائر الأحكام من الحلال والحرام ، فقبلها العلماء منهم أحسن قبول ، ولا يرد هذه السنن إلا من يذهب مذهب المعتزلة ، فمن عارض فيها أوردتها أو قال : كيف ؟ فاتهموه واحذروه » .

(١) في ط : وتبيين .

(٢) في س ، ط : يقول .

(٣) يعني : عبد الله بن مسعود ، وتتمة قوله : « . . . ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله » .

راجع : السنة : لعبد الله بن أحمد بن حنبل ص ٢٣ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٤٧/٦ تفسير سورة (ق) - باب قوله : ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « يلقي في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فتقول قط قط » .

ورواه الترمذي بلفظ آخر عن أنس بن مالك ٣٩٠/٥ - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة (ق) - الحديث رقم ٣٢٧٢ .

رسول الله ﷺ ، بل نؤمن به ، قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) ، فقد أمرنا الله - عز وجل - بالأخذ بما جاء ، والنهي عما نهى ، وأسماءه وصفاته غير مخلوقة ، ونعوذ بالله من الزلل والارتباب والشك ، إنه على كل شيء قدير .

قال الخلال : وزادني (٢) أبو القاسم ابن (٣) الجبلي (٤) عن (٥) حنبل في هذا الكلام ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (٦) ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَلْسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ (٧) هذه صفات الله عز وجل وأسماءه تبارك وتعالى .

وقد روى البخاري في صحيحه (٨) عن سعيد بن جبير (٩) عن ابن

- (١) سورة الحشر ، الآية : ٧ .
 (٢) في الأصل ، ط : وناداني ، والمثبت من : س .
 (٣) في ط : أين .
 (٤) هو : أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن الجبلي ، كان يفتي الناس بالحديث ، يقول عنه الخطيب البغدادي : كان يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ ، ولد سنة ٢١٢ هـ ، وتوفي سنة ٢٨١ هـ .
 راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٧٨/٦ . والوافي بالوفيات - للصفدي ٣٩٥/٨ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي ٣٤٣/١٣ ، ٣٤٤ .
 (٥) في ط : من .
 (٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .
 (٧) سورة الحشر ، الآية : ٢٣ .
 (٨) صحيح البخاري ٣٥/٦ ، ٣٦ - تفسير سورة (حم السجدة) .
 (٩) هو : أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولاهم الكوفي ، أحد الأعلام ، الحافظ المقرئ المفسر الشهيد ، يقول ابن حجر : قال أبو القاسم الطبري ، هو ثقة إمام حجة على المسلمين .. مات مقتولاً على يد الحجاج سنة ٩٥ هـ رحمه الله .
 راجع : الطبقات الكبرى - لابن سعد ٢٥٦/٦ - ٢٦٧ . وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢١/٤ - ٣٤٢ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ١١/٤ - ١٤ .

عباس قال : قال رجل^(١) لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ، قال : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾^(٢) ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾^(٣) ، ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا ﴾^(٤) ، ﴿ وَاللَّهُ رَئِيفًا كَرِيمًا ﴾^(٥) فقد كنتموا في هذه الآية ، وقال : ﴿ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ دَحَاهَا ﴾^(٦) ، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال : ﴿ أَيُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ﴾ إلى ﴿ طَائِعِينَ ﴾^(٧) ، فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل السماء ، وقال : وكان الله غفوراً رحيماً ، وكان الله^(٨) عزيزاً حكيماً ، وكان الله^(٩) سميعاً بصيراً ، فكأنه كان ، ثم مضى . فقال : لا أنساب^(٩) في النفخة الأولى : ثم نفخ^(١٠) في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم^(١١) عند ذلك ولا يتساءلون . ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

(١) قال العيني في عمدة القاري ١٥٠/١٩ : الظاهر أنه نافع بن الأزرق الذي صار بعد ذلك رأس الأزارقة من الخوارج ، وكان يجالس ابن عباس بمكة ويسأله ويعارضه .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٠١ .

(٣) سورة الصافات ، الآية : ٢٧ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٤٢ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٢٣ .

(٦) سورة النازعات ، الآيات : ٢٧ - ٣٠ .

(٧) سورة فصلت ، الآيات : ٩ - ١١ .

﴿ وتجعلون له أنداداً ﴾ لم ترد في : س ، ط ، صحيح البخاري .

(٨) وكان الله : لم ترد في : س ، ط ، صحيح البخاري .

(٩) في صحيح البخاري : فلا أنساب بينهم .

(١٠) في الأصل ، س : نفخ . وفي ط : ونفخ .

والمثبت من : صحيح البخاري .

(١١) بينهم : زيادة من : صحيح البخاري .

وأما قوله : ﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾^(١) ﴿ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾^(٢) فإن الله يغفر^(٣) لأهل الإخلاص ذنوبهم [و]^(٤) قال المشركون تعالوا نقول^(٥) : لم نكن^(٦) مشركين ، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عرف^(٧) أن الله لا يكتف حديثاً وعنده ﴿ يَوْمَ يَذُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٨) الآية ، وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ، ودحيتها^(٩) أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال^(١٠) والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فخلقت^(١١) الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين ، وكان الله غفوراً رحيماً ، سمى نفسه بذلك^(١٢) ، وذلك قوله : إني^(١٣) لم أزل كذلك ، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله . هكذا رواه البخاري مختصراً .

-
- (١) سورة الأنعام ، الآية : ٢٣ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ٤٢ .
(٣) في ط : « لا يغفر » . وهذا تحريف .
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : صحيح البخاري .
(٥) في ط : نقل .
(٦) في الأصل : ما كنا . والمثبت من : س ، ط ، وصحيح البخاري .
(٧) في ط : عرفوا .
(٨) سورة النساء ، الآية : ٤٢ .
(٩) في س ، ط : ودحاها . وفي صحيح البخاري : ودحوها .
(١٠) في صحيح البخاري : الجبال والجمال .
(١١) في صحيح البخاري : فذلك قوله (دحاها) وقوله (خلق الأرض في يومين فجعلت الأرض ...)
(١٢) في س ، ط ، صحيح البخاري : ذلك .
(١٣) في صحيح البخاري : أي .

ورواه البرقاني في صحيحه^(١) من الطريق التي^(٢) أخرجها البخاري بعينها من طريق شيخ البخاري^(٣) بعينه بألفاظه التامة^(٤) أن ابن عباس جاءه رجل فقال : يا ابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ، فقد وقع ذلك^(٥) في صدري ، فقال ابن عباس : أتكذيب^(٦) ؟ فقال الرجل :

(١) تقدم التعريف بالبرقاني ، ولم أجد له كتاباً باسم « صحيح البرقاني » وإنما الذي أشارت إليه المصادر التي تهتم بهذا الشأن أن له مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه صحيح البخاري ومسلم لا يزال مخطوطاً ، وتقدم عليه الكلام ص ١٤٦ .

كما أن له : « التخريج لصحيح الحديث » وهو مخطوط أيضاً ، ولعل المذكور أحد هذين الكتابين ورمز له الشيخ بـ « الصحيح » اختصاراً .

راجع : هدية العارفين - للبغدادى ٧٤/١ . وتاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - ١٦١/٣ . وتاريخ التراث العربي - لسزكين - المجلد الأول ٤٧٤/١ . ومعجم المؤلفين ٧٤/٢ . والأعلام - للزركلي - ٢٠٥/١ .

(٢) في س ، ط : الذي .

(٣) هو : يوسف بن عدي بن زريق بن إسماعيل . الإمام الثقة الحافظ أبو يعقوب التميمي الكوفي . توفي سنة ٢٢٢ هـ .

قال الذهبي : وليس ليوسف في صحيح البخاري سوى حديث طويل حدث به أبو إسحاق بن الدرجي وأجازه لي عن أبي جعفر الصيدلاني وجماعة ، ثم ذكر سنده إلى أن انتهى بابن عباس وساق طرفاً من الحديث .
راجع : سير أعلام النبلاء - للذهبي ٤٨٤/١٠ - ٤٨٧ .

(٤) ذكر هذا الأثر ابن حجر من الطريق الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله في تعليق التعليق ٣٠١/٤ - تحقيق سعيد عبد الرحمن القزقي وقال : إن البرقاني ذكره موصولاً في كتاب المصافحة ، لكن ابن حجر لم يذكره بطوله ، بل اكتفى بذكر سنده وجزء منه .

كما روى الأثر بتمامه يعقوب بن سفيان الفسوي في كتابه : « المعرفة والتاريخ » وقد أشار الشيخ - رحمه الله - إلى ذلك بعد إكماله لنقل الأثر . كما سيأتي ص ٣٢٧ .

(٥) ذلك : ساقطة من : تعليق التعليق .

(٦) في تعليق التعليق : تكذيب .

ما هو بتكذيب ولكن اختلاف ، قال (١) : فهلم ما وقع في نفسك ، فقال له الرجل : أسمع الله يقول : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢) ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٣) ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (٤) ، وقال في آية أخرى ﴿ وَاللَّهُ رَتِيبًا كَمَا مُشْرِكِينَ ﴾ (٥) ، فقد كتّموا في هذه الآية ، وفي قوله : ﴿ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ (٦) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٧) وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٨) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٩) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (١٠) ، فذكر في هذه الآية خلق السماء قبل الأرض ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ أَيُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١) وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لِيَوْمَئِذٍ (١٢) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١٣) وقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٤) ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٥) ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (١٦) وكأنه كان ثم انقضى ، فقال ابن عباس : هات ما في نفسك من هذا ، فقال السائل : إذا أنبأتني بهذا

(١) في تعليق التعليق : قال ابن عباس .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٠١ .

(٣) سورة الصفات ، الآية : ٢٧ .

في جميع النسخ : ﴿ فأقبل بعضهم .. ﴾ وهو خطأ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٤٢ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٢٣ .

(٦) سورة النازعات ، الآيات : ٢٧ - ٣١ .

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ لم تذكر في : س ، ط .

(٧) سورة فصلت ، الآيات : ٩ - ١١ .

(٨) سورة النساء ، الآيات : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٥٢ .

في س : « غفوراً حكيماً » وهو خطأ .

(٩) سورة النساء ، الآية : ١٥٨ .

(١٠) سورة النساء ، الآية : ١٣٤ .

فحسبي ، قال ابن عباس : قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون [فهذا في النفخة الأولى ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون]^(١) ثم إذا كان في النفخة الأخرى قاموا فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، وأما قول الله - عز وجل - : ﴿ وَاللَّهُ رَئِيماً كُفَّراً مُشْرِكِينَ ﴾^(٢) وقوله : ﴿ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثاً ﴾^(٣) فإن الله تعالى يغفر يوم القيامة^(٤) لأهل الإخلاص ذنوبهم لا يتعاطم عليه ذنب أن يغفره ، ولا يغفر شركاً ، فلما رأى^(٥) المشركون ، قالوا : إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك ، تعالوا نقول : إنا كنا أهل ذنوب ولم نك^(٦) مشركين ، فقال الله تعالى : أما إذا كتموا الشرك فأختم على أفواههم ، فتنتطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون ، فعند ذلك عرف المشركون أن الله لا يكتتم حديثاً فذلك قوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثاً ﴾^(٧) .

وأما قوله : ﴿ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾^(٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا^(٢٨) وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا^(٢٩) وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا^(٨) فإنه خلق الأرض في يومين قبل خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين يعني : ثم دحى الأرض ، ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى وشق فيها الأنهار وجعل

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من : س .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٢٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٤٢ .

(٤) في س ، ط : ... تعالى يوم القيامة يغفر .

(٥) في س : رى . وهو تصحيف .

(٦) في س ، ط : نكن .

(٧) سورة النساء ، الآية : ٤٢ .

(٨) سورة النازعات ، الآيات : ٢٧ - ٣٠ .

فيها السبل ، وخلق الجبال والرمال والآكام وما فيها ، في يومين آخرين ،
 فذلك قوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ أَيَنْتَكُمُ لَتَكْفُرُونَ
 بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَتَوَلَّوْنَ لَهُمْ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا
 مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ (٣) وجعلت
 السماوات (٣) في يومين آخرين .

وأما قوله ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٤) ﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٥) ﴿ وَكَانَ اللَّهُ
 عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٦) فإن الله جعل نفسه ذلك ، وسمى نفسه ذلك ، ولم ينحله
 أحداً (٧) غيره ، وكان الله ، أي : لم يزل كذلك ، ثم قال ابن عباس :
 احفظ عني ما حدثتك واعلم أن ما اختلف عليك من القرآن أشباه
 ما حدثتك ، فإن الله لم ينزل شيئاً إلا أصاب به الذي أراد ، ولكن الناس
 لا يعلمون ، فلا يختلف عليك القرآن ، فإن كلاً من عند الله .
 وهكذا رواه يعقوب بن سفيان (٨) في

-
- (١) سورة النازعات ، الآية : ٣٠ .
 (٢) سورة فصلت ، الآيتين : ٩ ، ١٠ .
 (٣) في الأصل : السموات والأرض . وهو تصحيف . والمثبت من : س ، ط ،
 والمعرفة والتاريخ .
 (٤) سورة النساء ، الآية : ١٣٤ .
 (٥) سورة النساء ، الآية : ٩٦ .
 (٦) سورة النساء ، الآية : ١٥٨ .
 (٧) في ط : أحد . وسوف يبين الشيخ في ص ٥٧٩ أن قول ابن عباس هذا
 ما يدل على فساد قول الجهمية من وجوه ، وذكرها .
 (٨) هو : أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي ، الإمام الحافظ
 روى عنه الترمذي والنسائي وابن خزيمة وغيرهم .
 قال أبو زرعة الدمشقي : قدم علينا من نبلأ الرجال يعقوب بن سفيان يعجز
 أهل العراق أن يرو مثله . توفي سنة ٢٧٧ هـ .
 راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي ٥٨٢/٢ ، ٥٨٣ . البداية والنهاية - لابن كثير
 ٦٨/١١ . تهذيب التهذيب - لابن حجر ٣٨٥/١١ - ٣٨٨ .

تاريخه^(١) عن شيخ البخاري ، كما رواه البرقاني ، وإنما يختلفان في يسير من الأحرف^(٢) .

وما ذكره أئمة السنة والحديث متعين^(٣) لما جاء من الآثار من أنه سبحانه لم ينزل كاملاً بصفاته ، لم تحدث له صفة ولا تزول عنه صفة ليس هو بمخالف لقولهم : إنه ينزل كما يشاء^(٤) ، ويجيء يوم القيامة كما يشاء^(٥) ، وإنه استوى على العرش بعد أن خلق السموات ، وأنه يتكلم إذا

(١) في س : نا تاريخه . وهو تصحيف .
والأثر بتمامه في كتاب المعرفة والتاريخ - لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ٥٢٧/١ - ٥٣٠ .

(٢) في الأصل : بعد كلمة (الأحرف) بياض بمقدار أربع كلمات .
وفي س : بياض بمقدار كلمتين ، لكنه نهاية سطر . والكلام متصل في : ط . وفي الحاشية : قوله : « قف على تجدد الفعل ومنع تجدد الصفة » .
ولعل البياض المشار إليه : نهاية كلام . وبداية كلام آخر .

(٣) في الأصل : متبعين .
والمثبت من : س ، ط . ولعله المناسب للسياق .

(٤) سوف نبين قول السلف - رحمهم الله - في نزول الرب - سبحانه وتعالى - عند كلامنا على حديث النزول الذي أورده الشيخ - رحمه الله - في ص ٥١٦ .

(٥) الرب تبارك وتعالى - يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين الناس على ما يليق بجلاله وعظمته - سبحانه - ونزوله ومجيئه وإتيانه من أفعاله الاختيارية .

وقد أنكر ذلك النفاة المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم ممن تبع هواه وقدم رأيه .

وقد تصدى لهم أئمة الإسلام بالبيان والإيضاح على ضوء النصوص الواردة في ذلك .

يقول ابن القيم - رحمه الله : « . . . أن النزول والمجيء والإتيان والاستواء والصعود والارتفاع ، كلها أنواع أفعاله ، وهو الفعال لما يريد ، وأفعاله كصفاته قائمة به ، ولولا ذلك لم يكن فعالاً ولا موصوفاً بصفات كماله ، فنزوله ومجيئه واستواؤه وارتفاعه وصعوده ونحو ذلك كلها أفعال من أفعاله التي إن كانت مجازاً فأفعاله كلها مجاز ، ولا فعل له في الحقيقة ، بل هو بمنزلة الجمادات وهذا =

شاء ، وأنه خلق آدم بيديه^(١) ، ونحو ذلك من الأفعال القائمة

= حقيقة من عطل أفعاله ، وإن كان فاعلاً حقيقة فأفعاله نوعان : لازمة ، ومتعدية كما دلت النصوص التي هي أكثر من أن تحصر على هذين النوعين ، وبإثبات أفعاله وقيامها به نزول عنك جميع الإشكالات ، وتصديق النصوص بعضها بعضاً وتعلم مطابقتها للعقل الصريح .

وإن أنكرت حقيقة الأفعال وقيامها به - سبحانه - اضطرب عليك هذا الباب أعظم اضطراب ، وبقيت حائراً في التوفيق بين النصوص ، وبين أصول النفاة ، وهيئات لك بالتوفيق بين النقيضين ، والجمع بين الضدين .

يوضحه : أن الأوهام الباطلة ، والعقول الفاسدة ، لما فهمت من نزول الرب ومجيئه وإتيانه وهبوطه ودنوه ما يفهم من مجيء المخلوق وإتيانه وهبوطه ودنوه ، وهو أن يفرغ مكاناً ويشغل مكاناً ، نفت حقيقة ذلك فوقت في محذورين : محذور التشبيه ، ومحذور التعطيل ، ولو علمت هذه العقول الضعيفة أن نزوله - سبحانه - ومجيئه وإتيانه لا يشبه نزول المخلوق وإتيانه ومجيئه ، كما أن سمعه وبصره وعلمه وحياته كذلك ، بل يده الكريمة ووجهه الكريم كذلك ، وإذا كان نزولاً ليس كمثل نزول ، فكيف تنفي حقيقته ، فإن لم تنف المعطلة حقيقة ذاته وصفاته وأفعاله بالكلية ، وإلاً تناقضوا ، فإنهم أيّ معنى أثبتوه لزمهم في نفيه ما ألزموا به أهل السنة المثبتين لله ما أثبت لنفسه ، ولا يجدون إلى الفرق سبيلاً .

راجع : مختصر الصواعق المرسله - لابن القيم - اختصار الموصلي ٢/٢٢٨ ، ٢٢٩ . وانظر رأي السلف - رحمهم الله - في مسألة مجيء الله تعالى يوم القيامة ، والرد على مخالفهم في المصادر التالية :

الرد على الجهمية - للدارمي ص ٤٤ - ٥٣ . رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص ١٤٨ ، ١٤٩ . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/٦ - ١١ . الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد الفياض ص ٩٩ - ١٠٣ .

(١) الله - سبحانه وتعالى - خلق آدم بيديه . قال تعالى لابليس ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ سورة ص / ٧٥ .

وفي الحديث : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى - عليهما السلام - عند ربهما ، فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته » . . الحديث . صحيح مسلم ٤/٢٠٤٣ - كتاب القدر - باب =

بذاته^(١) ، فإن الفعل الواحد من هذه الأفعال ليس مما يدخل في مطلق صفاته ، ولكن كونه بحيث يفعل إذا شاء هو صفته ، والفرق بين الصفة والفعل ظاهر ، فإن تجدد الصفة أو زوالها يقتضي تغير الموصوف واستحالته ، ويقتضي تجدد كمال له بعد نقص ، أو تجدد نقص له بعد كمال ، كما في صفات^(٢) الموجودات كلها إذا حدث للموصوف ما لم يكن عليه من الصفات ، مثل ما تجدد العلم بما لم يكن يعلمه ، والقدرة على ما لم يكن يقدر عليه ، ونحو ذلك ، أو زال^(٣) عنه ذلك بخلاف الفعل ، وهكذا يقوله طوائف من أهل الكلام المخالفين للمعتزلة والذين هم أقرب إلى السنة منهم من المرجئة والكرامية وطوائف من الشيعة ، كما نقلوه^(٤) عن الكرامية ، الذين يقولون : إنه تحله الحوادث من القول والإرادة والاستماع^(٥) والنظر ، ويقولون مع ذلك : لم يزل الله متكلماً ،

= حجاج آدم وموسى عليهما السلام - الحديث / ١٥ .

إلى غير ذلك من النصوص الصريحة الواضحة في خلق الله لآدم بيده ، التي ذكر طرفاً منها الأجرى في كتابه « الشريعة » ص ٣٢٣ - ٣٢٥ ، وقال قبل ذكرها : « يقال للجهمي الذي ينكر أن الله - عز وجل - خلق آدم بيده : كفرت بالقرآن ورددت السنة ، وخالفت الأمة » .

وقد عقد ابن منده - رحمه الله - في كتابه الرد على الجهمية ص ٦٨ - ٧٢ باباً قال فيه : « باب ذكر قول الله عز وجل : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ ، ثم قال : ذكر ما يستدل من كلام النبي ﷺ على أن الله - جل وعز - خلق آدم - عليه السلام بيدين حقيقة » .

ثم أورد بعض الأحاديث الواردة في ذلك .

(١) في الأصل : بذلك . والمثبت من : س ، ط .

(٢) في الأصل : صفة .

وأثبت المناسب من : س ، ط .

(٣) في س : أو زوال .

(٤) في س ، ط : نقلوا .

(٥) في س : الامتناع .

ولم يزل بمشيئته القديمة ، ولم يزل سميعاً بصيراً ، أجمعوا على أن هذه الحوادث لا توجب لله سبحانه وصفاً ، ولا هي صفات له سبحانه ، والذين ينازعون في هذا من المعتزلة ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم ، فيقولون : لو قام فعل حادث بذات^(١) القديم لا تصف به وصار الحادث صفة له ، إذ لا معنى لقيام المعاني واختصاصها بالذوات إلا^(٢) كونها صفات لها^(٣) ، فلو قامت الحوادث من الأفعال والأقوال والإرادات بذات القديم لا تصف بها كما اتصف بالحياة والقدرة والعلم والمشئته ، ولو اتصف بها لتغير^(٤) ، والتغير عليه ممتنع ، وهذا نزاع لفظي ، فإن تسميته هذا صفة وتغيراً لا يوافقهم الأولون عليه ، وليست اللغة - أيضاً - موافقة عليه ، فإنها لا تسمي قيام الإنسان وقعوده تغيراً له ، ولا يطلق القول بأنه صفة له ، وإن أطلق ذلك فالنزاع اللفظي لا يضر إلا إذا حولت ألفاظ الشريعة ، وليس في الشريعة ما يخالف ذلك ، ولكن هؤلاء كثيراً ما يتنازعون في الألفاظ المجملة المتشابهة ، قد قيل : أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء .

قال الإمام أحمد^(٥) في وصف أهل البدع : « فهم مخالفون للكتاب^(٦) مختلفون في الكتاب ، مجتمعون^(٧) على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله ، وفي كتاب الله بغير علم ، ويتكلمون

= في ط : الاستمتاع .

(١) في الأصل : بحال . والمثبت من : س ، ط .

(٢) في الأصل : لا . والمثبت من : س ، ط .

(٣) في الأصل : له . والمثبت من : س ، ط .

(٤) في س ، ط : لتغير بها .

(٥) الرد على الجهمية والزندقة - للإمام أحمد - ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٦) في ط : الكتاب .

(٧) في الرد على الجهمية : فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب

مجمعون ..

بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم » .

والذي يبين أن مجرد الحركة في الجهات ليس تغيراً ما ثبت في صحيح مسلم^(١) عن أبي سعيد^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال : « من رأى منكراً منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

فأمر بتغيير المنكر باليد أو اللسان ، ومعلوم أن تغير المنكر هو : ما يخرج عن أن يكون منكراً ، وذلك لا يحصل إلا بإزالة صورته وصفته لا بتحريكه من حيز إلى حيز ، فتغيير^(٣) الخمر لا يحصل بمجرد نقلها من حيز إلى حيز ، بل بإزالتها أو إفسادها مما فيه استحالة صورتها^(٤) ، وكذلك من رأى من يقتل غيره ، لم يكن تغير ذلك بمجرد النقل الذي ليس فيه زوال صورة القتل ، بل لا بد من زوال صورة القتال ، وكذلك الزانيان^(٥) وكذلك المتكلم بالبدعة ، والداعي ليس بتغير هذا المنكر بمجرد التحويل من حيز إلى حيز ، وأمثال ذلك كثيرة ، فإذا كان النبي ﷺ

(١) صحيح مسلم ٦٩/١ كتاب الأيمان - باب بيان كون النهي عن المنكر من الأيمان الحديث ٧٨ .

وانظر : سنن الترمذي ٤/٤٦٩ ، ٤٧٠ كتاب الفتن - باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أبو بالقلب . الحديث ٢١٧٢ .
وراجع : مسند الإمام أحمد ٣/٢٠ ، ٤٩ .

(٢) هو : أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، مشهور بكنيته ، من أعيان الصحابة وفقهائهم ، شهد الخندق وبيعة الرضوان وغيرهما ، توفي سنة ٧٤ هـ .

راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ١/٤٤ . والإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر - ٢/٣٥ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ١/٨١ .

(٣) في س : فتغير .

(٤) في س : صورته .

(٥) في س : الزانيات .

قد أمر بتغيير المنكر ، وذلك لا يحصل - قط - بمجرد النقل في الأحياء والجهات ، إذ الأحياء والجهات متساوية ، فهو منكر هنا^(١) ، كما أنه منكر هناك^(٢) ، علم أن هذا لا^(٣) يدخل في مسمى التغيير ، بل لا بد في التغيير من إزالة صورة موجودة ، وأن ذلك قد يحصل بالنقل ، لكن الغرض أن مجرد الحركة كحركة الشمس والقمر والكواكب لا يسمى تغييراً ، بخلاف ما يعرض للجسد من الخوف والمرض والجوع ، ونحو ذلك ، مما يغير صفته .

قلت : وفي هذا الكلام الذي ذكره الإمام أحمد رد على الطائفتين المختلفتين في معنى قول أحمد وسائر السلف في معنى : أن القرآن غير مخلوق ، هل المراد أنه قديم لازم لذاته ، لا يتعلق بالمشيئة والقدر كالعلم أو المراد أنه لم يزل متكلماً؟ . كما يقال : لم يزل خالقاً ، وقد ذكر الخلاف في ذلك عن أصحاب الإمام أحمد أبو بكر عبد العزيز^(٤) في

(١) في س : هذا .

(٢) في الأصل ، س : هنا . والمثبت من : ط .

(٣) في س : له .

(٤) هو : أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد البغوي ، المعروف بغلام الخلال ، من أعيان الحنابلة ، كان تلميذاً لأبي بكر الخلال .

يقول عنه القاضي أبو يعلى : كان أحد أهل الفهم ، موثقاً به في العلم ، متسع الرواية ، مشهوراً بالديانة ، موصوفاً بالأمانة ، مذكوراً بالعبادة ، ولد سنة ٢٨٥ ، وتوفي سنة ٣٦٣ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٥٩/١٠ ، ٤٦٠ . وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ١١٩/٢ - ١٢٧ . والبداية والنهاية - لابن كثير ٣١١/١١ .

كتاب المقنع^(١) ، وذكره عنه^(٢) القاضي أبو يعلى في كتاب « البيان في القرآن^(٣) » ، مع أن القاضي وأتباعه يقولون بالقول الأول ، ويتأولون كلام أحمد المخالف لذلك على الأسماع ونحوه ، وليس الأمر كذلك .

(١) كتاب المقنع لأبي بكر ، في الفقه ، أشارت إليه المصادر السابقة .
يقول ابن الجوزي في المنتظم ٧/٧٢ : « . . له المصنفات الحسنة منها المقنع نحو مائة جزء » .

ولم يذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ، ولا سزكين في تاريخ التراث العربي ضمن آثار أبي بكر .

وذكر الشيخ - رحمه الله - القولين عن أبي بكر في كتابه درء تعارض العقل والنقل ٢/٧٤ ، فقال : قال أبو بكر لما سأله : « إنكم إذا قلت : لم يزل متكلماً ، كان ذلك عبثاً ، فقال : لأصحابنا قولان : أحدهما : أنه لم يزل متكلماً كالعلم ، لأن ضد الكلام الخرس ، كما أن ضد العلم الجهل .

قال : ومن أصحابنا من قال : قد أثبت - سبحانه - لنفسه أنه خالق ، ولم يجز أن يكون خالقاً في كل حال ، بل قلنا : إنه خالق في وقت إرادته أن يخلق ، وإن لم يكن خالقاً في كل حال ، ولم يبطل أن يكون خالقاً ، كذلك وإن لم يكن متكلماً في كل حال لم يبطل أن يكون متكلماً ، بل هو متكلم خالق ، وإن لم يكن خالقاً في كل حال ولا متكلماً في كل حال .

(٢) في الأصل : عند . وفي س : عن .
والمثبت من : ط .

(٣) هو : كتاب « إيضاح البيان في مسألة القرآن » للقاضي أبي يعلى ، وقد أشار إليه الشيخ - رحمه الله - في كتابه « درء تعارض العقل والنقل ٢/٧٤ .
والشيخ - رحمه الله - كثيراً ما يختصر اسم الكتاب ، وهذا ما أوقعني في حرج عندما أريد التعريف بالكتاب .

وقد ذكر - رحمه الله - قول القاضي أبي يعلى في هذه المسألة .

وهذه المسألة هي التي وقعت الفتنة بها بين الإمام أبي بكر بن خزيمة^(١) وبعض أصحابه^(٢) .

(١) هو : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن بكر السلمى النيسابوري الشافعي ، الملقب بإمام الأئمة ، بحر من بحور العلم ، صاحب التصانيف حدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين .

قال عنه الدارقطني : « كان ابن خزيمة إماماً ثبتاً معدوم النظر » . ولد سنة ٢٢٣ ، وتوفي سنة ٣١١ هـ .

راجع : المنتظم - لابن الجوزي - ١٨٤/٦ - ١٨٦ . سير أعلام النبلاء - للذهبي - ٣٦٥/١٤ - ٣٨٢ . البداية والنهاية - لابن كثير - ١١/١٦٧ .

(٢) لقد دس الجهمية والمعتزلة لبعض تلامذة ابن خزيمة المتقدمين وأصحابه المحققين شياً أغروهم بها عليه ، وأوقعوا الفتنة بينهم حسداً منهم ، ومحاولة لإظهار مذهبهم .

وقد أورد الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ٧٢٠/٢ فما بعدها - بعض ما حدث في هذه الواقعة ، فمما ذكره أن الحاكم قال : « حدثني أبو بكر محمد بن حمدون وجماعة - إلا أن أبا بكر أعرفهم بالواقعة ، قال : لما بلغ ابن خزيمة من السن والرياسة والتفرد منهما ما بلغ كان له أصحاب صاروا أنجم الدنيا ، مثل : أبي علي الثقفي ، وأبي بكر بن إسحاق الصبغي ، خليفة ابن خزيمة في الفتوى وأحسن الجماعة تصنيفاً وسياسة في مجالس السلاطين ، وأبي بكر بن أبي عثمان ، وهو أدبهم وأكثرهم جمعاً للعلوم ، وأبي محمد يحيى بن منصور ، وكان من أكابر البيوتات وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء ، فلما ورد منصور الطوسي كان يختلف إلى ابن خزيمة للسمع وهو معتزلي ، وعان ما عان من الأربعة الذين سميناهم ، حسدهم واجتمع مع أبي عبد الرحمن الواعظ (القدري) فقالا : هذا إمام لا يسرع في الكلام وينهى عنه ، وقد نبغ له أصحاب يخالفونه وهو لا يدري فإنهم على مذهب الكلائية ، فاستحکم طمعهما في إيقاع الوحشة بينهم » .

ومما ذكره الحافظ أن الحاكم قال : « سمعت أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد المقرئ سمعت ابن خزيمة يقول : إن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال : شيء منه مخلوق ، أو يقول : إن الله لا يتكلم بعد ما تكلم به في الأزل ، أو يقول : إن أفعاله تعالى مخلوقة ، أو يقول : إن القرآن محدث فهو جهمي » ، ومن نظر في كتبي بان له أن الكلائية - لعنهم الله - كذبة فيما يحكون عني . . . إلى أن =

وكلام أحمد ، والأئمة ، ليس هو قول هؤلاء ، ولا قول هؤلاء ، بل فيه ما أثبتته هؤلاء من الحق ، وما أثبتته هؤلاء من الحق ، وكل من الطائفتين أثبت من الحق ما أثبتته ، فإن الإمام أحمد قد بين أنه لم يزل^(١) متكلماً إذا شاء [وإذا]^(٢) نظر ذلك بالعلم والقدرة والنور فليس كالمخلوقات البائنة عنه ، لأن الكلام من صفاته ، وليس كالصفة القائمة به التي لا تتعلق بمشيئته [لأن الكلام متعلق بمشيئته]^(٣) ولهذا قال أحمد في رواية حنبل^(٤) : لم يزل الله متكلماً عالماً غفوراً ، وقد ذكرنا كلام ابن عباس في دلالة القرآن على ذلك ، فذكر أحمد ثلاث صفات : متكلماً عالماً غفوراً ، فالمتكلم يشبه العلم من وجه ، ويشبه المغفرة من وجه ، فلا يشبه بأحدهما دون الآخر^(٥) ، فالطائفة التي جعلته كالعلم من كل وجه ، والطائفة التي جعلته كالغفرة من كل وجه ، قصرت في معرفته ،

= قال : وقد صح عندي أن الثقفي والصبغي ويحيى بن منصور كذبة ، قد كذبوا عليّ في حياتي ، فمحرم على مقتبس علم أن يقبل منهم شيئاً يحكونه عني ، وابن أبي عثمان أكذب عندي وأقولهم عليّ ما لم أقله .
يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٨٠/١٤ بعد ذكره لهذا الكلام : « ما هؤلاء بكذبة ، بل أئمة أثبات ، وإنما الشيخ تكلم على حسب ما نقل له عنهم فقبح الله من ينقل البهتان ، ومن يمشي بالنميمة » .
إلى غير ذلك من النصوص الواردة في هذه الفتنة والتي لا يتسع المجال لاستقصائها ، وما ذكرناه فيه الكفاية للدلالة على المقصود .

- (١) في س ، ط : لم يزل الله .
- (٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط .
- (٣) ما بين المعقوفتين : ساقط من : س ، ط .
- (٤) ذكر القاضي أبو يعلى قول الإمام أحمد في رواية حنبل في كتابه « إبطال التأويلات لأخبار الصفات - مخطوط - اللوحة ١٤٧ .
- وانظر ما نقله الشيخ عن الخلال . . . عن حنبل بن إسحاق أن أبا عبد الله قال لم يزل الله عالماً متكلماً - ص ٣٥٩ .
- (٥) في س : لاخر .

وليس هذا وصفاً له بالقدرة على الكلام ، بل هو وصف له بوجود الكلام ، إذا شاء ، وسيجيء كلام أحمد في رواية المروزي ^(١) .
 وقوله : إن الله لم يخل من العلم والكلام ، وليس من الخلق ، لأنه لم يخل منهما ، ولم يزل الله متكلماً عالماً ، فقد نفى عنهما الخلق في ذاته ، أو غير ذاته ، وبين أنه لم يخل منهما ، وهذا ^(٢) يبين أنه لم يخلق القرآن لا في ذاته ، ولا خارجاً عنه ، وفي كلامه دليل على أن قول القائل : تحله الحوادث أو لا تحله الحوادث ، كلاهما منكر عنده ، وهو مقتضى ^(٣) أصوله ، لأن في ذلك بدعة ، وفي إثباته - أيضاً - بدعة ، ولهذا أنكر أحمد على من قال : القرآن محدث إذا كان معناه عندهم معنى الخلق المخلوق ، كما روى الخلال عن الميموني ^(٤) أنه قال لأبي عبد الله :

(١) في س ، ط : المروزي .

وكذا ورد في البداية والنهاية . وهو خطأ . والمروزي من « مرو الروذ » والنسبة إليه « مروزي » المنتسبون إليه قليل ، وأما مرو الكبرى « مرو الشاهجان » فالنسبة إليه « مروزي » على غير قياس ، والمنتسبون إليه كثير ، ولهذا يقع في بعض الكتب نسبة صاحب الإمام أحمد « المروزي » .

راجع : معجم البلدان - للحموي - ١١٢/٥ - ١١٦ . والمتنظم - لابن الجوزي - ١١١/٦ ت : (٣) .

هو : أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز المروزي ، شيخ بغداد ، وأجل أصحاب الإمام أحمد ، وممن يأنس به ، روى عنه مسائل كثيرة ، توفي سنة ٢٧٥ هـ .

راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٥٦/١ - ٦٣ . تذكر الحفاظ - للذهبي - ٦٣١/٢ - ٦٣٣ . والبداية والنهاية - لابن كثير - ٦٢/١١ .

(٢) في ط : وهنا .

(٣) في ط : تقتضي .

(٤) هو : أبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران الميموني ، تلميذ الإمام أحمد ، ومن كبار الأئمة ، عالم الرقة ومفتيها في زمانه ، روى عنه النسائي ووثقه ، ولد سنة ١٨١ هـ ، وتوفي سنة ٢٧٤ هـ .

ما تقول فيمن قال : إن أسماء الله محدثة ؟ فقال : كافر . ثم قال لي : الله من أسمائه ، فمن قال : إنها^(١) محدثة فقد زعم أن^(٢) الله مخلوق وأعظم أمرهم عنده^(٣) ، وجعل يكفرهم وقرأ عليّ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤) وذكر آية أخرى .

وقال الخلال^(٥) : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل ، يحكي عن أبيه كلامه في داود الأصبهاني^(٦) ، وكتاب محمد بن يحيى النيسابوري^(٧) ، قال : جاءني داود ، فقال : تدخل على أبي عبد الله وتعلمه قصتي ، وأنه

- = راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٢١٢/١ - ٢١٦ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٨٩/١١٠ ، ٩٠ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٤٠٠/٦ .
- (١) في الأصل : أنهم . والمثبت من : س ، ط .
- (٢) أن : ساقطة من : س .
- (٣) في الأصل : عندهم . والمثبت من : س ، ط .
- (٤) سورة الصافات ، الآية : ١٢٦ .
- (٥) لم أقف عليه في السنة - للخلال - لعدم وضوح بعض لوحاته ، رغم اجتهادي في معرفة مضمونها .
- (٦) هو : أبو سليمان داود بن خلف الأصبهاني ، الفقيه ، والمشهور بالظاهري ، صاحب مذهب مستقل ، تبعه جمع كثير من الظاهرية ، سمع إسحاق بن راهوية ، وأبا ثور ، وغيرهما ، ولد سنة ٢٠٠ ، وتوفي سنة ٢٧٠ هـ .
- راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٦٩/٨ - ٣٧٥ . والمنتظم - لابن الجوزي - ٧٥/٥ - ٧٧ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ٤٧٣/١٣ - ٤٧٧ .
- (٧) هو : أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي النيسابوري ، عالم أهل المشرق ، وإمام أهل الحديث بخراسان .
- قال عنه ابن أبي حاتم : ثقة صدوق ، إمام من أئمة المسلمين . توفي سنة ٢٥٨ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١/٤/١٢٥/١ ت : ٥٦١ . طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٣٢٧/١ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٢٧٣/١٢ - ٢٨٥ .

لم يكن مني - يعني ما حكوا عنه - قال : فدخلت على أبي فذكرت له ذلك ، قال : ولم أعلم أنه على الباب ، فقال لي : كذب . قد جاءني كتاب محمد بن يحيى ، هات تلك الضبارة^(١) .

قال الخلال : وذكر الكلام فلم أحفظه جيداً ، فأخبرني^(٢) أبو يحيى زكريا^(٣) بن^(٤) الفرج البزاز ، قال : جئت يوماً إلى أبي بكر المروزي^(٥) ، وإذا عنده عبد الله بن أحمد ، فقال له أبو بكر : أحب أن تخبر أبا يحيى^(٦) ما^(٧) سمعت من أبيك في داود الأصبهاني ، فقال عبد الله : لما قدم داود

(١) في الأصل ، س : الضيارة . والمثبت من : ط .
الضبارة : لغة من إضبارة .

والإضبارة : هي الحزمة من الصحف .

راجع : لسان العرب - لابن منظور - ٤٧٩/٤ (ضبر) .

(٢) روى القاضي أبو الحسين ابن أبي يعلى ، في طبقات الحنابلة - ٥٨/١ - أن أبا يحيى زكريا بن الفرج البزاز قال : جئت يوماً . . . » .

وذكر القصة التي رواها الخلال عن أبي يحيى ، ولذا سوف أقابل النص على ما ورد في الطبقات .

(٣) ورد في جميع النسخ : أبو يحيى عن زكريا . ولعل صحة اسمه كما هو مثبت من : الطبقات . والسنة « المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل » مخطوط - اللوحتان : ١٩٦ ، ١٩٨ .

(٤) في الأصل : زكريا بن الفرج الرازي : وفي : س ، ط : زكريا أبو الفرج الرازي .

ولم أقف على ترجمته . ولعل الصواب ما أثبتته من الطبقات ، والسنة « المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل » .

(٥) في جميع النسخ : المروزي . وهو تصحيف . والمثبت من الطبقات . تقدمت ترجمته ص : ٣٣٧ .

(٦) في الأصل : أبا بكر يحيى . وهو خطأ .

والمثبت من : س ، ط ، والطبقات .

(٧) في الأصل : أما .

وفي الطبقات : بما . والمثبت من : س ، ط .

من خراسان جاءني فسلم عليّ فسلمت عليه ، فقال لي : قد علمت شدة محبتي لكم وللشيخ ، وقد بلغه عني كلام ، فأحب أن تعذرني عنده وتقول له : أن ليس هذا مقالتي ، أو ليس كما قيل لك ، فقلت : لا يريد ، فأبى ، فدخلت^(١) إلى أبي فأخبرته أن داود جاء ، فقال : إنه لا يقول بهذه المقالة وأنكر ، قال : جئني بإضبارة^(٢) الكتب تلك ، فأخرج منها كتاباً فقال : هذا كتاب محمد بن يحيى النيسابوري وفيه : أنه يعني داود الأصبهاني^(٣) ، أحل في بلدنا الحال والمحل ، وذكر في كتابه أنه قال القرآن محدث . فقلت له : إنه ينكر ذلك ، فقال : محمد بن يحيى أصدق منه لا يقبل قوله العدو لله^(٤) ، أو نحو ما قال أبو يحيى .

وأخبرني أبو بكر المروزي^(٥) بنحو ذلك .

قال^(٦) الخلال : وأخبرني الحسين بن عبد الله - يعني الخرقى -^(٧)

-
- (١) في الطبقات : فقلت له لا يريد ، فإنني قد دخلت . .
(٢) في الأصل : الإضبارة . والمثبت من : س ، ط .
وفي الطبقات : الضبارة الكتب فجئته بها .
(٣) قوله : « إنه - يعني داود الأصبهاني » . ساقط من الطبقات .
(٤) في س ، ط : لا تقبل قول عدو الله .
وفي الطبقات : لا تقبل قول العدو لله .
(٥) في ط : المروزي .
(٦) أورده الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ١٠٣/١٣ .
وذكره السبكي في « طبقات الشافعية » ٢٨٦/٢ . ولم أقف عليه في « السنة » للخلال . وسوف أقابل النص على ما ذكره الذهبي .
(٧) هو : أبو علي الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى - بكسر الخاء وفتح الراء - نسبة إلى بيع الثياب والخرق - صحب جماعة من أصحاب أحمد وكان يدعى خليفة المروزي روى عنه أبو بكر الشافعي وعبد العزيز بن جعفر الحنبلي وغيرهما توفي سنة ٢٩٩ .
راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٤٥/٢ - ٤٧ . والأنساب - للسمعاني - ٩٩/٥ . والوافي بالوفيات - للصفدي ٣٨٦/١٢ .

والد أبي القاسم^(١) صاحب المختصر^(٢) قال : سألت أبا بكر المروزي^(٣) عن قصة داود الأصبهاني وما أنكر عليه أبو عبد الله ، فقال : كان داود خرج إلى خراسان إلى إسحاق^(٤) بن راهوية ، فتكلم بكلام شهد عليه أبو نصر بن عبد المجيد وشيخ^(٥) من أصحاب الحديث من قطعة الربيع^(٦) شهدوا.....

(١) هو : أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى ، الفقيه الحنبلي قرأ العلم على أبيه وأبي بكر المروزي وغيرهما ، خرج من بغداد مهاجراً إلى دمشق لما كثر بها الشر وسب الصحابة - رضوان الله عليهم - توفي سنة ٣٣٤ هـ .
راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٧٥/٢ - ١١٨ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان ٤٤١/٣ . وشذرات الذهب - لابن العماد - ٣٣٦/٢ .

(٢) قوله : « يعني الخرقى والد أبي القاسم صاحب المختصر » : ساقط من السير .
المختصر : في الفقه على مذهب الإمام أحمد ، يعرف بمختصر الخرقى ، وعدد مسائله (٢٣٠٠) مسألة لم ينتشر لأبي القاسم غيره مع كثرة مصنفاته وتخريجاته على المذهب التي أودعها في دار ببغداد عندما خرج منها ، وقد احترقت الدار فدمت مصنفاته قبل أن تنتشر ، طبع هذا المختصر عدة طبعات آخرها سنة ١٤٠٣ هـ ، بتحقيق زهير الشاويش ، وقد شرحه عدد من العلماء كالقاضي أبو يعلى في مجلدين ، وابن قدامة المقدسي (ت : ٦٢٠ هـ) الذي سمي شرحه بـ (المغني) وهو كتاب قيم .

راجع : المنتظم - لابن الجوزي - ٣٤٦/٦ . والبداية والنهاية - لابن كثير - ٢٤٠/١١ ، ٢٤١ . ومقدمة المختصر - تحقيق زهير الشاويش ص ٧ - ١٠ - التعريف بمختصر الخرقى الذي كتبه الشيخ محمد بن مانع .

(٣) في ط : المروزي .

(٤) إسحاق : ساقطة من : السير .

(٥) في السير : وآخر . وسقط قوله : « وشيخ من أصحاب الحديث من قطعة الربيع » .

(٦) تنسب إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور ، وكانت قطعة الربيع بالكرخ مزارع الناس من قرية يقال لها : بياورى ، وهما قطيعتان داخلتا أقطعه إياها المنصور وخارجة أقطعه إياه المهدي ، وكان التجار يسكنونها حتى صارت ملكاً لهم دون ولد الربيع .

راجع : معجم المبلدان - لياقوت الحموي - ٣٧٧/٤ .

عليه^(١) أنه قال : القرآن محدث ، فقال لي أبو عبد الله : من داود بن علي^(٢) ، لا فرج الله عنه ؟ فقلت^(٣) : هذا من غلمان أبي ثور^(٤) ، قال : جاءني كتاب محمد بن يحيى النيسابوري أن داود الأصبهاني قال ببلدنا : إن القرآن محدث [ثم إن داود قدم إلى ها هنا فذكر نحو قصة عبد الله]^(٥) .

قال المروزي^(٦) : وحدثني محمد بن إبراهيم النيسابوري ، أن إسحاق بن إبراهيم^(٧) بن راهوية لما سمع كلام داود في بيته وثب عليه إسحاق فضربه^(٨) وأنكر عليه . هذه قصته .
قال الخلال^(٩) : أخبرني محمد بن جعفر الراشدي^(١٠) ، قال :

- (١) في السير : شهدا عليه .
- (٢) في س ، ط : « ... بن علي الأصبهاني .. » .
- (٣) في السير : « قلت » .
- (٤) هو : أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي ، الإمام الفقيه الثقة مفتي العراق حدث عنه أبو داود وابن ماجه وغيرهما . قال ابن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً ، صنف الكتب وفرغ على السنن . ولد ١٧٠ وتوفي ٢٤٠ .
- راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٦٥/٦ - ٦٩ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٥١٢/٢ ، ٥١٣ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ١١٨/١ ، ١١٩ .
- (٥) ما بين المعقوفتين : ساقط من : السير .
- (٦) في ط : المروزي .
- (٧) ابن إبراهيم : ساقطة من السير .
- (٨) في السير : « ... وثب على داود وضربه .. » .
- (٩) لم أقف عليه في السنة - للخلال - لعدم وضوح بعض لوحاته .
- (١٠) هو : أبو جعفر محمد بن جعفر بن عبد الله بن جابر الراشدي - نسبة إلى الراشدية ، قرية من نواحي بغداد ، قال الخطيب البغدادي : كان ثقة ، توفي سنة ٣٠١ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١٣١/٢ ، ١٣٢ . والأنساب - للمسمعاني - ٣٩/٦ ، ٤٠ . واللباب في تهذيب الأنساب - لابن الأثير ٧/٢ .

لقيت محمد بن يحيى^(١) بالبصرة ، عند بندار^(٢) ، فسألته عن داود ، فأخبرني بمثل ما كتب به محمد بن يحيى إلى أحمد بن حنبل ، وقال : خرج من عندنا من خراسان بأسوأ حال ، وكتب لي^(٣) بخطه ، وقال : شهد عليه بهذا القول بخراسان علماء نيسابور .

[قلت]^(٤) أما الذي تكلم به عند إسحاق ، فأظنه كلامه في مسألة اللفظ ، فإنه قال الأمرين كما قال^(٥) الخلال : (سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة^(٦) ، سمعت أبا عبد الله محمد بن الحسن بن

(١) في الأصل ، ط : ابن محمد بن يحيى . والمثبت من : س ، ولعله الصواب . وتقدمت ترجمته ص ٣٨٨ .

(٢) هو : أبو بكر محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان العبدي البصري ، راوية الإسلام ، الملقب ببندار ، لأنه كان بندار الحديث في عصره ببلده ، والبندار الحافظ ، روى عنه الستة في كتبهم ، قال أبو حاتم الرازي : صدوق . ولد سنة ١٦٧ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٢ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٣/٢/٢١٤/ت : ١١٨٧ . وتاريخ بغداد - للبغدادي - ١٠١/٢ - ١٠٥ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ١٤٤/١٢ - ١٤٩ .

(٣) في س : إلي .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط .

وفي الأصل : بياض في نهاية السطر بمقدار أربعة كلمات . وفي س : بياض بمقدار ثلاث كلمات .

(٥) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/١٠٣ .

وكذا السبكي في طبقات الشافعية ٢/٢٨٦ ، ولم أقف عليه في السنة .

(٦) هو : أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة البغدادي ، الإمام الحافظ الفقيه ، موصوف بالإنقان والتثبت ، ذكره الدارقطني فقال : ثقة ثقة ، روى القراءات عن جماعة ، ونقل عن الإمام مسائل كثيرة . توفي سنة ٢٩٣ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٠/٥ ، ٤١ . وطبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٦٤/١ ، ٦٥ . وتذكرة الحفاظ - للذهبي - ٧٤٥/٢ ، ٧٤٦ .

صبيح قال : سمعت داود الأصبهاني يقول : القرآن محدث ، ولفظي بالقرآن مخلوق .

[قلت]^(١) فأنكر الأئمة على داود قوله : إن القرآن محدث لوجهين^(٢) :

أحدهما : أن معنى هذا عند الناس كان معنى قول من يقول : القرآن مخلوق ، وكانت الواقعة : الذين يعتقدون أن الخلق مخلوق ، ويظهرون الوقف ، فلا يقولون : مخلوق ولا غير مخلوق ، يقولون : إنه محدث ، ومقصودهم مقصود الذين قالوا : هو مخلوق ، فيوافقونهم في المعنى ويستترونها بهذا اللفظ ، ويمتنعون عن^(٣) نفي الخلق عنه ، وكان إمام الواقعة في زمن أحمد ، محمد بن شجاع الثلجي^(٤) يفعل ذلك ، وهو تلميذ بشر المريسي ، وكانوا يسمونه ترس^(٥)

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط .

وفي الأصل : بياض بنهاية السطر بمقدار خمس كلمات .
وفي س : بياض بمقدار كلمتين .

(٢) في الأصل : لأمرين . والمثبت من : س ، ط . لقول الشيخ : فهذا أحد الوجهين . ص ٤٢٥ .

(٣) في س : عند .

(٤) هو : أبو عبد الله محمد بن شجاع يعرف بالثلجي ، الفقيه البغدادي الحنفي .

قال عنه الإمام أحمد : مبتدع صاحب هوى . وقال ابن الجوزي : حدث عن يحيى بن آدم وابن عليّة ووكيعة وصاحب الحسن بن زياد اللؤلؤي ، إلا أنه كان رديء المذهب في القرآن .

وقال الذهبي : جاء من غير وجه أنه كان ينال من أحمد وأصحابه . ولد سنة ١٨١ هـ ، وتوفي سنة ٢٦٦ .

راجع : المنتظم - لابن الجوزي ٥٧/٥ ، ٥٨ . وميزان الاعتدال - للذهبي - ٣/٥٧٧ - ٥٧٩ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر ٩/٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٥) الترس : بضم التاء ، جمعه أتراس أو تروس ، والترس من السلاح ما يتوقى به ، وتترس بالترس : تستر به وتوقى .

الجهمية ، ولهذا ذكر^(١) أهل المقالات عنه ذلك .

قال الأشعري في كتاب المقالات^(٢) : «القول في القرآن ، قالت المعتزلة والخوارج وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة : إن القرآن كلام الله وإنه مخلوق لله ، لم يكن ثم كان » .

وقال^(٣) هشام بن الحكم^(٤) ومن ذهب مذهبه : إن القرآن صفة لله لا يقال^(٥) : إنه مخلوق ولا إنه خالق ، هكذا^(٦) الحكاية عنه .

وزاد البلخي^(٧) في الحكاية عنه^(٨) أنه قال : لا يقال غير مخلوق

= راجع : لسان العرب - لابن منظور - ٣٢/٦ . والمعنى : أن الجهمية تستر بابن الثلجي .

- (١) في س ، ط : حكى .
 - (٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - لأبي الحسن الأشعري ٢/٢٥٦ - ٢٥٩ .
 - (٣) في س : وكان . وهو تصحيف .
 - (٤) هو : أبو محمد هشام بن الحكم الشيباني ، من أهل الكوفة ، سكن بغداد ، وكان من كبار الرافضة ومشاهيرهم ، كان مجسماً ، ذكر له ابن قتيبة أقوالاً شنيعة . توفي حوالي سنة ١٩٠ هـ على اختلاف في ذلك .
 - (٥) راجع : تأويل مختلف الحديث - لابن قتيبة - ص ٣٥ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ١٠/٥٤٣ ، ٥٤٤ . ولسان الميزان - لابن حجر - ٦/١٩٤ .
 - (٦) في المقالات : لا يجوز أن يقال ...
 - (٧) في جميع النسخ : هذه . والمثبت من المقالات . وهو يستقيم به الكلام .
 - (٨) في جميع النسخ : الثلجي . والمثبت من المقالات . ولعله الصواب .
- هو : أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي صاحب كتاب مقالات الإسلاميين . توفي سنة ٣١٩ هـ . انظر ترجمته وما كتب عن أتباعه ص ١٠٩١ . ورأي الثلجي سوف يأتي فيما بعد ، وقد ورد في المقالات ١/١١٤ : « وزاد بعض من يخبر على المقالات في الحكاية عن هشام فزعم أنه كان يقول : .. » .

(٨) عنه : ساقطة من : المقالات .

- أيضاً - كما لا يقال : مخلوق ، لأن الصفات لا توصف .

وحكى زرقان^(١) عنه^(٢) أن القرآن على ضربين : إن كنت تريد المسموع ، فقد خلق الله الصوت المقطع وهو رسم القرآن ، وأما القرآن ففعل الله مثل العلم والحركة منه ، لا هو هو ، ولا هو غيره .

قال محمد بن شجاع الثلجي ومن وافقه من الواقفة^(٣) : إن القرآن كلام الله ، وإنه محدث ، كان بعد أن لم يكن ، وبالله كان ، وهو الذي أحدثه ، وامتنعوا من إطلاق القول : بأنه مخلوق أو غير مخلوق .

وقال زهير الأثري^(٤) : إن القرآن كلام^(٥) الله محدث غير مخلوق ، وإنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد .

وبلغني عن بعض المتفهمة^(٦) [أنه^(٧)] كان يقول : إن الله لم يزل

(١) هو : أبو يعلى محمد بن شداد بن عيسى المسمعي المعتزلي ، يعرف بزرقان ، له كتب منها « المقالات » ، وهو من أصحاب النظام . توفي سنة ٢٧٨ هـ .

راجع : طبقات المعتزلة - للقاضي عبد الجبار - ص ٢٧١ . ميزان الاعتدال - للذهبي - ٥٧٩/٣ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ١٤٨/٣ ، ١٤٩ .

(٢) أي : عن هشام بن الحكم .

وقد نص على ذلك أبو الحسن الأشعري في المقالات ١/١١٤ .

(٣) في الأصل : الموافقة وهو تصحيف ، والمثبت من : س ، ط ، والمقالات .

(٤) في الأصل ، س : الأبري ، وفي ط : الأيري .

وهو خطأ والمثبت من : المقالات ، ولم أقف على ترجمته .

قال د . محمد رشاد سالم - رحمه الله - محقق كتاب « درء تعارض العقل والنقل » ١٩/٢ ، ت : ٦ « وزهير الأبري : كذا في جميع النسخ ، ولم أعرف من هو زهير الأثري ، ولكن الأشعري يتكلم عن آرائه بالتفصيل في المقالات ... » كما في ١/٣٥١ .

(٥) في الأصل : كان . وهو تصحيف . والمثبت من : س ، ط ، والمقالات .

(٦) في ط : المتفهمين .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من : المقالات . يستقيم بها الكلام .

متكلماً بمعنى أنه لم يزل قادراً على الكلام ، ويقول : إن كلام الله محدث غير مخلوق .

قال^(١) : وهذا قول داود الأصبهاني .

وقال أبو معاذ التومني^(٢) : القرآن كلام الله ، [وهو]^(٣) حدث وليس بمحدث ، وفعل وليس بمفعول ، وامتنع أن يزعم أنه خلق ، و [يقول]^(٤) ليس بخلق ولا مخلوق ، وأنه قائم بالله ، ومحال أن يتكلم الله بكلام قائم بغيره ، كما يستحيل أن يتحرك بحركة قائمة بغيره . وكذلك يقول في إرادة الله ومحبته وبغضه : إن ذلك أجمع قائم بالله .

وكان يقول : [إن]^(٥) بعض القرآن أمر ، وهو الإرادة من الله للإيمان^(٦) ، لا^(٧) معنى أن الله أراد الإيمان هو أنه أمر به . وحكى زرقان عن معمر^(٨) أنه قال : إن الله تعالى خاتم الجواهر ،

(١) قال : إضافة من عند الشيخ للإيضاح ، والكلام متصل بما قبله في المقالات .

(٢) في س : أبو معاذ . وهو تصحيف .

هو : أبو معاذ التومني ، نسبة إلى تومن ، أحد أئمة المرجئة ، وإليه تنسب الفرقة التومنية - المعاذية ، منها التي تزعم أن الإيمان ما عصم من الكفر ، وهو اسم لخصال إذا تركها التارك أو ترك خصلة منها كان كافراً . .

كما زعم أبو معاذ أن الموصوف بالفسق من أصحاب الكبائر ليس بعدو الله ولا ولي له ، إلى غير ذلك من أقواله الشاذة التي ذكرها عنه أصحاب المقالات .

راجع في شأنه ومذهبه : مقالات الإسلاميين - للأشعري - ٢٢١/١ ، ٣٥١ .

الفرق بين الفرق - للبغدادي - ص ٢٠٣ - ٢٠٤ . الأنساب - للسمعاني ١١١/٣ .

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من : المقالات .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمقالات .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمقالات .

(٦) في س ، ط : الإيمان .

(٧) في س : لا . وهو تصحيف .

(٨) هو : أبو عمرو معمر بن عباد السلمي ، معتزلي من الغلاة من أهل البصرة ثم =

والأعراض التي هي فيه [هي] ^(١) فعل الجواهر ، وإنما ^(٢) هي فعل الطبيعة فالقرآن فعل الجواهر الذي هو فيه بطبعه ، فهو لا خالق ولا مخلوق ، وهو محدث للشيء ^(٣) الذي هو حال فيه بطبعه .

وحكى عن ثمامة بن أشرس النميري ^(٤) أنه قال : يجوز أن يكون من الطبيعة ^(٥) ، ويجوز أن يكون الله - تعالى - يبتدئه ^(٦) ، فإن كان الله ابتدأه فهو مخلوق ، وإن كان فعل الطبيعة فهو لا خالق ولا مخلوق .

قال ^(٧) : وهذا قول عبد الله بن كلاب .

= سكن بغداد ، من أعظم القدرية غلواً فضائحه كثيرة ذكرها أصحاب المقالات ، إليه تنسب الفرقة المعمرية من المعتزلة . توفي سنة ٢١٥ هـ .

راجع : الفرق بين الفرق - للبغدادي - ص ١٥١ - ١٥٥ . طبقات المعتزلة

- للقااضي عبد الجبار - ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ . ولسان الميزان - لابن حجر ٦/٧١ .

والأعلام - للزركلي - ٨/١٩٠ .

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمقالات .

(٢) في ط : إنما .

(٣) في س : للنش . وهو تصحيف .

(٤) هو : أبو معين ثمامة بن أشرس النميري البصري ، من كبار المعتزلة ، ومن

رؤوس الضلالة ، وإليه تنسب الفرقة الثمامية ، انفرد عن أصحابه بمسائل ذكرها

أصحاب المقالات ، نقل الذهبي وابن حجر أن ابن حزم قال : كان ثمامة يقول :

إن العالم فعل الله بطباعه ، وإن المقلدين من أهل الكتاب وعباد الأصنام

لا يدخلون النار ، بل يصيرون تراباً . . . توفي سنة ٢١٣ هـ .

راجع في شأنه ومذهبه : الفرق بين الفرق - للبغدادي - ١٧٣ - ١٧٥ . الملل

والنحل للشهرستاني - ٧٠/١ ، ٧١ . ميزان الاعتدال - للذهبي - ٣٧١/١ ،

٣٧٢ . لسان الميزان - لابن حجر - ٨٣/٢ ، ٨٤ . طبقات المعتزلة - للقااضي

عبد الجبار - ص ٢٥٨ - ٢٦١ .

(٥) في جميع النسخ : الله ، والمثبت من : المقالات .

(٦) في ط : يبتدؤه .

(٧) كلمة (قال) إضافة من الشيخ - رحمه الله - ويعني بها أبو الحسن الأشعري ،

والكلام متصل بما قبله في : المقالات .

قال عبد الله بن كلاب : إن الله لم يزل متكلماً ، وإن كلام الله صفة له قائمة به ، وإنه قديم بكلامه ، وإن كلامه قائم به ، كما أن العلم قائم به ، والقدرة قائمة به ، وهو قديم بعلمه وقدرته ، وإن الكلام ليس بحرف^(١) ولا صوت ، ولا ينقسم ، ولا يتجزأ ، ولا يتبعض ، ولا يتغير وإنه معنى واحد بالله تعالى ، وإن الرسم هو الحروف المتغيرة وهو قراءة القرآن^(٢) ، وإنه خطأ أن يقال : كلام الله هو أو بعضه أو غيره وإن العبارات عن كلام الله تعالى تختلف وتتغير ، وكلام الله ليس بمختلف ولا متغير ، كما أن ذكرنا الله يختلف ويتغير ، والمذكور لا يختلف ولا يتغير ، وإنما سمي كلام الله عربياً ، لأن الرسم الذي هو العبارة^(٣) عنه وهو قراءته عربي ، فسمي عربياً لعله ، وكذلك يسمى عبرانياً لعله ، وهي أن الرسم الذي هو عبارة عنه عبراني ، وكذلك سمي أمراً لعله ، ونهياً^(٤) لعله ، [وخبراً لعله]^(٥) ولم يزل الله متكلماً قبل أن يسمى كلامه أمراً ، و^(٦) قبل وجود العلة التي بها سمي^(٧) كلامه أمراً ،

(١) في المقالات : بحروف .

(٢) في جميع النسخ : دون قراءة القارىء .

والمثبت من : المقالات . وهو ما يستقيم به الكلام .

ويوافق رأيه في أن القراءة غير المقروء ، والمقروء قائم بالله ، كما أن ذكر الله غير الله ، فالمذكور قديم لم يزل موجوداً ، وذكره محدث ، فكذا المقروء لم يزل الله متكلماً به ، والقراءة محدثة مخلوقة وهي كسب الإنسان .

راجع : مقالات الإسلاميين - للأشعري - ٢ / ٢٧٠ .

(٣) في جميع النسخ : والمداول .

والمثبت من : المقالات . والكلام يستقيم به .

(٤) في المقالات : وسمي نهياً .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمقالات .

(٦) الواو ساقطة من : ط .

(٧) في ط : يسمى . وفي المقالات : لها سمي .

وكذلك القول في تسمية كلامه نهياً وخبراً ، وأنكر أن يكون الباري [لم يزل]^(١) مخبراً ، ولم^(٢) يزل ناهياً ، وقال : إن الله لا يخلق شيئاً إلا قال له (كن) ويستحيل^(٣) أن يكون قوله (كن) مخلوقاً .

قال^(٤) : وزعم عبد الله بن كلاب أن ما يسمع الناس^(٥) يتلونه هو عبارة عن كلام الله ، وأن موسى سمع الله متكلماً بكلامه ، وأن معنى قوله : ﴿ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾^(٦) معناه حتى يفهم كلام الله .

قال^(٧) : ويحتمل على مذهبه أن يكون معناه : حتى يسمع التالين يتلونه .

قال^(٨) : وقال بعض من أنكر خلق القرآن : إن القرآن قد يكتب ويسمع^(٩) ، وإنه متغاير غير مخلوق ، وكذلك العلم غير القدرة ، والقدرة غير العلم ، وإن الله تعالى لا يجوز أن يكون غير صفاته ، وصفاته متغايرة ، وهو غير متغاير .

قال^(١٠) : وقد حكى عن صاحب هذه المقالة أنه قال : بعض القرآن مخلوق وبعضه غير مخلوق ، فما كان منه مخلوقاً فمثل صفات المخلوقين

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمقالات .

(٢) في س ، ط : أولم .

(٣) في جميع النسخ : كن فيكون فيستحيل . والمثبت من : المقالات .

(٤) قال : إضافة من الشيخ ، والكلام متصل بما قبله في : المقالات .

(٥) في المقالات : أن ما نسمع التالين .

(٦) سورة التوبة ، الآية ٦ .

(٧) قال : إضافة من الشيخ ، والكلام متصل بما قبله في : المقالات .

(٨) قال : إضافة من الشيخ ، يعني بها أبو الحسن الأشعري ، والكلام متصل بما قبله في : المقالات .

(٩) في المقالات : يسمع ويكتب .

(١٠) قال : إضافة من الشيخ ، والكلام متصل بما قبله في المقالات .

وغير ذلك من أسمائهم والإخبار عن أفعالهم^(١) .

قال^(٢) : وزعم هؤلاء أن الكلام غير محدث ، وأن الله تعالى لم يزل به متكلماً ، وأنه مع ذلك حروف وأصوات ، وأن هذه الحروف الكثيرة لم يزل الله بها متكلماً^(٣) .

وحكي عن ابن الماجشون أن نصف القرآن مخلوق ، ونصفه غير مخلوق .

وحكى بعض من يخبر عن المقالات أن قائلاً من أصحاب الحديث قال : ما كان علماً من علم الله في القرآن ، فلا نقول مخلوق ، ولا نقول غير الله [وما كان منه]^(٤) أمراً ونهياً فهو مخلوق .

وحكاه^(٥) هذا الحاكي عن سليمان بن جرير^(٦) .

قال^(٧) : وهو غلط^(٨) عندي .

-
- (١) في المقالات : أفاعيلهم .
 - (٢) قال : إضافة من الشيخ - رحمه الله - والكلام متصل بما قبله في : المقالات .
 - (٣) في س ، ط ، والمقالات : الله متكلماً بها .
 - (٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
 - وفي المقالات : وما كان فيه من أمر ونهي ...
 - (٥) في جميع النسخ : وحكى . والمثبت من : المقالات .
 - (٦) هو : سليمان بن جرير الزيدي ، إليه تنسب الفرقة السليمانية أو الجريرية من فرق الزيدية ، كفر عثمان وعائشة والزبير وطلحة - رضي الله عنهم - وكان يقول : إن الصحابة تركوا الأصلح بتركهم مبايعة علي - رضي الله عنه - لأنه كان أولاهم بها .. إلى غير ذلك من الضلالات التي ذكرها عنه أصحاب المقالات .
 - راجع في شأنه ومذهبه : الفرق بين الفرق - للبغدادي - ص ٣٢ ، ٣٣ . الملل والنحل - للشهرستاني - ١٥٩/١ - ١٦٠ . لسان الميزان - لابن حجر - ٧٩/٣ ، ٨٠ .
 - (٧) يعني : أبو الحسن الأشعري ، والكلام متصل بما قبله .
 - (٨) في الأصل : ثقة . وفي س ، ط : معه .
- والمثبت من : المقالات .

قال^(١) : وحكى محمد بن شجاع ، أن فرقة قالت : إن القرآن هو الخالق ، وإن فرقة قالت : هو بعضه ، وحكى زرقان أن القائل بهذا وكيع بن الجراح^(٢) ، وأن فرقة قالت : إن الله هو^(٣) بعض القرآن ، وذهب إلى أنه مسمى فيه ، فلما كان اسم الله في القرآن ، والاسم هو المسمى كان الله في القرآن ، وإن فرقة قالت : هو أزلي قائم بالله لم يسبقه .

قال الأشعري^(٤) : وكل القائلين إن^(٥) القرآن ليس بمخلوق - كنعو عبد الله بن كلاب - ومن قال : إنه محدث - كنعو زهير - ومن قال : إنه حدث - كنعو أبي معاذ التومني^(٦) - يقولون : إن القرآن ليس بجسم ولا عرض .

[قلت]^(٧) محمد بن شجاع وزرقان ونحوهما هم من الجهمية ، ونقلهم عن أهل السنة فيه تحريف في النقل ، وقد ذكر الأشعري في أول كتابه في المقالات^(٨) أنه وجد ذلك في نقل المقالات ، فإنه قال :

-
- (١) القائل : أبو الحسن الأشعري ، والكلام متصل بما قبله في : المقالات .
(٢) سوف يذكر الشيخ - رحمه الله - أن محمد بن شجاع وزرقان من الجهمية ونقلهم عن أهل السنة فيه تحريف ، وأن نسبة هذا القول إلى وكيع هو من باب النقل بتأويلهم الفاسد ، ثم يذكر الشيخ - رحمه الله - أن الذي جعل زرقان سمي وكيعاً وينسب إليه هذا القول أن وكيع بن الجراح كان من أعلم الأئمة بحد الجهمية ومن أعظمهم ذمّاً لهم وتنفيراً عنهم ، وقد أورد - رحمه الله - نصوصاً تدل على ذلك .
(٣) هو : ساقطة من : المقالات .
(٤) قال الأشعري : إضافة من الشيخ - رحمه الله تعالى - للإيضاح والبيان . والكلام متصل بما قبله في : المقالات .
(٥) في س ، ط : بأن .
(٦) في س ، ط : التوني . وهو خطأ .
وقد تقدم التعريف به ص ٣٤٧ .
(٧) في الأصل : بياض بمقدار أربع كلمات .
وما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .
(٨) مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣ .

(أما بعد ، فإنه لا بد لمن أراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات ، ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ، ويصنفون في النحل والديانات ، من بين مقصر^(١) فيما يحكيه ، وغالط فيما يذكره من قول مخالفه [وبين متعمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من خالفه]^(٢) ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين ، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفه ما يظن أن الحجة تلزمهم به .

قال^(٣) : وليس هذا سبيل الربانيين ، ولا سبيل الفطناء^(٤) المتميزين فحداني ما رأيت من ذلك ، على شرح ما التمسست شرحه من أمر المقالات واختصار ذلك .

[قلت]^(٥) : وهو نفسه وإن تحرى^(٦) فيما ينقله ضبطاً وصدقاً ، لكنه أكثر ما^(٧) ينقله من مذاهب الذين لم يقف على كتبهم ، وكلامهم هو من نقل هؤلاء المصنفين في المقالات كالزرقان وهو معتزلي - وابن الراوندي^(٨)

-
- (١) في الأصل : تقصير . والمثبت من : س ، ط ، والمقالات .
(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمقالات .
ولكن ورد فيه : « ومن بين . . . على من يخالفه » .
(٣) قال : إضافة من الشيخ - رحمه الله - والكلام متصل بما قبله في : المقالات .
(٤) في جميع النسخ : سبيل الديانين ولا سبيل ألقاظ . . . ، والمثبت من المقالات .
(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : ط ، وهو بياض في الأصل بمقدار أربع كلمات ، وفي س : بمقدار خمس كلمات مع بداية السطر .
(٦) في ط : تحدى . وهو تصحيف .
(٧) في الأصل : مما . والمثبت من : س ، ط .
(٨) هو : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق ، يعرف بابن الراوندي ، كان أولاً من متكلمي المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالإلحاد ، قيل : إنه لا يستقر على مذهب ولا يثبت على شيء ، صنف كتباً كثيرة يطعن فيها على الإسلام . توفي سنة ٢٤٥ هـ . =

وهو شيعي ، وكتب أبي [علي] ^(١) الجبائي ونحوهم ، فيقع في النقل ما فيه من جهة هؤلاء مثل هذا الموضوع ، فإن ما ذكره محمد بن شجاع ^(٢) عن فرقة أنها قالت : إن القرآن هو الخالق ، وفرقة قالت : هو بعضه ، وحكاية زرقان أن القائل بهذا هو وكيع بن الجراح ، هو من باب النقل بتأويلهم الفاسد ، وكذلك قوله : إن فرقة قالت : إن الله بعض القرآن ، وذهب إلى أن مسمى فيه ، فلما كان اسم الله في القرآن ، والاسم هو المسمى ، كان الله في القرآن ، وذلك أن الذي قاله وكيع وسائر الأئمة : إن القرآن من الله يعنون : أن القرآن صفة لله ^(٣) ، وأنه - تعالى - هو المتكلم به ، وأن الصفة هي مما تدخل في مسمى الموصوف .

كما روى الخلال ^(٤) : حدثني أبو بكر السالمي ، حدثني [ابن] ^(٥)

= راجع : المنتظم - لابن الجوزي - ٩٩/٦ - ١٠٥ .
ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٩٤/١ ، ٩٥ . ولسان الميزان - لابن حجر - ٣٢٣/١ ، ٣٢٤ .

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط .

هو : أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي البصري ، شيخ المعتزلة ، وأبو شيخها عبد السلام أبو هاشم الجبائي ، تلقى الاعتزال على أبي يعقوب الشحام وغيره من متكلمي زمانه ، إليه تنسب الفرقة الجبائية من فرق المعتزلة ، له ضلالات ذكرها أصحاب المقالات .

راجع في شأنه ومذهبه : الفرق بين الفرق - للبغدادي - ص ١٨٣ ، ١٨٤ . ووفيات الأعيان - لابن خلكان - ٢٦٧/٤ - ٢٦٩ . والعبر - للذهبي - ٤٤٥/١ . وطبقات المعتزلة - للقاضي عبد الجبار - ص ٢٧٣ - ٢٧٢ .

(٢) في الأصل : أبو شجاع . والمثبت من : س ، ط . وتقدم التعريف به ص ٣٤٤ .

(٣) في ط : الله .

(٤) المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رواية أبي بكر أحمد بن محمد الخلال مخطوط - لوحة : ١٦١ . يقول الخلال : أخبرني أبو بكر المروزي قال : حدثني أبو بكر السالمي قال : حدثني ابن أبي أويس قال : سمعت مالك بن أنس يقول : القرآن كلام من الله عز وجل وليس من الله شيء مخلوق .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، المسند .

أبي أويس^(١) سمعت مالك بن أنس^(٢) يقول : القرآن كلام الله من الله ، وليس شيء من الله مخلوق .

ورواه اللالكائي^(٣) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني محمد^(٤) بن يزيد الواسطي^(٥) ، سمعت أبا بكر أحمد بن محمد العمري^(٦) سمعت ابن أبي أويس يقول : سمعت خالي مالك بن أنس ،

(١) هو : أبو عبد الله إسماعيل بن أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن أويس الأصبحي المدني ، محدث المدينة ، روى عنه الشيخان وغيرهما ، قال : عنه الإمام أحمد : لا بأس به . ولد سنة ١٣٩ هـ ، وتوفي سنة ٢٢٦ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٨٠/١/١ ، ١٨١ ت ٦١٣ .
تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٤٠٩/١ ، ٤١٠ . تهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣١٠/١ - ٣١٢ .

(٢) في س : أنس بن مالك . وهو خطأ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٢٤٩ . وانظر : السنة - لعبد الله بن أحمد - ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) في س ، ط : عبد الله . وهو خطأ .

(٥) هو : أبو سعيد محمد بن يزيد الواسطي الكلاعي ، وثقه ابن معين وغيره وقال أبو حاتم : صالح الحديث . توفي سنة ١٩٠ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٢٦/١/٤ ت ٥٦٨ . وسير أعلام النبلاء - للذهبي - ٣٠٢/٩ ، ٣٠٣ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٥٢٧/٩ - ٥٢٨ .

(٦) في جميع النسخ : المعمرى .

والمثبت من : شرح أصول اعتقاد أهل السنة . والسنة لعبد الله بن أحمد ص ٢٥ . والشريعة - للأجري ص ١٧٩ .

يقول الذهبي في لسان الميزان ٤/٥٠٦ : « أبو بكر العمري لا يدري من ذا » .

ويقول الألباني في مختصر العلو للذهبي ص ١٤٣ ، ت : ١١٤ :

« أخرجه عبد الله في السنة ، ورجاله ثقات ، غير أبي بكر أحمد بن محمد العمري فلم أعرفه » .

وجماعة العلماء بالمدينة فذكروا^(١) القرآن فقالوا : كلام الله ، وهو منه ،
وليس^(٢) من الله شيء مخلوق .

وقال الخلال^(٣) : أخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم ،
سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول : أدركت الناس ما يتكلمون في
هذا ، ولا عرفنا هذا إلا بعد منذ سنين القرآن كلام الله منزل من عند الله ،
لا يؤول إلى خالقه ولا مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، هذا الذي [لم]^(٤)
نزل عليه ولا نعرف غيره .

قال الخلال^(٥) : أنبأنا^(٦) المروزي^(٧) أخبرني^(٨) أبو سعيد بن
أخي^(٩) حجاج الأنماطي ، أنه سمع عمه يقول^(١٠) : القرآن كلام الله ،
وليس من الله شيء مخلوق وهو منه^(١١) .

-
- (١) في جميع النسخ : ويذكرون . والمثبت من : شرح أصول اعتقاد أهل السنة .
(٢) في ط : منه ليس .
(٣) السنة « المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رواية أبي بكر أحمد بن
محمد الخلال » - مخطوط - لوحة : ١٦١ .
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمسند .
(٥) المصدر السابق . وانظره في السنة لعبد الله بن أحمد ص ٢٧ ، قال : حدثني
عباس ، حدثني أبو سعيد - صاحب لنا - حدثنا عطاء ابن أخي حجاج .
(٦) في المسند : أخبرنا أبو بكر .
(٧) في ط : المروزي .
(٨) في المسند : قال : حدثني .
(٩) في الأصل : بن أبي حجاج ، والمثبت من : س ، ط ، والمسند ، والسنة .
وحجاج هو : أبو محمد حجاج بن المنهال الأنماطي السلمي البصري ، ثقة ،
وكان صاحب سنة ، توفي سنة ٢١٧ هـ . ولم أقف على ترجمة أبو سعيد .
راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٤٠٣/٢ ، ٤٠٤ . وتهذيب التهذيب - لابن
حجر - ٢٠٦/٢ ، ٢٠٧ .
(١٠) في المسند « الأنماطي قال : سألت عمي حجاج عن القرآن فقال : ...
(١١) قوله : وهو منه : ساقطة من : المسند .

وروى اللالكائي^(١) من حديث أحمد بن الحسن الصوفي^(٢) :
حدثنا عبد الصمد - مردوية - قال : اجتمعنا إلى إسماعيل بن عليّة بعدما
رجع من كلامه^(٣) ، فكنت أنا وعليّ فتى هشيم ، وأبو الوليد خلف
الجوهري ، وأبو كنانة الأعور ، وأبو محمد مسرور مولى المعلى صاحب
هشيم ، فقال له عليّ فتى هشيم : نحب أن نسمع منك ما تؤديه إلى الناس
في أمر القرآن ، فقال : القرآن كلام الله ، وليس من الله شيء مخلوق ،
ومن قال : إن شيئاً من الله مخلوق^(٤) فقد كفر ، وأنا أستغفر الله مما كان
مني في المجلس .

وروى^(٥) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل (قال : أخبرت عن

-
- (١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٢٥٨ .
(٢) في الأصل : الصوفي . وهو خطأ . والمثبت من : س ، ط ، وشرح أصول
اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ولكن ورد في الشرح : « أحمد بن الحسين
الصوفي » .
هو : أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، مشهور وثقه
الدارقطني ، سمع يحيى بن معين وأبا الربيع الزهراني وغيرهما . توفي سنة
٣٠٦ هـ .
راجع : تاريخ بغداد - للبغدادى - ٤/٨٢ - ٨٦ . ولسان الميزان - لابن حجر
- ١٥١/١ - ١٥٣ .
(٣) بدت من ابن عليّة هفوات تتعلق بالكلام في القرآن ، لكنه رجع وتاب فلم تغير
رتبته ، فهو كما قال يحيى بن معين : ثقة تقياً ورعاً . روى القاضي أبو
الحسين بن أبي يعلى من طريق أحمد بن الحسن بن عبد الجبار قال : حدثنا عبد
الصمد بن يزيد مردوية قال : سمعت إسماعيل بن عليّة يقول : القرآن كلام الله
غير مخلوق .
راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى ١/١٠٢ . والمنهج الأحمدى
للعلمي ١/١١٠ - ١١٢ . وتقدم التعريف بابن عليّة .
(٤) في الأصل : إن أشياء من الله مخلوقة . والمثبت من : س ، ط ، وشرح أصول
اعتقاد أهل السنة .
(٥) روى أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٢٦٠ ، ٢٦١ .

محرز بن عون قال : قال محمد بن يزيد الواسطي : علمه^(١) وكلامه منه وهو غير مخلوق .

وقال عبد الله^(٢) أنبأنا^(٣) إسحاق بن بهلول^(٤) ، سمعت ابن أبي أويس يقول : القرآن كلام الله ومن الله ، وما كان من الله فليس بمخلوق .

وقال الخلال في كتاب السنة^(٥) : (أخبرني محمد بن سليمان قال : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل : ما تقول^(٦) في القرآن ؟ [قال]^(٧) : عن أي^(٨) قالة تسأل ؟ قلت : كلام الله ، قال : كلام الله وليس بمخلوق ولا تجزع أن تقول ليس بمخلوق ، فإن كلام الله من الله ، ومن ذات الله وتكلم الله به ، وليس من الله شيء مخلوق) .

-
- = وانظره في السنة لعبد الله بن أحمد ص ٢٦ .
- (١) في الأصل : عمله . والمثبت من : س ، ط ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .
- (٢) ابن أحمد بن حنبل . وقوله في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٦٢/٢ .
- والسنة لعبد الله بن أحمد ص ٢٦ .
- (٣) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة . . : « حدثنا » .
- (٤) في جميع النسخ : البهلول . والمثبت من شرح أصول أهل السنة ومصادر الترجمة .
- هو : إسحاق بن بهلول بن حسان الأنباري ، قال عنه أبو حاتم : صدوق . توفي ٢٥٢ هـ .
- راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٢١٤/١/١ ، ٢١٥ . وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٦٦/٦ - ٣٦٩ .
- (٥) المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل - رواية أبي بكر أحمد بن محمد الخلال - مخطوط - لوحة : ١٥٩ ، ١٦٠ . وهو كتاب السنة ، وتقدم الكلام عليه .
- (٦) في الأصل : تقولون . والمثبت من : س ، ط ، والمسند .
- (٧) ما بين المعقوفتين زيادة من هامش : س .
- (٨) في الأصل : أبي . وهو تصحيف . والمثبت من : س ، ط ، والمسند .

وروي عن جماعة^(١) عن أحمد بن الحسن الترمذي^(٢) قال : سألت أحمد فقلت : يا أبا عبد الله قد وقع في أمر القرآن ما قد وقع^(٣) فإن سألت عنه ماذا أقول ؟ فقال لي : أأنت مخلوقا^(٤) ؟ قلت : نعم ، فقال : أليس كل شيء منك مخلوقا^(٥) ؟ قلت : نعم ، قال : [فكلامك أليس هو منك وهو مخلوق ، قلت : نعم ، قال]^(٦) فكلام الله أليس هو منه ؟ قلت : نعم ، قال : فيكون شيء من الله عز وجل مخلوقا^(٧) ؟ ! .

قال الخلال^(٨) : (وأخبرني عبد الله بن حنبل ، حدثني حنبل^(٩) سمعت أبا عبد الله يقول : قال الله في كتابه ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾^(١٠) ، فجبرائيل سمعه من الله تعالى ، وسمعه النبي من جبرائيل صلى الله عليهما^(١١) وسلم ، وسمعه^(١٢))

-
- (١) قال الخلال : أخبرني محمد بن يحيى ومحمد بن المنذر وأحمد بن يحيى ، قالوا : أنبأنا أحمد بن الحسن الترمذي ، قال : سألت أحمد ...
المسند من مسائل الإمام أحمد - رواية الخلال مخطوط - لوحة : ١٦٠ .
- (٢) هو : أبو الحسن أحمد بن الحسن بن حنيدب الترمذي الحافظ الثقة ، قال عنه ابن خزيمة : كان أحد أوعية الحديث . توفي سنة ٢٥٠ هـ .
- راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٥٣٦/٢ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٢٤/١ .
- (٣) في الأصل : ما وقع . والمثبت من : س ، ط ، والمسند .
- (٤) في المسند : أأنت مخلوق .
- (٥) في المسند : مخلوق .
- (٦) ما بين المعقوفتين زيادة من : المسند .
- (٧) في المسند : ... من الله شيء مخلوق .
- (٨) المسند لأبي بكر الخلال - مخطوط - لوحة : ١٦١ .
- (٩) في المسند : حدثني أبي حنبل قال ...
- (١٠) سورة التوبة ، الآية : ٦ .
- (١١) في س ، ط : عليه . وفي المسند : عليهما السلام .
- (١٢) في س : وسمع .

أصحاب النبي من النبي ﷺ فالقرآن كلام الله غير مخلوق ، ولا نشك ولا نرتاب فيه^(١) ، وأسماء الله تعالى في القرآن وصفاته في القرآن . القرآن^(٢) من علم الله وصفاته منه ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود ، فقد^(٣) كنا نهاب الكلام في هذا حتى أحدث هؤلاء ما أحدثوا ، وقالوا [ما قالوا]^(٤) ودعوا الناس إلى ما دعوهم إليه ، فبان لنا أمرهم ، وهو الكفر بالله العظيم) .

ثم قال أبو عبد الله : لم يزل الله عالماً متكلماً ، نعبد الله بصفات^(٥) غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف بها نفسه ، سميع عليم غفور رحيم عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ، فهذه صفات الله - تبارك وتعالى - وصف بها نفسه لا تدفع^(٦) ولا ترد ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾^(٧) ، كيف شاء ، المشيئة إليه ، والاستطاعة له ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٨) لا يبلغ وصفه الواصفون^(٩) ، وهو كما وصف نفسه ، نؤمن بالقرآن محكمه ومتشابهه ، كل من عند ربنا ، قال الله - تعالى - ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ

(١) في المسند : ولا يشك ولا يرتاب فيه .

(٢) في ط : إن القرآن ...

القرآن : ساقطة من : المسند .

(٣) في س ، ط : وقد .

(٤) ما بين المعقوفتين : زيادة من : س ، ط ، والمسند .

(٥) في المسند : بصفاته .

(٦) في المسند : ولا تدفع .

(٧) سورة الأعراف . الآية ٥٤ .

(٨) سورة الشورى . الآية ١١ .

(٩) في الأصل : « لا يبلغه صفة الواصفون » . وفي س ، ط : « لا يبلغه صفة

الواصفين » . والمثبت من : المسند . مع عدم وضوح كلمة « وصفه » .

عَنْهُمْ حَتَّى يَخْتَصِمُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ^(١) نترك الجدل في القرآن والمرء فيه ^(٢) ،
لا نجادل ولا نماري ، ونؤمن به كله ، ونرده إلى عالمه - تبارك وتعالى -
فهو أعلم به ، منه بدأ ، وإليه يعود .

قال أبو عبد الله : وقال لي عبد الرحمن بن إسحاق : كان الله
ولا قرآن ، فقلت مجيباً له : كان الله ، ولا علم ، فالعلم من الله وله ،
وعلم الله منه ، والعلم غير مخلوق ، فمن قال : إنه مخلوق ، فقد كفر بالله
وزعم أن الله مخلوق ، فهذا الكفر الصريح البين ^(٣) .

قال ^(٤) : (وسمعت عبد الله بن أحمد قال : ذكر أبو بكر الأعمش
قال : سئل أحمد بن حنبل عن تفسير قوله : القرآن كلام الله منه خرج
وإليه يعود . فقال أحمد : منه خرج : هو المتكلم [به] ^(٥) وإليه يعود) .

قال الخلال ^(٦) : (أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني ، حدثنا ^(٧)
أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم ، يعني ابن راهوية ، عن سفيان بن عيينة
عن عمرو بن دينار قال : أدركت الناس منذ سبعين سنة ، أدركت
أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم يقولون : الله خالق وما سواه مخلوق ، إلا
القرآن ، فإنه كلام الله ، منه خرج ، وإليه يعود .

قال الخلال ^(٨) : حدثني عبد الله بن أحمد ، حدثني محمد بن

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٦٨ .

(٢) في ط : والمراد فيه . وهو تصحيف .

(٣) في س ، ط : الكفر البين الصراح . وفي المسند : الكفر الصراح .

(٤) يعني الخلال ، وهي إضافة من الشيخ ، والكلام متصل بما قبله في المسند .

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط ، والمسند .

(٦) المسند - لأبي بكر الخلال - مخطوط - لوحة : ١٦١ .

(٧) في المسند : قال .

(٨) المصدر السابق - نفس اللوحة .

إسحاق الصاغاني^(١) ، حدثني أبو حاتم الطويل قال : قال وكيع : من قال : إن كلام الله ليس منه فقد كفر ، ومن قال : إن شيئاً منه مخلوق^(٢) فقد كفر .

وروى أبو القاسم اللالكائي^(٣) قال : (ذكر أحمد بن فرح^(٤) الضرير ، (قال) حدثنا^(٥) علي بن الحسن^(٦) الهاشمي [قال]^(٧)

(١) في الأصل : الصنعاني . وفي س ، ط : الصافاني . وهو خطأ . والمثبت من : المسند .

هو : أبو بكر محمد بن إسحاق بن جعفر الصاغاني ، أحد الأئمة الأثبات المتقنين رحل في طلب العلم إلى بلدان شتى ، قال عنه الدارقطني : ثقة وفوق الثقة . توفي سنة ٢٩٠ هـ .

راجع : طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى - ٢٦٩/١ ، ٢٧٠ . والمنهج الأحمد - للعلمي - ٢٣٦/١ .

(٢) في المسند : إن منه شيء مخلوق .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي - ٢١٩/٢ .

(٤) في الأصل ، س : فرج . وهو خطأ .

هو : أبو جعفر أحمد بن فرح بن جبريل الضرير المقرئ ، قال عنه الخطيب البغدادي : كان ثقة مأموناً ، عالماً بالعربية واللغة ، عالماً بالقرآن . توفي سنة ٣٠٣ هـ .

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٤٥/٤ ، ٣٤٦ .

(٥) في جميع النسخ : « .. الضرير وحدثني .. » والمثبت من شرح اعتقاد أهل السنة .

(٦) في جميع النسخ : الحسين . والمثبت من : شرح أصول اعتقاد أهل السنة .

هو : أبو الحسن علي بن الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله الهاشمي ، حدث عن محمد بن يحيى المروذي وجعفر الفرياني وغيرهما ، وروى عنه أبو نعيم الأصبهاني وغيره ..

راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ٣٨٣/١١ ، ٣٨٤ .

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .

حدثنا^(١) عمي قال : سمعت وكيع بن الجراح يقول : من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق ، فقلت : يا أبا سفيان من أين قلت هذا ؟ قال : لأن^(٢) الله يقول : ﴿ وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾^(٣) ولا يكون شيء من الله مخلوقاً^(٤) .

قال اللالكائي^(٥) : (وكذلك فسره أحمد بن حنبل ، ونعيم بن حماد والحسن بن الصباح البزار ، وعبد العزيز بن يحيى الكناني)^(٦) .

فهذا لفظ وكيع بن الجراح - الذي سماه زرقان -^(٧) وهو لفظ سائر الأئمة الذين^(٨) حرف محمد بن شجاع قولهم ، فإن قولهم : كلام الله من الله : يريدون به شيئين :

أحدهما : أنه صفة من صفاته ، والصفة مما تدخل^(٩) في مسمى اسمه وهذا كما قال الإمام أحمد^(١٠) : فالعلم من الله وله ، وعلم الله

(١) في الأصل : حدثني . والمثبت من : س ، ط ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .

(٢) في س : لا أن .

(٣) سورة السجدة ، الآية : ١٣ .

(٤) في الأصل ، س : مخلوق .

وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة : .. يكون من الله شيء مخلوق . والمثبت من : ط .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي - ٢٢٠ / ٢ .

(٦) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : .. يحيى الكناني . وقد تقدم .

(٧) أي : ذكر اسمه عندما نسب إليه قول الفرقة التي تقول : إن القرآن هو بعض الخالق ، وقد نقل شيخ الإسلام - رحمه الله - رأي وكيع لبيان أن هؤلاء الجهمية يحرفون النقل عن أهل السنة بما يوافق أهوائهم .

(٨) في س : الذي .

(٩) في الأصل : س : يدخل . والمثبت من : ط .

(١٠) عندما قال له عبد الرحمن بن إسحاق : كان الله ولا قرآن ، فأجابه الإمام أحمد : كان الله ولا علم فالعلم من الله ..

منه ، وكقوله : صفاته منه ، وقوله وقول غيره من الأئمة : ما وصف الله من نفسه وسمى من نفسه ، ولا ريب أن هذا يقال في سائر الصفات كالقدرة والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، فإن هذه الصفات كلها من الله ، أي : مما تدخل في مسمى اسمه .

والثاني : يريدون بقولهم : كلام الله منه : أي خرج منه وتكلم به كقوله تعالى : ﴿ كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (١) وذلك كقوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ (٢) وقوله : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (٣) .

وهذا اللفظ والمعنى مما (٤) استفاضت به الآثار ، كما قد تقدم روايته (٥) عن ابن عباس (٦) أنه كان في جنازة ، فلما وضع الميت في لحده

(١) سورة الكهف ، الآية : ٥ .

(٢) سورة السجدة ، الآية : ١٣ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ١ .

(٤) في س : فما .

(٥) في ط : رواية .

(٦) أورده البيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٤٢ ، قال : « أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنبأنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن العباس ثنا إسحاق بن حاتم العلاف ثنا علي بن عاصم عن عمران بن حدير عن عكرمة قال : حمل ابن عباس رضي الله عنهما جنازة ، فلما وضع الميت في قبره قال له رجل : اللهم رب القرآن اغفر له ، فقال له ابن عباس رضي الله عنه : مه لا تقل مثل هذا ، منه بدأ وإليه يعود » .

تابعه أحمد بن منصور الرمادي عن علي بن عاصم وقال في منته : صلى ابن عباس رضي الله عنهما على جنازة فقال رجل من القوم : اللهم رب القرآن العظيم اغفر له ، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : ثكلتك أمك إن القرآن منه . وقد أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٢٦/٥ . وقد تقدم الكلام على هذا الأثر ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

وسوف يذكر الشيخ - رحمه الله - في الصفحة الآتية أن الطبراني رواه في كتاب =

قام رجل وقال : اللهم رب القرآن اغفر له ، فوثب إليه ابن عباس فقال :
مه القرآن منه ، وفي الرواية الأخرى ، فقال ابن عباس : القرآن كلام
الله ، وليس بمربوب منه خرج وإليه يعود .

وقد رواه الطبراني في كتاب السنة^(١) - أيضاً - ثنا أحمد بن
القاسم بن مساور الجوهري ، ثنا عاصم بن علي ، حدثنا أبي ، عن
عمران بن حدير عن عكرمة ، قال : كان ابن عباس في جنازة ، فلما
وضع الميت في لحده قام رجل فقال : اللهم ربّ القرآن أوسع عليه
مدخله ، اللهم ربّ القرآن اغفر له ، فالتفت إليه ابن عباس فقال : مه
القرآن كلام الله وليس بمربوب منه خرج وإليه يعود .

وقال الخلال^(٢) : حدثني المروزي في الكتاب^(٣) الذي عرضه علي

= السنة .

(١) ذكر هذا الكتاب البغدادي في هدية العارفين ١/٣٩٦ . والذهبي في سير أعلام
النبلاء ١٦/١٢٨ ، وقال : إنه في مجلد . والصفدي في الوافي للوفيات
٣٤٦/١٥ .

ولم يذكره عمر كحالة في معجم المؤلفين ٤/٢٥٣ .

ولاسزكين في تاريخ التراث العربي ١/١ علوم القرآن والحديث ٣٩٣ -
٣٩٦ . عند إيرادهما لآثار الطبراني ، ولم أقف على من أشار إلى وجوده ، ولذا
فإن محقق المعجم الكبير حمدي عبد المجيد السلفي ، أورد ترجمة للحافظ في
آخر المجلد الخامس والعشرين وضمنها أسماء مصنفاته ودرج على التعليق على
الكتاب إذا كان موجوداً ومكان وجوده وهل هو مطبوع أم لا ؟ وعند ذكره لكتاب
السنة لم يذكر عنه شيئاً . ولذا أكتفي بما ذكرته عن هذا الأثر في التعليق
السابق .

(٢) المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رواية أبي بكر أحمد بن محمد
الخلال - مخطوط - اللوحة : ١٧٤ ، وبداية الكتاب ورقة رقم ١٧٢ .

(٣) هذا الكتاب كتبه أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي بأمر من الإمام أبي
عبد الله أحمد بن حنبل ، وكتابته غير واضحة في صورة المخطوط التي رجعت
إليها ، إذ أصل المخطوط في المتحف البريطاني غير واضحة لكن الذي فهمته أن =

أحمد بن حنبل قال^(١) : قد أخبرني شيخ أنه سمع ابن عيينة يقول : القرآن خرج من الله .

قال^(٢) : وحدثنا أبو عبد الله ، يعني : أحمد بن حنبل^(٣) ، حدثنا ابن مهدي عن معاوية بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن زيد بن أرقط ، عن جبير بن نفير ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه » يعني القرآن^(٤) .

قال^(٥) : وحدثنا عباس الوراق وغيره عن أبي النضر هاشم بن القاسم ثنا^(٦) بكر بن خنيس^(٧) عن ليث بن أبي سليم ، عن زيد بن

= الكتاب أرسل إلى محمد بن هارون لشكه في القرآن ، وأنه لا يقول : إنه غير مخلوق ، حثه فيه على التمسك بكتاب الله والعمل بطاعته والعدول عن قوله موضحاً له الرأي الصحيح ذاكراً له بعض الآيات والأحاديث التي يجب الأخذ بها في هذه المسألة ، وأمر - رحمه الله - أن يكتب الكتاب من نسختين فهو لا يأمن غدرهم ، وقد ذكر أبو بكر المروزي أن الإمام أحمد زاد في الكتاب ونقص بعد ما عرضه عليه ثم أمره بالتوجه به إليه .

وقد ذكر الخلال هذا الكتاب في الجزء السادس من المسند - المصدر السابق تحت عنوان : جامع الرد على من قال : القرآن مخلوق .

(١) في الأصل : قال أخبرني . والمثبت من : س ، ط ، والمسند .
(٢) قال : إضافة من الشيخ - رحمه الله - ويعني أبو بكر المروزي ، والكلام متصل بما قبله في المسند .

(٣) قوله : يعني أحمد بن حنبل وهو إيضاح من الشيخ . ولا يوجد في المسند .

(٤) سنن الترمذي ١٧٧/٥ - كتاب فضائل القرآن - الباب ١٧ الحديث ٢٩١٢ .

وقد أورده بلفظ : « إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه » يعني القرآن . وذكره الهندي صاحب كتر العمال ١/٥١٤ رقم ٢٢٨٧ بلفظ : « إنكم لا ترجعون الله بشيء أفضل مما خرج منه » يعني القرآن .

وسوف يذكره الشيخ باللفظ الذي رواه الترمذي به ، والحكم عليه ص ٣٦٨ .

(٥) يعني : أبو بكر المروزي .

(٦) في المسند : ... قال ثنا ...

(٧) في الأصل : حيش . وفي ط : حنيس . وهو خطأ . والمثبت من : س ، =

أرطأة ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ... ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه »^(١) يعني القرآن^(٢) ، الحديث .

قلت : والأول المرسل^(٣) أثبت من هذا ، وقد رواهما [الترمذي]^(٤) فقال : حدثنا أحمد بن منيع ، ثنا أبو النضر ، ثنا بكر بن خنيس^(٥) ، عن ليث بن أبي سليم ، عن زيد بن أرطأة ، عن أبي أمامة

= والمسند .

هو : بكر بن خنيس الكوفي العابد ، نزل بغداد ، روى عن ليث بن أبي سليم وثابت البناني وغيرهما ، وعنه أبو النصر ووكيع وإبراهيم بن طهمان وغيرهم قال عنه النسائي وغيره : ضعيف ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال أبو حاتم : صالح ليس بقوي ، وقال ابن أبي شيبة : ضعيف الحديث موصوف بالرواية والزهد .

راجع : ميزان الاعتدال - للذهبي - ٣٤٤/١ - وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٤٨٢ ، ٤٨١/١ -

(١) جزء من حديث رواه الترمذي بالسند الذي ذكره الشيخ وأوله : « ما أذن الله لعبد في شيء .. » .

راجع : سنن الترمذي ١٧٦/٥ - كتاب فضائل القرآن باب ١٧ الحديث . ٢٩١١ .

وذكره الهندي صاحب كنز العمال بلفظ : « ما تقرب العباد إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه » ٥٢٩/١ .

وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨٨/٧ . وسوف يذكره الشيخ - رحمه الله تعالى - بتمامه ، والحكم عليه وما قاله الترمذي فيه بعد أسطر قليلة .

(٢) في سنن الترمذي : « قال أبو النضر : يعني القرآن » .

(٣) قال ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث ص ٤٧ : « صورته التي لا خلاف فيها حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم ، كعبيد الله بن عدي بن الخيار ، ثم سعيد بن المسيب ، وأمثالهما ، إذا قال : قال رسول الله ﷺ . . . والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين في ذلك - رضي الله عنهم .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من : س ، ط . وقد تقدم تخريجهما ص ٣٦٦ .

(٥) في الأصل : حنيس . وفي ط : حنيس . والمثبت من : س . وقد تقدم التعريف =

قال : قال رسول الله ^(١) ﷺ : « ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما ، وإن البر ليذر على رأس العبد ما دام في صلاته ، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه » . قال أبو النضر يعني القرآن .

قال الترمذي ^(٢) : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وبكر بن خنيس ^(٣) ، قد تكلم فيه ابن المبارك ، وتركه في آخر أمره .

وقد روى هذا الحديث عن زيد بن أرقط عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسلًا ^(٤) ، حدثنا بذلك إسحاق بن منصور ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن العلاء بن الحارث ، عن زيد بن أرقط ، عن جبير بن نفير ، قال : قال النبي ﷺ : « إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه » يعني القرآن ^(٥) .

وروى أبو القاسم اللالكائي ^(٦) حديث عمرو بن دينار المتقدم ، وذكره من طريق محمد بن جرير الطبري ، ثنا ^(٧) محمد بن أبي منصور الأملئي ^(٨) ،

= به قريباً من ص (٣٦٧) .

- (١) في س ، ط : النبي .
- (٢) سنن الترمذي ١٧٦/٥ - كتاب فضائل القرآن باب ١٧ الحديث ٢٩١١ .
- (٣) في الأصل : حنيس . وفي ط : حنيس ، والمثبت من : س . وتقدم التعريف به .
- (٤) في سنن الترمذي : مرسل .
- (٥) بعد كلمة (القرآن) بياض في : الأصل ، س . بمقدار سطرين ، وفي : ط : بمقدار خمس كلمات في نهاية السطر .
- ولعله نهاية النقل عن الترمذي وبداية الرواية عن اللالكائي .
- (٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي - ٢/٢٣٤ ، ٢٣٥ .
- (٧) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : « قال ثنا » .
- (٨) في الأصل : محمد بن منصور الأملئي .
- والمثبت من : س ، ط ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، مع اختلاف بينهما في النسبة حيث وردت في : س ، ط : الأملئي . وفي شرح =

ثنا^(١) الحكم بن محمد أبو^(٢) مروان الأبلبي^(٣) ثنا^(٤) ابن^(٥) عيينة ، سمعت^(٦) عمرو بن دينار يقول : أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله ، منه بدأ وإليه يعود .

قال اللالكائي^(٧) : وروى عبد العزيز بن منيب المروزي^(٨) ، عن ابن عيينة بهذا اللفظ .

قال^(٩) : ورواه عبد الرحمن بن أبي حاتم عن محمد بن عمار بن

-
- = أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : الأملبي . ولم أقف على ترجمة له .
- (١) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : قال حدثنا . . .
- (٢) في الأصل ، س : ابن . والمثبت من : ط ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة . ولعله الصواب . وتقدم التعريف به ص ١٥٨ .
- (٣) في ط : الأيلبي .
- وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : الأملبي . ولم أجد هذه النسبة في ترجمته .
- (٤) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : قال حدثنا .
- (٥) في ط : ابن أبي . وهو تصحيف .
- (٦) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : قال سمعت .
- (٧) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، والكلام متصل بما قبله .
- (٨) في ط : المروزي .
- وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ابن عبد العزيز بن منيب . . . هو : أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب المروزي ، مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشي ، قال عنه أبو حاتم الرازي : صدوق . وقال الدارقطني : ليس به بأس . توفي سنة ٢٧٧ هـ .
- راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٣٩٧/٢/٢ ، ٣٩٨ . وتاريخ بغداد - للبغدادي - ٤٥٠/١٠ ، ٤٥١ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ٣٦٠/٦ .
- (٩) يعني : اللالكائي . والكلام متصل بما قبله في : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة . وانظره في خلق أفعال العباد - للبخاري - ص ٢٩ .

الحارث^(١) ثنا^(٢) أبو مروان الطبري بمكة ، وكان فاضلاً ، ثنا^(٣) سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، سمعت^(٤) مشيختنا^(٥) منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق .

قال محمد بن عمار : ومن مشيخته^(٦) أصحاب رسول الله ﷺ ابن عباس ، وجابر ، وذكر جماعة .

قال^(٧) : ورواه محمد بن مقاتل المرزوي^(٨) ، سمعت^(٩) أبا وهب - وكان من ساكني مكة ، وكان رجل صدق - عن ابن عيينة : بهذا اللفظ .

(١) في جميع النسخ : حديث . وهو خطأ . والمثبت من : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .

هو : أبو جعفر محمد بن عمار بن الحارث الرازي ، قال عنه ابن أبي حاتم : كتبت عنه ، وهو صدوق ثقة .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ٤٣/١/٤ .

(٢) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : قال حدثنا .

(٣) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : قال حدثنا .

(٤) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : قال سمعت .

(٥) في ط : شيختنا .

(٦) في س : وابن مشيخته .

وفي ط : وإن شيخته . وهو تصحيف . وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : « ومن مشيخته ؟ إلا أصحاب .. »

(٧) يعني : اللالكائي .

والكلام متصل بما قبله في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .

(٨) في ط : المرزوي .

هو : أبو الحسن محمد بن مقاتل المرزوي ، قال عنه أبو حاتم : صدوق ، روى عنه البخاري ، وإبراهيم الحربي ، وأبو زرعة ، وغيرهم . توفي سنة ٢٢٦ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم - ١٠٥/١/٤ . الوافي بالوفيات

- للصفدي - ٥٢/٥ .

(٩) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : قال : سمعت .

وكذلك رواه يزيد بن وهب^(١) ، عن سفيان ومحمد بن عبد الله بن
ميسرة^(٢) ، عن سفيان ، بهذا اللفظ .

قلت : وكذلك رواه البخاري^(٣) عن الحكم بهذا اللفظ ، لكنه
اقتصر به على سفيان فقال :

(حدثني الحكم بن محمد الطبري - كتبت عنه بمكة - ثنا^(٤) سفيان
ابن عيينة قال : أدركت مشيختنا^(٥) منذ سبعين سنة ، منهم عمرو بن دينار
يقولون : القرآن كلام الله ، وليس بمخلوق) .

ولم يروه اللالكائي هكذا عن غير البخاري .
وإسحاق بن راهوية ، قد أثبت اللفظين^(٦) جميعاً عن ابن عيينة ،
عن عمرو ، مكتمل الإسناد والمتن ، وإنما سمي - والله أعلم - زرقان
وكيعاً ، لأنه كان من أعلم الأئمة بكفر الجهمية وباطن قولهم ، وكان من
أعظمهم ذمّاً لهم وتفيراً عنهم^(٧) ، فبلغ الجهمية من ذمه لهم ما لم يبلغهم
من ذم غيره ، إذ هم من أجهل الناس بالآثار النبوية وكلام السلف
والأئمة ، كما يشهد بذلك كتبهم ، ومحمد بن شجاع هو^(٨) مجروح متهم

(١) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : موهب .

(٢) في س ، ط : مسرة .

(٣) في خلق أفعال العباد ص ٢٩ .

(٤) في ط : شيختنا . وفي خلق أفعال العباد : مشائخنا .

(٥) في خلق أفعال العباد : قال حدثنا .

(٦) اللفظتان هما : « القرآن كلام الله ، منه بدأ وإليه يعود » و« القرآن كلام الله غير
مخلوق » وقد روينا عن عمرو بن دينار - كما تقدم .

(٧) أورد البخاري - رحمه الله - في كتابه « خلق أفعال العباد ص ٣٩ » ما يدل على أن
وكيعاً كان من أعلم الأئمة بكفر الجهمية ، حيث فصل للسائل عن حكم الصلاة
خلفهم ومناكحتهم - ما أجمله الأئمة قبله - ممن توجه السائل بالسؤال إليهم .

وسوف يذكره الشيخ - رحمه الله - نقلاً عن البخاري ص ٣٧٤ .

(٨) في ط : هذا .

في روايته ، وترجمته في كتب الجرح والتعديل ترجمة معروفة ، وتجريح
حكام الجرح والتعديل له مشهور^(١) .

قال البخاري في كتاب خلق الأفعال^(٢) : (حدثني أبو جعفر
محمد بن عبد الله ، حدثني محمد بن قدامة اللؤلؤي^(٣) الأنصاري قال :
سمعت وكيعاً يقول : لا تستخفوا بقولهم : القرآن مخلوق ، فإنه من شر
قولهم إنما^(٤) يذهبون إلى التعطيل .

قال البخاري^(٥) : (وقال وكيع : الرافضة^(٦) شر من القدرية ،
والحرورية شر منهما ، والجهمية شر هذه الأصناف ، قال الله تعالى :
﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٧)

(١) نقل ابن حجر - رحمه الله - في تهذيب التهذيب ٢٢٠/٩ - أن زكريا الساجي
قال : « فأما ابن الثلجي فكان كذاباً احتال في إبطال حديث رسول الله ﷺ ورده
نصرة لمذهبه .

وقال ابن عدي : كان يضع أحاديث في التشبيه ، وينسبها إلى أصحاب
الحديث ، يليلهم بذلك .

وقال الأزدي : كذاب لا تحل الرواية عنه لسوء مذهبه وزيفه عن الدين .
انظر : ما ذكرته في ترجمته ص ٣٤٤ .

(٢) خلق أفعال العباد ص ٣٧ .

(٣) في جميع النسخ : اللال . وفي خلق أفعال العباد : السلال . وما أثبتته هو
الصواب . وهو : أبو جعفر محمد بن قدامة اللؤلؤي الأنصاري الجوهري ، روى
عن ابن عيينة ووكيع وغيرهما ، وروى عنه محمد بن عبد الله المخرمي وابن أبي
الدينا وغيرهما ، توفي سنة ٢٣٧ هـ .

راجع : الجرح والتعديل - لابن أبي خاتم - ٦٦/١/٤ . وتهذيب التهذيب
- لابن حجر - ٤١٠/٩ ، ٤١١ .

(٤) في خلق أفعال العباد : وإنما .

(٥) خلق أفعال العباد - للبخاري - ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٦) في خلق أفعال العباد : الرافضية .

(٧) سورة النساء ، الآية : ١٦٤ .

ويقولون : لم يكلم ، ويقولون : الإيمان بالقلب^(١) .
قال البخاري^(٢) : (وقال وكيع : احدثوا هؤلاء المرجئة ، وهؤلاء
الجهمية^(٣) ، والجهمية كفار ، والمريسي^(٤) جهيمي ، وعلمتم كيف
كفروا ، قالوا : تكفيك^(٥) المعرفة ، وهذا كفر ، والمرجئة يقولون :
الإيمان قول بلا فعل ، وهذا بدعة ، فمن قال : القرآن مخلوق فهو كافر
بما أنزل على محمد ﷺ يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه .
قال^(٦) : وقال وكيع : على المريسي^(٧) لعنة الله ، يهودي هو^(٨) أو
نصراني . فقال^(٩) له رجل : كان أبوه أو جده يهودياً أو نصرانياً ؟ قال
وكيع : وعلى أصحابه^(١٠) لعنة الله ، القرآن كلام الله ، وضرب وكيع
إحدى يديه على الأخرى وقال^(١١) : سيء ببغداد يقال له المريسي
يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

-
- (١) الإيمان : قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح ، وهذا مذهب السلف
وخالقهم في هذا طوائف من أهل الكلام كالجهمية والمرجئة والأشاعرة وغيرهم .
والكلام عن هذه المسألة مستوفى في كتاب « الإيمان » لشيخ الإسلام ، وقبله
كتاب « الإيمان » لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وكذا كتاب « الإيمان » لأبي
بكر بن أبي شيبة ، وغيرها من كتب السلف - رحمهم الله .
وسوف يأتي مزيد تفصيل لها في ص ٦٤٦ - ٦٤٨ إن شاء الله .
- (٢) خلق أفعال العباد - للبخاري - ص ٣٤ .
- (٣) في خلق أفعال العباد : « قال وكيع : أحدثوا هؤلاء المرجئة والجهمية . .
- (٤) في خلق أفعال العباد : المريسي .
- (٥) في خلق أفعال العباد : يكفيك .
- (٦) القائل البخاري ، والكلام متصل بما قبله في خلق أفعال العباد .
- (٧) في خلق أفعال العباد : المريسي .
- (٨) هو : ساقطة من : خلق أفعال العباد .
- (٩) في خلق أفعال العباد : قال .
- (١٠) في خلق أفعال العباد : عليه وعلى أصحابه . .
- (١١) في جميع النسخ : فقال هو . والمثبت من : خلق أفعال العباد .

قال البخاري^(١) : (وسئل عبد الله بن إدريس^(٢) عن الصلاة خلف أهل البدع فقال : لم يزل في الناس إذا كان فيهم مرضي^(٣) أو عدل فصل خلفه ، قلت : فالجهمية ؟ قال : لا هذه من المقاتل ، هؤلاء لا يصلون خلفهم ، ولا يناكحون ، وعليهم التوبة .

وسئل حفص بن غياث^(٤) ، فقال فيهم ما قال ابن إدريس ، قيل : فالجهمية ؟ قال : لا^(٥) أعرفهم^(٦) ، قيل له : قوم يقولون القرآن مخلوق ، قال : لا جزاك الله خيراً^(٧) ، أوردت على قلبي شيئاً لم يسمع به قط . قلت : فإنهم^(٨) يقولونه ، قال : هؤلاء لا يناكحون ولا تجوز شهادتهم .

-
- (١) في خلق أفعال العباد ص ٣٩ .
(٢) هو : أبو محمد عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الكوفي ، وثقه الأئمة ، وحدث عنه الإمام مالك وابن المبارك وغيرهما . توفي سنة ١٩٢ هـ . قال عنه الإمام أحمد : كان ابن إدريس نسيح وحده .
وقال أبو حاتم : هو إمام من أئمة المسلمين حجة .
راجع : تذكرة الحفاظ - للذهبي - ٢٨٢/١ - ٢٨٤ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ٦٤/١٧ - ٦٥ . وتهذيب التهذيب - لابن حجر - ١٤٤/٥ - ١٤٦ .
(٣) في خلق أفعال العباد : مرض .
(٤) هو : أبو عمر حفص بن غياث بن طلق النخعي الكوفي ، أحد الأئمة الثقات ، ولي قضاء الجانب الشرقي ببغداد ، ثم بعث على قضاء الكوفة ، روى عنه الإمام أحمد ويحيى بن معين وغيرهما . قال البغدادي : كان حفص كثير الحديث حافظاً له ثبتاً فيه . توفي سنة ١٩٤ هـ .
راجع : تاريخ بغداد - للبغدادي - ١٨٨/٨ - ٢٠٠ . وميزان الاعتدال - للذهبي - ٥٦٧/١ . والوافي بالوفيات - للصفدي - ٩٨/١٣ - ٩٩ .
(٥) لا : ساقطة من : س .
(٦) ورد في خلق أفعال العباد : « ... ما قال ابن إدريس في قتل الجهمية ، وقال لا أعرفه .. »
(٧) في الأصل : خير . والمثبت من : س ، ط ، وخلق أفعال العباد .
(٨) في خلق أفعال العباد : فقلت : إنهم .